

ANCORA IMPARO



العُصُورُ

السنة الثالثة

يوليو ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك : فيتاغورسي مجلده العدد ٢٣

بهذا العدد تدخل العصور في سنتها الثالثة التي تبدأ بمجلدها الخامس ولا جرم أن مجلة كالعصور تقوم بدعوة جديدة لم يألفها الناس في مصر والشرق على الأخص ، لا بد من أن يصادفها في بدء حياتها بعض عقبات ، الاستقواء عليها مرهون على تعضيد أصدقائها من الآخذين بوحى فكرتها ، المؤمنين بصلاحيه دعوتها والحقيقة أن العصور لا تزال تجالذ الاغاصير في جو أفعم بخباثت الماضي وبيئة تشبعت بميول غريبة ، نمتها متاجرة بعض الصحفيين باسم الأدب واسم العلم والفلسفة ، اتجاهاً لم يرم فيه إلى قصد أدبي ولا إلى غاية علمية ، بل هي متاجرة خالصة لوجه الكسب المادى واستغلال أحط النزعات البشرية .

وان العصور ومحربي العصور وأصدقاء العصور ليعتبطون جميعاً بأن يجددوا الدعوة إلى فكرتها الأساسية ، وأن صحف العصور ستكون على الدوام وقفاً على خدمة مبدئها الأصيل وشعارها دائماً :

• حرر فكرك من كل التقاليد والاساطير الموروثة حتى لا تجد صعوبة ما في رفض رأى من الآراء ، أو مذهب من المذاهب ، اطمانت اليه نفسك ، وسكن اليه عقلك ، إذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه ،

مطالعات

في سفر التكوين

.....ooo.....

اختمرت الفكرة بعد طول التمعن والاستبصار، وكثرة التأمل والبحث، وعقدت أن أكتب في مطالعات استخلصها نقداً وتحليلاً من سفر التكوين. وأردت أن أحلل في مطالعاتي الأولى شخصيتين كبيرتين ليهوديين من أبناء إبراهيم، بل ولدى عم أحدهما زعيم سياسي والآخر زعيم اجتماعي، اسبغت عليهما روايات سفر التكوين ثوباً من القداسة وخصتهما برسالة من الله يؤديانها لأهل الأرض. أما الأول فالصديق يوسف. وأما الثاني فكلهم الله موسى.

ولم أكد أبدأ بتنفيذ عزمي حتى وصلني من الأستاذ الكبير جبر صومط، استاذ البيان بالجامعة الأمريكية ببيروت كتاب خص الكلام فيه بنقد تحليلي في سفر التكوين (١) فلم اشأ أن أطلع الكتاب قبل أن أكمل مقالاً هذا حذر أن يكون للفكرات التي بثها الأستاذ فيه أثر في تحويل مجرى الفكرة التي اختمرت في رأسي من قبل، وفضلت أن لا أكب على مطالعة الكتاب إلا بعد الفراغ من كتابة ما جال في خاطري من الفكرات، وبذلك أكون أكثر قدرة على الاحتفاظ بحرية رأيي واستقلال فكري من جهة، وأكون أبعين خطة أزام قد ما كتب الأستاذ من جهة أخرى. ولعلني أستطيع أن أنقد الكتاب في هذا العدد فإكون قد أدبت واجباً وأرضيت ضميري. اعتقدت منذ زمان طويل أن أكثر الأسفار المقدسة لم تكن إلا ادوات سياسية اجتماعية قصد واضعوها إلى أغراض اختفت وراء ثوب القداسة التي أسبغ عليها. واعتقدت فوق ذلك أنه عجزنا عن تحديد الزمان الذي كتبت فيه أكثر هذه الأسفار والشك الذي يساور الباحثين في حقيقة الأشخاص الذين كتبوها أو جمعوها، أو المنابع

(١) " سفر التكوين " بحث نظري فلسفي تشريحي لبيان من هو كاتب هذا السفر؟ الذي هو أقدم سفر تاريخي في العالم والغاية من كتابته - تأليف الأستاذ جبر صومط - ظهر حديثاً ببيروت أخرجه مطابع فوزما

التي استقوا منها بعض المعلومات أو القصص التي بثت فيها . هي أكبر الخواثر التي تحول دون درس هذه الأسفار درساً تحليلياً عميقاً يمكن من طريقه أن نستشف حقيقة الدعوات السياسية أو وجود الإصلاح الاجتماعي التي ربي إليها أولئك المصلحون

خذ لذلك مثلاً بسيطاً في خروج ابراهيم من أور الكلدان ! فمن ذا الذي يستطيع إن يدعى القدرة على معرفة السبب الحقيقي في خروجه ؟ أن سفر التكوين لا يعرفنا عن ذلك شيئاً على وجه التقريب فهو على أن الله أمر ابراهيم أن يخرج من أور الى أرض كنعان من غير أن يحاول أبداء أى سبب سياسى أو اجتماعى معروف . على أنى أرجح أن ابراهيم لم يخرج من أور الكلدان ويهبط أرض كنعان إلا هارباً مضطهداً كـ هرب موسى من أرض مصر وكـ تحول عيسى في أرض فلسطين وسوريا يخفى عن الانظار زماناً ، وكـ هاجر محمد من مكة إلى المدينة . ولعل السبب الأوحد الذي يمكننا أن نعزو اليه هجرة ابراهيم راجع الى الاختلاف على قصة الخلق والطوفان . فان النزعة الدينية العبرانية التي تتجلى في نفس بطارقة اليهود العظام والتي ورثوها بالضرورة عن جدهم الاعظم ابراهيم . إنما تدل ترجيحاً على أن السبب في هجرة ابراهيم يرجع إلى خلاف ديني . فاذا قارنت قصة الخلق الكلدانية الاشورية وقصة الطوفان بالروايتين الشعريتين اللتين وردتا في سفر التكوين ، وهى روايات لا بد من أن تكون قد تنقلت على مدي أزمان طويلة بين العبرانيين وتلاقحوها بعضهم عن بعض ، فانك تجد خلافاً سيرا في الوقائع والاسماء . هو في الراجح السبب في خروج ابراهيم مضطهداً من أور الكلدان . فان «أوت نابشتم» الذي ضمه الآلهة إلى مصافهم هو إنسان ، والسبب في الطوفان الذي أهلك أهل الأرض وأحياءها ، وبناء الفلك ، كل هذا له في سفر التكوين ما يناظره مع اختلاف في الاسماء والنسبة العvisية فان «أوت» استبدل بـ «نوح» ، وهنا يجب أن نلاحظ الوزن اللقظي ، ثم صار جدا لـ ابراهيم من طريق أولاده حام وسام وبافث . ثم يترك سفر التكوين حاماً ويافاث ويمضى في روايات الجدة الأكبر لليهود ساماً الذي يليه ينسب الساميون . فلو أننا استطعنا أن نعرف شيئاً من الظروف السياسية والاجتماعية التي حوطت ابراهيم ، إذن يكون في مقدورنا أن نثبت حقيقة الدعوة التي ذهب إليها ابراهيم وكانت على الأرجح السبب في هجرته إلى أرض كنعان ، وإذن يمكننا أن نحلل الروايات

المقدسة تحليلاً سياسياً اجتماعياً ونحلّم عنها ثوب القداسة الذى أسبغ عليها لاغراض لا تخفى على الباحث الخبير .

وتبدأ قصة الطوفان البابلية بأن نذيره قد غشى « أوت » (نوح البابل) فى حلم من الاحلام ، إذ سمع صوت الآله يقول :

« أنت يارجل « شور ياق » يابن « أوبارا توتو » حطم بيتك وأغفل متاعك وملكتك وانج بحياتك . أترك امتعتك ونج حياتك واجمع من كل بزة حية من كل نوع وادخل بها فى الفلك »

أما السبب فى سفر التكوين فغضب الله على أبناء الارض وتخليصاً لابناء الله منهم ، وان الله أراد أن لا يدين روحه فى الانسان الى الابد بعد أن تناسل أبناء الله من بنات البشر . وفى القصة البابلية إشارات كثيرة إلى مثل هذا الزعم الغريب . وفيما عدا ذلك تتفق القصة اتقافاً غريباً فى بناء الفلك وفى تحديد مقاييسه وفى حمل الاحياء فيه وإرسال الطيور من الفلك لترى ان كانت المياه قد انحسرت عن رؤوس الجبال وفى الطوفان وتهطل المطر إلى غير ذلك . فالراجح من كل هذا ان ابراهيم الذى نقل نواة هذه الأقاصيص البابلية معه من أور الكلدان إلى أرض كنعان لم يحمل على الهجرة الا لخلاف دينى أضطره إلى الهرب بعد أن اعتبر هرطوقا عند أهل بابل . وإذا صحت روايات سفر التكوين ، لامن جهة الواقع بل من جهة رواية الأقاصيص كما كانت شائعة فى عهد كتابة السفر ، صح عندنا هذا الرأى ، وعلى الأخص إذا تذكرنا أنه بعد ذكر أولاد نوح ونسبة ابراهيم إلى سام ، لا نخلص من السفر بشئ إلا بتاريخ أولاد ابراهيم إلى آخر زمان يوسف الصديق فى ارض مصر

كل هذا يحملنا على أن نعتبر سفر التكوين أخطر الأسفار التاريخية التى وصلت إلينا عن القدماء وان فيه من الشخصيات التى مثلها بطارقة العبرانيين على توالى الازمان ما يجدر بنا أن ندرسه درساً قيمياً فى نور الأساليب الحديثة ، وأتأنا لن نكون أصحراً أبداً أو أوضح طريقة منا إذا عمدنا إلى درس الحالات التى قامت من حول كل منهم وبيئاتهم والازمان التى أظلمت والحالات الاجتماعية التى خضعوا لها وعملوا على أن يدمغوها بالطابع الذى قام فى أذهانهم أو أن يصوروها بالصورة التى ظنوا أنها جذيرة بالانسانية.

بعد هذه المقدمات لا نرى من موجب لزيادة الشرح والبيان عما يحول بخاطرنا من الأفكار حول هجرة ابراهيم من أور الكلدان، غير أنه لا يجدر بنا أن تغفل في هذا البحث أمراً آخر يدور حول ابراهيم وحول معتقده الديني . وهذا الأمر على اختصار القول ينحصر في أن ابراهيم كان موحداً ، في حين كان الكلدانيون من المكثرين . إن قصه الخلق البابلية وكذلك قصة الطوفان ، كلتاهما تدلان على أن البابليين والكلدانيين كانوا من المكثرين . كانوا يحضرون على نفس القاعدة التي جرى عليها اليونان والرومان في معتقداتهم الدينية ، بل جروا على نفس القاعدة التي جرت عليها كل الأمم القديمة التي وصل الناظر من اختبارهم وأديانهم . ولا جرم أن الذي يقول لا إله إلا الله ، في بيئة ما عرفت من الله إلا أنه رئيس آلهة كثيرة ، يعتبر موطوقاً . ولعل هذا هو السبب في هجرة ابراهيم من أور الكلدان إلى أرض كنعان والدليل القاطع على هذا أن الرب تجلى عدة مرات لابراهيم وهو الذي أمره أن يغادر أور الكلدان إلى أرض كنعان . كذلك نجد أن الله تجلى مرة أخرى لابراهيم بعد أن انفصل عنه لوطاً وسكن أرض سدوم ، وأن الله وعد ابراهيم ، خليله وصفيه ، بأن يهبه ونسله كل الأرض ، وأن نسله سيكون بعدد الحصى والتراب .

ثم نجد من بعد ذلك سفر التكوين وقد حصر رئاسة العبرانيين سياسياً ودينياً في اسحق ، باعتباره وارث ابراهيم أبيه ، دون اسماعيل . ذلك لأن اسماعيل كان ابن أمة هي هاجر ، وأن اسحق كان بن أميرة هي ساراي أو سارة . إذن كان ابراهيم رئيساً دينياً وسياسياً معاً ، وأنه أورث هذه الرئاسة ابنه اسحق . وإذن كان ابراهيم أحد بطارقة العبرانيين الكبار . فهل يمكن أن يكون لرجل موحد مقام في أرض تكثير من غير أن يكون ذلك الأمر سيئاً في الاحتكاك الفكري ؟ ذلك بعيد كل البعد ، لا سيما إذا تذكرنا أن ابراهيم كان ذامناً عدينية . وأنه كان يحكم وجوده ذاك رئاسة دينية . وأنه كان من الذين يتجلى لهم الله .

خذ بعد ذلك كل القصص الكلدانية التي حشيت في سفر التكوين ، نجد أن هذا السفر قد اتحل كل ما كان لدى البابليين من المعتقدات في الخلق والطوفان وما يليهما ، ماعداً أمر واحد ، هو التوحيد . إذن فالدين اليهودي عبارة عن أقاصيص بابل منسوبة

إلى الله الواحد الاحد . دون بعل وشركاه . وإذن يكون ما بقي بعد ذلك من العبارات التاريخية كناية عن تاريخ كامل لقبائل العبرانيين واصلهم وتفرعهم .

يوسف الصديق أحد الاسباط الاثني عشر أولاد يعقوب — اسرائيل — وأصغرهم سناً وكان ابن سبع عشرة سنة يرعى الغنم وهو غلام عند بني بلهة وبني زلفة امرأتى أبيه . وكانت نماذجهم تسم ووشايات يوشى بها على غير علم من يعقوب ، فأتاه بها يوسف وأطلعها عليها . وكان اسرائيل — يعقوب — يحب يوسف حباً جماً لانه فضلاً عن صغر سنه وأنه ابن شيخوخته . كان صادق القول كبير النفس فيه كل الصفات التي تؤهل به إلى زعامة سياسية اجتماعية عليا ، وكان من فرط حبه ليوسف أن صنع له قميصاً ملوئاً بألوان ، فأصبح هذا الأمر دليلاً عند اخوته على أن يعقوب يحب يوسف أكثر من اخوته فأبغضوه وبيتوا له على ضغينة .

والتظاهر كل الظهور أن يوسف من طينة العبرانيين خالض من كل شائبة . فإن أحلامه التي كان يحلمها والتفسيرات التي كانت تفسر بها ، تسم على أن العبرانيين حتى عهد يوسف ، لم يخلصوا من الوراثة البابلية الكلدانية . فإن كل أنواع بابل وكل الأقاصيص التي تنص فيها إنما تقوم على أحلام أو تبدأ بأحلام هي عندهم بمثابة الوحي الحساب من سماء الغيب ، وسفر التكوين ينص على أن يوسف حلم حلمين ، ترك القرآن أحدهما واثبت الآخر . أما الحلم الأول فعلى أنه حلم أنه واخوته يحزمون حزماني الحقل فالتصبت حزمته وسجدت لها بقية حزم اخوته . فقالوا له — ألعلك تملك علينا ملكاً أو نتسلط علينا تسلطاً . وهذا لم يثبت القرآن . ثم حلم مرة أخرى فرأى أن الشمس والقمح واحد عشر كوكباً قد خروا له ساجدين ، وهذا ما أثبت القرآن وبه تبدأ قصة يوسف فيد . نرى أن أباه قد اتهمه وقال له — هل تأتي أنا وأهلك واخوتك لتسجد لك إلى الأرض .

ينص القرآن على أن أخوة يوسف احتالوا على أبيهم ليرسل معهم يوسف يرتع ويلعب وأنهم له لحافظون ، فتردد يعقوب حذر أن يأكله الذئب وهم عنه غافلون . قالوا لن يأكله الذئب ونحن عصبة إنا إذن لخاسرون . أما سفر التكوين فينص على

أن يعقوب ارسل يوسف وراء أخوته يقتص خبرهم وهم يرعون الغنم — وكانوا قد هبطوا ناحية يقال لها شكيم ، فذهب اليهم من وطاء حبرون حتى إذا أتى شكيم ضل في الحقول سعياً وراء أخوته حتى أُرشده مرشد الى حيث نزلوا بعد ارتحالهم من تلك الأرض ، فذهب اليهم في ناحية يقال لها دوثان . فلما أبصروه قالوا « هوذا صاحب الأحلام قادم » وأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه وأن يقولوا لآبيه أن وحشاً أكله . فلما سمع رأو بين أحد أخوته هذا الرأي صرهم عنه وقال لهم لا تسفكوا دماً ، بل ألقوه في البئر « التي في البرية » ، فلما جاءهم خلعوا عنه قميصه الملون وطرحوه في البئر .

ثم جلسوا ليأكلوا وإذا قافلة من الاسماعيليين قادمة تقصد مصر بم تجارتها . وهنا اقترح يهوذا أخوهم بأن يبيعه إلى الاسماعيليين ، فأخرجوه من البئر وباعوه بعشرين من الفضة . وشروه بثمان بخراسان دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين . ثم أخذوا قيص يوسف وذبخوا تيساً وغمسوا القميص في الدم ثم أحضروه إلى أبيهم وقالوا له حقق أهدا قيص ابنك أم غيره . فلما حقق أنه قيص يوسف حزن حزناً عميقاً إذ اعتقد بأن وحشاً أكله

أما رواية القرآن فتقول

« وجاءوا أباهم عشاءً يكون قالوا يا أبانا إن ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » ، على أن رواية أنهم جاؤوا على قميصه بدم كذب متفقة في كلا السفرين : القرآن وسفر التكوين . أما المديانيون — الاسماعيليون — أي أهل مدين الذين ورد ذكرهم في قصة موسى — فبعد أن نزلوا مصر باعوا يوسف إلى فوطيفار خصي فرعون ورئيس الشرطة في ذلك الحين .

غير أن القرآن لا يعين إسم من اشترى يوسف في مصر ولا مركزه الاجتماعي ولا يعين إن كان خصياً أو غير خصي ولعل في الترجمة العربية اختلافاً عن الأصل العبراني في تعيين أنه خصي لأنك لا تلبث على روايه سفر التكوين غير قليل حتى تجد أن البركة حلت بيت المصري بسبب نزول يوسف فيه وأن المصري ترك كل أمره ليوسف ،

حقله وبيته، وأن امرأتها سيدة رفعت عينها إلى يوسف وقالت اضطجع معي فأبى وقال لامرأة سيدة هو ذا سيدى لا يعرف معي ما فى البيت وكل ماله قد رفعه إلى يدى ليس هو فى هذا البيت أعظم منى ولم يمسك عنى شيئاً غيرك لأنك امرأتى فكيف أصنع هذا الشر وأخطئ إلى الله. وكان إذ كلمت يوسف يوماً فيوماً أن لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها (١)

ورواية القرآن تتفق مع رواية سفر التكوين فى هذا — «ورأته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون» — على أن سفر التكوين ينهى نفيًا باتاً أن يوسف مال إليها، فى حين يقول القرآن — «ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين»

ثم رواية القميص . تجد أن سفر التكوين قد نص على أن يوسف دخل البيت ليقتضى أمراً فأمسكت به زوجة فوطيفار ليضطجع معها . فترك ثوبه فى يدها وهرب فنادت أهل بيتها وقالت — «أنظروا . قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا . دخل إلى ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم . وكان لما سمع أنى رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب وخرج إلى خارج . فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته . فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل إلى العبد العبراني الذى جئت به إلينا ليداعبني وكان لما رفعت صوتى وخرجت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب إلى خارج» (٢)

واليك رواية القرآن مسوقة من غير انقطاع — «واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر . وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم . قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن إن كيدكن عظيم . يوسف أعرض عن هذا واستغفر لذنبك إنك كنت من الخاطئين»

١ «تلك إص ٣٩ : ٧ إلى ١٠ .

٢ «تلك إص ٣٩ : ١٤ إلى ١٨ .

أما سفر التكوين فيغفل قد القميص وشهادة الشاهد ويغفل اقتناع سيدها ببرهان الشاهد، ويرسل يوسف إلى السجن ليلقى جزاء ما قدمت يداه . على أن رواية القرآن قاطعة في اقتناع السيد بخطأ زوجته . ولذا لا تجد في روايته أى مسوغ لسجن يوسف فيما بعد .

ويسوق القرآن رواية أخرى لا تجد لها في سفر التكوين من أثر أو إشارة تلك هى رواية النسوة اللاتي تكلمن في أمرها وأمر يوسف — «وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً أنا نراها في ضلال مبين . فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت أخرج عليهن فلما رأيته أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم . قالت فذلكن الذى لم تنتنى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغرین » (١)

ولا شك عندى مطلقاً في أن رواية القميص وشهادة الشاهد على الصورة التى سبقت في القرآن لم يكن لها من موضع إلا أن يصح التعقيب عليها برواية النسوة والمائدة . وإلا فلماذا يستحق يوسف السجن حتى بعد اعتراف زوجة فوطيفار بأنها راودته عن نفسه وأنه استعصم . والدليل القاطع على هذا أن القرآن يقول — «ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين » (٢)

كذلك تتفق رواية القرآن وسفر التكوين في أنه دخل معه السجن فيان ساقى ملك مصر والآخز خبازة وأن أولها حلم أنه يسقى ربه خمراً إلا بعض تفاصيل في أنه رأى الكرم والعنقود وأنه عصر العنقود وسقى فرعون ، وقد أهملها القرآن . وأن الثانى رأى انه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه ، مع بعض تفاصيل أهملها القرآن كذلك — وقد فسر يوسف الحلبيين فقال للأول أنه يعود إلى سقاية فرعون ، وقال للثانى أنه سيصلب فى كل الطير منه . وكذلك تتفق الروايتان في أن يوسف طلب إلى الساقى أن يذكره عند فرعون ، وأنه نسي أن يذكره ، أما القرآن فينص

على أنه نسي بضع سنين : في حين أن سفر التكوين ينص على أنه نسي من غير أن يحدد كم لبث في السجن من بعد ذلك (١) غير أنه يعود في أول الاسحاح الحادى والأربعين يحدد الزمان بستين اثنتين تعييناً فيقول — « وحدث من بعد ستين من الزمان أن فرعون رأى حلاماً » (٢)

« وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات، (٣) ويتذكر رئيس السقاة يوسف ويفسر يوسف الحلم بأن مصر سيصيبها سبع سنين من القحط تتقدمها سبع سنين من الخصب والخير الكثير، وأنه يجب أن يكون على خزائن الأرض قوى أمين يخزن لسنين القحط من سنين الخصب. وكان أن الملك اختار يوسف ليكون على خزائنه — « قال أجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم. وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين (٤)

٤١٥

إلى هنا تنتهى رواية يوسف باعتبارها ترجمة عن حياته وتبدأ روايته باعتباره وزيراً ملكياً متفانياً فى حب الملكية، حتى لقد بلغ منه حب الملكية واعتقاده بأنها أصلح صور الحكم أن عمل على أن تكون كل ملكية الأرضى من حق الملك وأن يكون له الناس عبيداً يسخرون لأمره يزرعون ويحصدون ويجمعون ويخزنون. على أننا لا يحسن بنا أن نسوق الكلام فى هذا الأمر من غير أن نرجع إلى سفر التكوين فنقل منه فقرات سوف نحتاج إلى أن نذكر بها القارىء فى سياق بحثنا هذا. جاء فى سفر التكوين (٥)

« ولم يكن خبز فى كل الأرض. لأن الجوع كان شديداً جداً، فخورت أرض مصر وأرض كنعان من أجل الجوع، فجمع يوسف كل الفضة الموجودة فى أرض

(١) القرآن — « وقال للذى خزن انه فاج منها اذكرنى عند ربك فانساء الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين — سفر التكوين — « ولكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف بل نسيه : إص ٤٠ : ٢٣

(٢) يلاحظ أن بضع سنين أكثر من ستين .

«٣» يوسف : جزء ١٣ .

«٤» يوسف : جزء ١٣ .

«٥» نساى الرواية هنا بعد هبوط يعقوب أبيه وأخوته وكل أهله مصر وبعد أن مرت سننى الشيع فى أرض مصر

مصر وفي أرض كنعان بالقمح الذي اشتروا ، وجاء يوسف بالفضة إلى بيت فرعون ، فلما فرغت الفضة من أرض مصر ومن أرض كنعان أتى جميع المصريين إلى يوسف قائلين أعطنا خبزاً ، فلماذا نموت قدامك لانه ليس فضة أيضاً فقال يوسف هاتوا مواشيكم فأعطيكم بمواشيكم إذ لم يكن فضة أيضاً . فجاءوا بمواشيهم إلى يوسف . فأعطاهم يوسف خبزاً بالخيول وبمواشي الغنم والبقر والحمير . فقاتهم بالخبز تلك السنة بدل جميع مواشيهم » (١)

« ولما تمت تلك السنة أتوا إليه في السنة الثانية وقالوا له لا نخفى عن سيدي إذ قد فرغت الفضة ومواشي البهائم عند سيدي لم يبق قدام سيدي إلا أجسادنا وأرضنا (٢) لماذا نموت أمام عينيك نحن وأرضنا جميعاً . اشتربنا وأرضنا بالخبز فتصير نحن وأرضنا عبيداً لفرعون . واعط بذراً للحيا ولا نموت ولا تصير أرضنا قفراً » (٣)

« فاشتري يوسف كل أرض مصر لفرعون . إذ باع المصريون كل واحد حقله لأن الجوع اشتد عليهم فصارت الأرض لفرعون . وأما الشعب فنقلهم إلى المدن من أقصى حد مصر إلى أقصاه (٤) إلا أن أرض الكهنة لم يشتريها . إذ كانت للكهنة فريضة من قبل فرعون . فأكلوا فريضتهم التي أعطاهم فرعون . لذلك لم يبيعوا أرضهم (٥) » فقال يوسف للشعب إني اشتريتكم اليوم وأرضكم لفرعون . هوذا لكم بذار فترعون الأرض . ويكون عند الغلة أنكم تعطون خمساً لفرعون . والأربعة الأجزاء تكون لكم بذاراً للحقل وطعاماً لكم وللمن في بيوتكم وطعاماً لأولادكم . فقالوا احيتنا ليتنا نجد نعمة في عيني سيدي فنكون عبيداً لفرعون . فجعلها يوسف فرضاً على أرض مصر إلى هذا اليوم (٦) لفرعون الخمس . إلا أن أرض الكهنة وحدهم لم تصر لفرعون ،

ليس لنا أن نشك في أن فرعون قد حلم وأنه رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع

«١» يلاحظ هنا أن سياسة يوسف كانت ترمي إلى تقوية الملكية . فبعد أن أخذ الفضة وجمع المواشي إلى بيت فرعون أخذ من الإلهي الأرض أيضاً لتكون من حق الملك .

«٢» إشارة إلى أن الأرض كانت ملكاً للإلهي قبل أن يبدأ يوسف بتنفيذ سياسته الاجتماعية .

«٣» تعبير صادق عن حقيقة السياسة التي اتبعها يوسف .

«٤» يلاحظ هنا أن التجدد اعتباري صرف

«٥» ظاهر جداً أن يوسف استعان بسلطة الكهنة الدينية على إخضاع الشعب .

«٦» إشارة إلى أن سفر التكوين قد كتب في تلك الأيام أو بعدها بتفصيل .

عجاف ، وسبع سبلات خضر وأخر يابسات . ولكن الذى لنا أن نشك فيه هو أن سني الشبع وسنى القحط قد وقعت كما تنض عليه رواية سفر التكوين . لهذا نعتقد اعتقاد تغليب أن حلى فرعون قد اتخذهما يوسف ذريعة سياسية استغلها ليخرج الأرض والأموال من يد الشعب إلى يد الملك . ولدنا على ترجيح هذه الفكرة مبرران الأول تفانى يوسف فى سياسته الملكية واعتقاده أن الملك يجب أن يكون ملكاً إلى آخر ما يمكن أن يذهب معنى الملكية فيكون صاحب الأرض وصاحب الفضة وصاحب القوات ، والناس له عبيد يستغلهم كيف يشاء وعلى الوجه الذى يريد . والثانى أن يوسف أراد بذلك أن يستعبد الأهالى (المصريين) لملك اجنبى يريد من طريق استعبادهم أن يسخرهم فى المحافظة على عرشه الذى أخذه من ملوك مصر اغتصاباً . فإذا جمعت بين السببين ، اعتقاد يوسف السياسى والحاجات التى قامت فى ذلك العصر خرجت من ذلك بفكرة عامة تؤيد ما نذهب اليه من رأى .

وهنا يجب علينا أن نأتى على بعض حقائق تاريخية نستخلصها من تاريخ ذلك العصر الذى حكم فيه يوسف مصر (١) فالمعروف أن الأسرة الثالثة عشرة قد انتهت عهد حكمها فى مصر وسط اضطرابات أهلية كبيرة كما دل حكم ملوك الأسرة التى تلتها وقصر مداه على أن روح الفراعنة كانت قد أخذت تضمحل وتضعف . لذلك انتهى الأمر بأن تقلص ظلمهم وباد مكلمهم . لهذا عانت قبائل اسبوية فى أرض مصر فساداً بعد أن استقوت على أهلها . ويعرف هؤلاء بالهكسوس أو الرعاة وكان أكثرهم من العنصر السامى أصلاً . ولقد حكم هؤلاء بلاد مصر أكثر من ٦٦٩ سنة وحكموا وادى النيل فى ثلاثة أسر تربعت على عرش مصر تابعاً . ولقد كان لاستبدادهم وتخريبهم أثر ظلال ثابتاً فى عقلية المصريين ولم يمح منها أبداً . فقد بدؤوا حكمهم بالتحطيم والتحريق والسرقة والنهب ، ثم تربعوا من بعد ذلك فى مغيص وسان ومن هنالك امتدت سلطتهم إلى أرض مصر بأكملها . غير أن هؤلاء الفزاة لم يلبثوا أن خضعوا لمقتضيات الحضارة المصرية فاصطبغوا بالثقافة الفرعونية القديمة ، حتى لقد أصبح المغزوة بالقوة غازياً بالسلطان الأدبى ، فاصبح الرعاة فراعنة بالاسم دون

الفعل . فانتحلوا عن المصريين عاداتهم وطرق معيشتهم والقابهم الملكية والأميرية ،
ومع الزمن اخذوا طريقة التعليم والكتابة . وكان بلاطهم ملوئاً بالموظفين المصريين ،
وأعيد بناء المدن والهياكل ، وأصبحوا القوامين على الآداب والثقافة المصرية البحتة .
والدليل على هذا أن المقالة الرياضية الوحيدة التي وصلت إلينا عن المصريين القدماء
قد أهديت إلى ملك هكسوسى عنواناً على أنه من حماة العلم . على هذا نجد أن المصريين
قد استقروا على ملوكهم الأجانب من الناحية الأدبية ، ماعداً امراً واحداً هو الدين ،
فانهم بقوا على دين أجدادهم ، كما بقي الهكسوس على معتقداتهم القديمة التي أتوا بها من
جوف آسيا . فقد ظلوا يعبدون آلهة سامياً شبيهاً « بعل » الكلداني ، أسبغوا عليه
اسماً انتحلوه عن الحثيين فسموه « سوتخ » — Sutekh — وحاول أحد ملوكهم أن يلزم
المصريين عبادته غصباً فكان ذلك سبباً في بدء حرب الاستقلال التي انتهت بطردهم
من مصر . فقد أرسل الملك أبوفيس الثالث — Apophis — من ملوك الأسرة
السابعة عشرة إلى « اسكتن رع » أمير طيبة يأمره بأن يقلع عن عبادة « آمون » آله
طيبة وان يدين بعبادة الآلهة الذي يعبد المملك . فقاوم الأمير هذه الأرادة ، وكان ذلك
بدء حرب استقلال طويلة دامت أكثر من خمسة أجيال (١٥٠ سنة) وكانت النتيجة
أن انتصر المصريون على غزاتهم وبذلك عاد الهكسوس إلى آسيا ، واعترف بعد
ذلك بأمر طيبة فرعوناً على مصر المتحدة سنة ١٦٠٠ ق م .

وحدث في زمان حكم الهكسوس أن زار ابراهيم شمال مصر (الدلتا) ، عندما
كانت مدينة « صان » مقر حكمهم بالقرب من الحدود الآسيوية ، كما كان لهم على الحدود
نفسها قلعة حصية تدعى أفاريس — Avaris — وكانت اقامتها حيث هي لتكون دريعة
لغزوات الآشوريين من آسيا وسيلاً مسلولاً على رأس المصريين في أفريقية .

والراجح جداً أن فرعون يوسف الصديق هو أبوفيس الثالث بعينه الذي بدأت
في زمانه الحرب الاستقلالية ، فكان الوزير العبراني قد شهد بدء الحرب وقدر لها
نتائج كانت سياسته نتيجة لتقديراته .

الهكسوس غزاة فاتحون . ومهما جرى عليهم الزمن في أرض مصر فانهم ولا
شك كانوا أقلية تحكم أكثرية بالقوة . فاذا قامت حرب استقلالية وعلى الاخص اذا

كان لهذه الحرب علاقة بالدين وبآمون كبير آلهة مصر كان لها أثرها الكبير في زعزعة الملك وهز العرش من أساسه. فاذاتذكرنا أن سلطة الهكسوس لم تكن من القوة والقدرة البالغة بقدر ما كانت في شمال مصر، وأنها كانت ضعيفة في صعيدها، عرفنا لماذا بدأت الحرب من الجنوب ولم تبدأ من الشمال. أضف الى ذلك أن نظام الحكم في مصر القديمة كان نظاماً كهنوياً أولاً وقبل كل شيء. وكثير ما نرى أن الكهنة استطاعوا أن يخضعوا الملوك وأن يخلعوا ملوكاً عن عروشهم. من هنا نستطيع أن نعين على وجه التقريب مركز الهكسوس أزاء شعب كالشعب المصري أريد به أن يلب على أمره حتى في أمر دينه وسط نظام قائم على الساطة الكهنوتية منذ أبعد الأزمان.

ثم يجب علينا أن نذكر أن بين الهكسوس وبين العبرانيين علاقة المزاج على الأقل (١) فهما عنصران اسويان ساميان. ولا يبعد أن يكون بين معتقداتهما الدينية من القرب بقدر ما كان بين مزاجهما التكويني. لهذا لا يكون من البعيد عقلاً أن يتخذ ملك هكسوسى (أبو فيس) وزيراً عبرانياً (يوسف) ليتعاونوا في وقت شدة على اخضاع شعب كلاهما غريب بل أن في اخضاعه كل ما يمكن أن يتطلعوا اليه في الحياة، لاسيما إذا اجتمعت المطامع الملكية من نفس الملك، مع المطامع الإصلاحية في نفس الوزير.

ويحمل الملك الهكسوسى أنه رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات (٢) ثم يولى يوسف على خزائن الأرض ويجمع كل الحبوب في مخازن الملك ويذر الحب في سنبله إلا ما احتاج اليه. ويحتاج المصريون إلى حب للبذار فلا يجدون إلا في مخازن الملك. ويظل يوسف يعطيهم الحب للبذار سبع سنين ويجمع ما تخرج الأرض سبع سنين. فإذا منع عنهم حب البذار في أول السنة الثامنة فهناك ولا شك القحط وهناك ولا شك الدمار والخراب. ومخازن الملك مملوءة بما يكفيه ويكفى الناس، ثم يجمع الفضة ويجمع المواشى ثم يشتري الأرض للملك. لماذا؟ سياسة معقولة في زمن انتفاض وفتنة يقصد بها الاستقلال التام. يصبح المصريون عبيداً للملك يسخرهم كيف يشاء. فيجعلهم مستفاحين أو جنداء بالقمة. من صاحب منهم

١- من رأى بعض ثلثة الباحثين أن الهكسوس عنصر عبراني بالفعل

٢- ولا يبعد أن يكون ذلك حادثاً مفتعل اذاعة يوسف ليستغله سياسياً وان كان العقل يمكن أن يسلّم

بان فرعون من المحتمل أن يكون قد حلم ذلك الحلم.

لأفلاح الأرض فلها ومن صلح منهم للجندية فيساق إلى جند أمير طيبة يدافع رغم
أنه عن ملكه الهكسوسى ووزيره العبرانى.

بنى أمامناشى. واحد هو ان الحرب الاستقلالية كانت فى بدء شبوبها عندما
استوزر الملك الهكسوسى (بن عمه) النيل العبرانى. ولا جرم أن السياسة التى
اتبعا يوسف لسياسة هى من اجدر السياسات برجل يزن الظروف القائمة من حوله
وينظر الى أبعد اطراف المستقبل ويقدر اسوأ التقديرات .

هذا ما نرى فى قصة يوسف وفى احتمالاتها التاريخية . وستعود فى العدد القادم
الى الكلام فى هبوط العبرانيين الى مصر وخروجهم منها، لنستخلص من قصة موسى
شخصية اخرى هي شخصية الزعيم السياسى . والراجح ان هذه الشخصية لم تظهر
الا بعد أن خرج الهكسوس من مصر . لانه لا يعقل ان يستبد هكسوسى بعبرانى
بل أن الاستبداد بالعبرانيين لم يبدأ الا ان بعد أن حكم مصر اهلها انتقاماً من الهكسوس
ومن وزيرهم الذى استطاع ان يطيل مدة الحرب الاستقلالية خمسة اجيال متتابعة
استمايل مظهر

..... ٥٥٥
.....

اطلب من دار المعصور للطبع والنشر

ومن جميع المكتاتب المعروفة

نزع الفكر الأوروبى
١٠٠٠

شعر التصوير

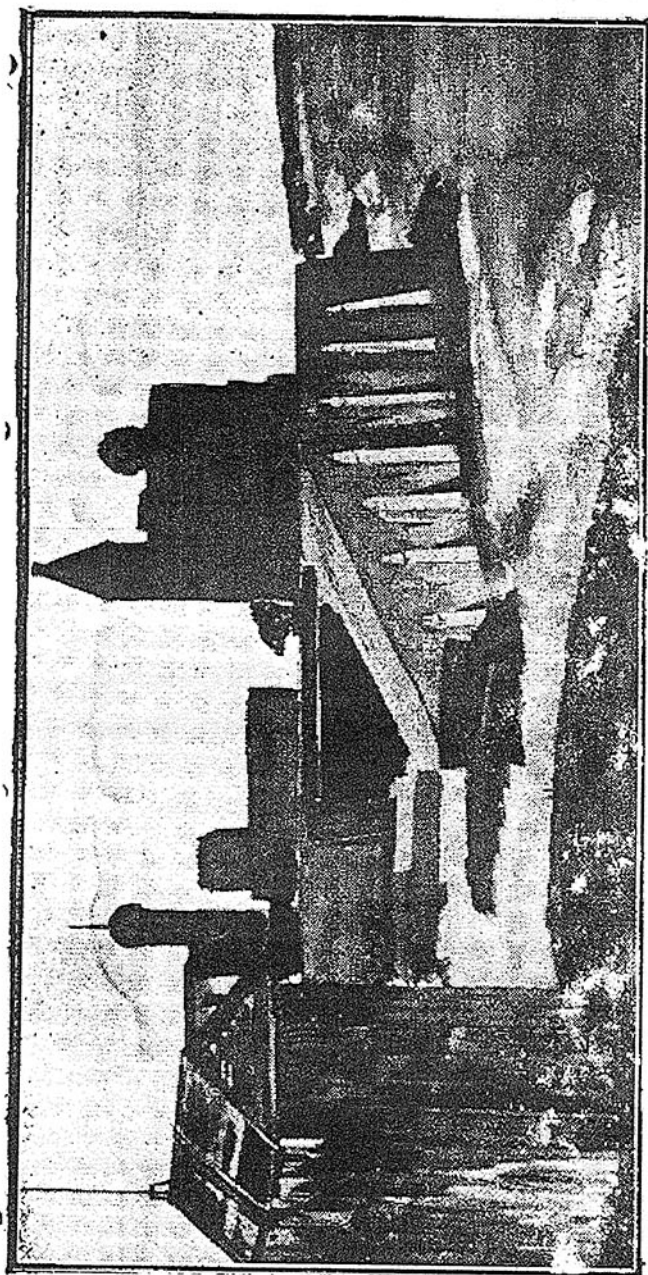
القصر الخزيه

في جيرة سيدى بشر

عن الجزء الأول من ديوان « وحى العام » للدكتور أبى شادى
الذى سوف تصدره « دار العصور »

حزيناً عليه من شُحوبِ المنى وَجَدَ
وبين اصطدامِ حَوَالِهِ النَّحْسُ وَالسَّعْدُ !
ولكنَّه ذِكْرٌ من الأَمْسِ يَمْتَدُّ !
لحارسِهِ مُذْ صارَ بِمَحْسُهُ المَجْدُ !
يُجَدِّدُهُ مُذْ فَاتَهُ الحِظُّ والجُدُ
وتَشَكَّى أَلْوَانًا بِحَنٍّ لَهَا الوَرْدُ
أَشِعَّةٌ حَسَنٌ كُنَّا حَوَالَهُ عَبْدُ
فقلتُ: كَفَانِي أَنَّهُ بِكَ يَعْتَدُ !
حياةٌ وَسِحْرٌ لَا يُقْسُ بِهِ الحَمْدُ
فما فَاتَهَا الاِنْقَانُ لو نالها النَقْدُ !
وتَشَكَّى هَذَا الفَنُّ والنُّورُ والحَدُّ
عن الشَّعْرِ، لَا يَنْجُبُوا وَلَا هُوَ يَنْهَدُ

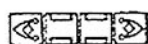
على رُبُوعٍ من شاطئِ الْبَحْرِ قد بدا
وفي قُرْبِهِ الأمْوَاجُ بين تَلَاظُمٍ
وقد نَضَرَ العُشْبُ الذى فى فَنَائِهِ
وقد انْغَلِقَ الكُشْكُ الذى كان مَوْثَلًا
تَأَمَّلْتُهُ فى صورةٍ مِنْكَ تَقْشُرُهَا
ويا حَسَنَ هَذَا اللَّطْفِ فى وَقْفَةِ الرِّضَى
خَلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ مَلَا حَتِكَ الحُلَى
وَقُلْتَ: أَهَذَا الرَّسْمُ ما أَنْتِ تَشْتَهَى
خُطُوطٌ لَهَا جَمٌّ المَعَانى التى حَوَتْ
تَعَجَّلْتَ فى تَكْوِينِهَا مِثْلَ خَالِقِ
وما قَدَرُ شِعْرِى فى بَيَانِ وَزِينَةٍ
فما صُغْفَتِهِ يُغْنَى غِنَاءً بِقَدْرِهِ



القصر الحزين

شعر التصوير - ايام من ١٦

«فيا ليتنى (القصرُ الحزينُ) ، فعندها اذا زلتُ لم يُحسبَ كفقدي لى القعدُ !
 حفظت له فى لوحة الفنِّ عُمرَهُ وعُمُرِي — مها جَلَّ — غايتهُ الأعدُ
 وشابهتهُ فى شهرةٍ وتعاسيه فادركهُ عَطْفٌ وما جاءنى بعدُ
 وأسمع وعداً عن غرامى بجنةٍ فتنتثرُ الأحلامُ حولي والوعدُ !
 وكلُّ إلَهٍ ذو وعودٍ جميلةٍ وليستْ وُعودٌ منكٍ يحصرُها العدُ !



اطلبوا من دار العصور للطبع والنشر بشارع الخليج المصرى

كتاب

الضحية

وروايات وأبحاث أخرى

تأليف

طاغور الشاعر الالهى المعروف

بقلم

اسماعيل مظهر

على السيفود

عباس محمود العقاد

- ١ -

يقول جول لمتز الناقد الفرنسى المعروف : « لا أكاد أفرغ من كتاب أقرأه حتى يذهب بى الانفعال مذاهبه حزناً وفرحاً، وقد اضطرب من شدة السرور وكأنما خالطنى ذلك فى اللحم والدم »

احذف هذا الشعور النبيل القائم على الفهم والحق وعلى القلب والعقل، وضع فى مكانه ألام شعور وأخزاه يخرج لك عباس العقاد الجلف الأسوانى قائلاً : « لا أكاد أفرغ من قراءة كلمة طيبة لأحد من خلق الله حتى أمتلىء حقداً وغماً وأرانى أشعلت النار فى لمبى ودى »

إن لم يقل هذا المغرور ذلك فقد قالته أفعاله فى ألام لغة وأخس طبيعة، وهو دائم منذ عشرين سنة لا يعمل إلا بهذه القاعدة ولا تعمل فيه إلا هذه القاعدة وكان يظن أن الناس يهابونه ولكنه لما طرد أخيراً من جريدة البلاغ رأى حيطان الشوارع نفسها تكاد تشتمه وأيقن أنه أهون وأسقط من أن يعاب به أحد، وعلم أن الاحترام كائن لمنزلة جريدة البلاغ لا لمنزلة هو .

وماذا كان يعمل فى جريدة البلاغ ولماذا طرد منها ؟ كان الوفد يحتاج إلى سفيه أحمق يسافه عنه جرياً على القاعدة الحكيمة القائلة : إن الكريم لا يحسن به أن يكون سفيهاً فيجب أن يتخذ له من يسافه عنه إذا شتم، فلم يروا أ كفاً من العقاد وقاحة وجه وبذاءة لسان وموت ضمير وحقاً أ كبر من الحق الإنسانى ولؤم نفس بقدر مجموع كل ذلك وما تقول فى كاتب يناقش الدكتور هيكل رئيس تحرير السياسة والكاتب الذكى والإنسان الرقيق فيكتب فى صدر جريدة البلاغ كتب الولد المسطول !!! ويناقش خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم وهو كاتب سياسى يحكى دقيق الفكر وقد زعم فى بعض

المسائل أنها مسألة إقتصادية فيقول له العقاد في صدر البلاغ : إقتصادية ماذا يا مغفل فلما جاءت الوزارة الأخيرة وأخذت في السياسة بالزرعة الأخلاقية وجعلت تنذر الصحف وتقفها خاف صاحب البلاغ أن تجنى على أهلها براقش فاذا نبحت جرت عليهم الموت فلم يجد للعقاد معنى فطرده إذا أصبحت السفاهة معاقبا عليها فكان ختامه زفت ولكن هل لهذا العقاد قيمة حقيقة ؟ وهل يخشاه أحد من الأدباء كما يظن هو أو كما يخیل إلى بعض الناس في خارج مصر ؟

أما أنا فأذكر للقراء أحدث دليل وقع من أيام فقط . وذلك ما بلغني من أن أدبياً كبيراً أراد العقاد أن يواجهه بثومه في مجلس رئيس تحرير مجلة من أكبر المجلات فثار فيه الأديب وقال له في وجهه بالحرف الواحد . أنت وقع سافل وأنا أحتقرك ولا أعرفك هذه هي منزلة الرجل . وماذا نظنه فعل حين سمع هذا ؟ قال له دمه في داخل ضميره : صحيح صحيح !! فسكت وقام وكاد الباب يبصق في وجهه .

الامر كله وهم وخداع ، كالخمار يلبس جلد الأسد . فلما رأى القراء هذا العقاد لا يكتب إلا سباباً وحقداً ولؤماً وتطاولا على الناس ودعواى فارغة وتضليلاً وإيهاماً بايراد آراء الفلاسفة وزعمه مناقشتها . ظنوا من نتائج كل هذا ما لا بد أن يظنه الضعفاء ويتأثروا به من عمل التكرار . وقد قيل ان الذئب إذا واثب إنساناً ضال حواسه فجعل يشب بغاية السرعة أمامه وخلفه ويمينه وشماله وفوقه ليخيل اليه من نتائج هذه الحركة السريعة انه ذئاب كثيرة لا ذئب واحد ، وبعبارة أخرى ليدبر أمام عينيه ، فلم « ذئاب سينماوغرافى كاذب لا حقيقة له وهكذا يفعل هذا الذئب البشرى العقاد .

ومن أين كل هذا وما سببه . نحن لا نجري إلا على أحدث قواعد النقد . وهذه القواعد تقضى بأن الأفكار راجعة إلى أحوال عصرية وأن ما في داخل الانسان هو الذى يصنع ما في خارجه ، وكذلك الكاتب في كتابته . فلا تصل إلى حقيقتها إلا بعد أن تقف على حقيقة مشاعره وأخلاقه وطباعه وأصله وفصله هي وحدها تفسيره وتفسير ما يكتب وما يعمل .

على هذا الأصل يجب أن يعرف الناس هذا المخلوق المسمى العقاد . والذين قرؤا ما كتبه عنه جريدة الاخبار وعن مولده !! يعرفون أن مثل هذا المخلوق ظل العالم

كله في نظره كالشارع الذي يلقي فيه النقيط فهو لا يرى له مكاناً ولا سكاناً والعالم وأهله في ناحية وهو وحده في ناحية أخرى فهو يكره الوجود من نفسه ويكره نفسه من أجل الوجود .

سل الأطباء ما الذي يؤثر في الجنين أشد تأثير ويخرجه شرساً حقوداً لثماً بالغريزة ؟
انهم يجيبونك إن هذا يحدث حتماً مفضياً إذا كانت الأم في أشهر حملها لا تفكر مثلاً
الأنثى الحقد على رجل غدر بها والغيط من لؤمه النخ فيجيء الجنين مصنوعاً في هذا
المعمل ؟؟ ولن يفلح فيه بعد ذلك أدب ولا تهذيب ولا علم

لو كان العقاد يرضى أن يقال عنه إنه مترجم لأنصف نفسه وأراحها ولكنه
يزعم في وقاحة أهل الشوارع - أن لا عبقرى غيره . فاذا ذهبت تقرأ كتبه رأيت أحسن
ما يكتبه هو أحسن ما يسرقه وهذا أمر يجمع عليه ومع ذلك لا يريد الاصر إلا أن يعد
من أرباب الأملاك !!!

تأمل أسماء كتبه : ساعات بين الكتب مراجعات في الأدب والفنون . مطالعات
في الكتب والحياة « ما هذا ؟ هل هي الاالاوصية الأدبية تسمى نفسها من حيث
لا يشعر الآخر ؟

و اذا ذهب كل انسان يقرأ الكتب التي تعد بالملايين ويلخص كل كتاب في مقالة أو
مقالات فهل يعجز عن هذا العمل أحد وهل يكون كل الناس عباقرة لأنهم قرؤا
وفهموا وسرقوا ولخصوا ؟ لقد هانت العبقرية وأصبح خمسة آلاف من طلبه
البكالوريا في هذه السنة وحدها خمسة آلاف عبقرى أنجبتهم مصر في عام

ويدعى العقاد أنه إمام في الأدب فنخذ معنا في تحليله ، أما اللغة فهو من أجبل
الناس بها وبعلموها وفي مقالته في مقتطف شهر يونيو الماضي تراه يجيء مرتين في
موضعين مختلفين بكلمة « الاثنى عشر » منصوبة من حيث لا يجوز الارتفاع بها ، وقلما
تخلو مقالة له من لحن ، وأسلوبه الكتابي أحق مثله فهو مضطرب مخل لا بلاغة فيه
وليست له قيمة وهو يقر بذلك ولكنه يعلم أنه لا يريد غيره فهم نحن أنه لا يمكنه غيره
هو من جهة اللغة والبيان ساقط لا يكابر في هذا ، أمسك هذه المقدمة أولاً ثم خذ

منه تبيحتها . تبيحتها أنه شاعر عبقرى أهبه نزل عليه الوحي فما قيمة ذلك إذا كان لايجيء الا فى أسلوب سخيف ؟

للعرية سرها فى تركيبها وبيانها فاذا أهملناه صارت العرية (كلام جرائد) يصلح لشيء . ولا يصلح لشيء آخر يصلح ليقرأ ويلقى ولا يمكن أن يصلح للغد والاحتفاظ به .

وأنت تقرأ شعر العقاد فتجد فيه شيئين متباينين — بل متناقضين — الأول بعض أبيات حسنة لا بأس بها والثانى ألوف من الأبيات السخيفة المخزية التى لا قيمة لها . لا فى المعنى ولا فى الفن ولا فى البيان فعلام يدل على هذا ؟ يدل على ذلك بلا شك أن الأبيات الحسنة مسروقة جاءت من قريحة أخرى وطبيعة أخرى غير هذه الذى تعصف بالغيار والافتقار فان الشاعر القوى لا بد أن يتسق كلامه فى الجملة ، وإذا نزل بعض كلامه لعارض ما لم ينزل الا طبقة واحدة أو ما دونها . اما العقاد فيترشح من مائة درجة عندما يسمو . يعنى يسرق فى بيت أو بيتين .

نحن نفتح الآن ديوان هذا السخيف كما يتفق ونخرج . مناصفه . وكذا . وانما أنك لن تفتح صفحة دون أن تقع على سخافات كثيرة . انظر قوله صفحة ٢٠ « لسان الجمال » :

يا من الى البعد يدعوني ويهجرنى * أسكت لسانا الى لقاءك يدعوني

أسكت لسان جمال فيك أسمعته * فى كل يوم بأن التاك يغربنى

هذان البيتان لا بأس بهما ثم يتدحرج بعدهما نازلان . وفى الشطر الاول غلط كلام الجرائد والروايات السخيفة حين تقول (دعاه الى ان يبتعد) ولا معنى لكم دعاه هنا لانها لا تفيد الا الاقبال وهو يريد ضده . وكان الافصح أن يقول فيهجرنى ليكون الهجر مرتبا على رغبة صاحبه فى ابتعاده فيصور اجزاء المعنى بألوانها . والبيت الثانى تكرار لنصف البيت الاول . وقد تجوز العرب فى قولهم: نطق الحلال بكذا لأن المنظر كالمنطق فالجهاز قريب شائع . ولكن البرود كله ان يقول سمعت وجهك يقول كذا او سمعت لسان جمالك يقول كذا فن هذا يقتضى نطقا حقيقيا فيما لا ينطق الا مجازا وهذا ينحط المعنى .

وإذا كان للجمال في هذا الحبيب الذي ما نظنه بربريا أسوانيا — لسان، فلا يعقل أن يكون اما للسان في غير فم خصوصا بعد ما قال « أسمع » وإذن صار الحبيب حيواناً عجيباً في ظاهر أعضائه أعضاء، وما معنى قوله أسمع في كل يوم . إذا كان لسان الجمال ناطقا أبداً فالصواب في كل حين أو في كل وقت وإذا كان أخرس لا ينطق إلا مرة في اليوم فيكون تعبيره حينئذ صحيحا وهذا غير ما يريد המשاعر هل تريد الآن أن تعرف اصل المعنى على أدق وأجمل ما يتأتى في الشعر . انظر قول العباس بن الأحنف

أريد لأدعو غيرها فيجرني لسانى إليها باسمها كالمغالب

فقلب המשاعر المعنى وجعل الذى يغالبه لسان الجمال وبذلك سمط الشعر لأن ابن الأحنف أراد أن الحببة هي غالبة على ارادته فيجره لسانه إلى اسمها إذا أراد أن يتبعه عنه . والعقاد جعل لسان الجمال يدعو فقط ليجره جرأ إذا أراد الحبيب أن يبعده عنه .

وقد عبر أبو تمام أحسن تعبير عن هذا المعنى بقوله

هى الشمس يغنيها تودد وجهها إلى كل من لاقت وإن لم تودد

وتأمل قوله « يغنيها تودد وجهها » فهى كلمة بالعقاد وكل شعره :

نحن نعبث بهذا המשاعر ونفسح له مهربا كمهرب الفأر بين أظافر المر لا يرسله يميناً إلا ليضربه شمالاً . وإنما سرق המשاعر من قول القائل :

تكلتنى هجرانها بلسانها ويدعو إليها حسننها بلسان

وهذا معنى كثير فاش تجده في الغزل وفي المديح أيضاً وهو في الشعر الأوروپى

أكثر منه في الشعر العربى

بجانب هذه القطعة قطعة أخرى معربة عن شكسبير يقول في البيت الثالث منها :

ومالت على أذنيه حتى كأنه لسمع منها شجوها والتندما

فما هذه اللام في « لسمع » ؟ لام عقادية ولا شك ، أى سخافة و تخليط ، ان هذه اللام لا تأتى إلا زيادة في التوكيد، وهنا كأن للتشبيه لا للتوكيد أى لم يقع بل كأنه فلا توكيد في الكلام ولا محل لتلك اللام مطلقا إلا أنها من جهل המשاعر ويقول فيها :

تهدقوى الثبت المريرة من جوى فتعرقه إلا مشاشا وأعظما
 فسر « تعرقه » بقوله : عرق اللحم كشطه وأبقى العظام ، فإذا كان هكذا فعنى
 البليت (تكشط اللحم وتبقى العظام إلا العظام !!!) أهذا بيان أم هذيان ؟ وتفتح
 صفحة ٣٠ فإذا قطعة فى العقاب الهرم يقول فيها :

ويثقله حمل الجناحين بعدما أقلاه وهو الكسر المتقحم
 يريد بالكسر مثل قول الجرائد التى يتعلم فيها (حيوان كسر وأسد كسر)
 وهو خطأ لأن هذه الكلمة لا يقال إلا للطائر حين يكسر جناحيه للوقوع ويقول
 بعد هذا البيت :

جناحين لو طارت لنصت فدومت شماريخ رضوى واستقل يللم
 قال فى الشرح : التدويم تحويم الطائر فى الفضاء والشماريخ القلال والمعنى أن خاصة
 (كذا) الطيران سلبت من جناحيه فأصبحتا (كذا) هما والجبال سواء . ما الذى
 فهمت أيها القارىء من هذا الشرح ومن سخافة النظم ؟ يريد المتشاعر أن جناحي
 العقاب الهرم جمدا فلا يطيران فلوهما طارا لطارت فى الجو شماريخ جبل رضوى
 وقام جبل يللم بطير فانظر أى اضطراب وأى حق وأى سخافة ولماذا رضوى ويللم
 دون حملايا والألب ؟ ويقول

لعينيك يا شيخ الطيور مهابة يفر بغاث الطير عنها ويهزم
 بغاث الطير ضعافها وما لا يصيد منها، ومنه قولهم (ان البغاث بأرضنا يستنسر)
 يريدون ان البغاث مع كونه ذليلا عاجزا - لو نزل بأرضنا لاقلب نسرا . فأية قيمة
 للمهابة التى تفر منها ضعاف الطير ؟ أو ليس المعنى الطبيعى الشعرى هو قول
 ابن حجاج

وكل باز يمسسه هرم ترى على رأسه العصافير

وفى صفحة ٣٢ الليل والبحر يقول :

ضل هادى العيون واحلوك الليل فلا فرق بين أعى وهر !!!

ولهذا الظلام خير من النور اذا كنت لا ترى وجه حر

هنا تظهر سخافة هذا العقاد بأجلى مظاهرها فكلامه لثيم وأسلوبه لثيم وسرقاته

لثيمة . يريد أنك ما دمت لا ترى وجه حر من الناس فالظلام خير من النور .
 ما الأما ما الأما . ألا يغور هذا المتشاعر في الأرض وهو يعرف أنه يسرق الآم سرقة .
 من قول القائل

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتي طلعة حر
 أعرفت الآن سنخف العقاد ونؤم شعره وركا كديانه المهدم وأنه يمشى في الشعر
 على رجلين من الخشب !!!!
 وفي صفحة ٣٧ يزعم المتشاعر انه يعارض ابن الرومي ولو بصق ابن الرومي .
 لغرق العقاد في بصقته . يقول

في كل روض قرى للزهر يعمرها يا حبذا هي آيات وسكان
 ولا أدل على جهل العقاد بالنحو والعربية من هذا فان (آيات وسكان) هنا في
 هذا التركيب يجب ان تكون منصوبة على التمييز وقد جعلها مرفوعة لأنه جاهل جهلا
 صريحا . ويقول فيها:

نقاه عن عرس الدنيا شواغله ان الحداد عن الأعراس شغلان
 من أى لغة جاء (بشغلان) ؟ من قول الإمامة : عاملها شغلانة !!!!
 ومن مضحكات هذه القصيدة

بالغنص شبهه من ليس يعرفه وانما هو للرائين بستان !!
 وهل نما قط في غصن على شجر آس وورد ونسرين وسوسان ؟
 اذن هذا الحبيب أشجار مختلفة . اما تشبيهه قده بالغنص فخطأ في رأى المتشاعر .
 ويجب أن يشبه قده بالحقل !!! أليس هذا الخلط أسقط ما يمكن أن تعثر بمثله في .
 أسنخ الشعر في أحط الأزمنة ؟ ولكن العقاد مجدد !! مجدد ابهره باب آيه !! انظر
 الأصل الذى سرق منه لابن الرومي

لاى أمر مراد بالفتى جمعت تلك الفنون فضمتن أفان
 تجاورت في غصون لسن من شجر لكن غصون لها وصل وهجران
 تلك الغصون اللواتي في أكتها نعم وبؤس وفرح وأحزان
 ما أجمل هذا التصوير وأبدعه في جعل ثمار تلك الغصون الانسانية نعا وبؤسا

وأفراحا وآلاما لا كما صنع المغفل الذى جعلها آسا ووردا ونسرينا وسوسانا ولو كانت.
القافية لامية لحسبناه يجعلها بصلا وثوما وكرثا وفجلا !!! على أن المتنبي أشار الى
ذلك المعنى إشارة رقيقة فى قوله : مظلومة القذى تشبهه غصنا . ولو كان فى طبع المتنبي
الغزل لأبدع واستوفى المعنى ولكنه فى الغزل ضعيف جدا يقلد غيره
ويقول العقاد

يا من يرانى غريقا فى محبته وجدا . ويسألنى هل أنت غصان ؟
يعنى إيه ؟ الغصان من به غصة وهى ما يعترض فى الحلق فيساغ بالماء . فاما معنى
ان يكون الغريق غصان ؟ الظاهر ان هذا العامى المتشاعر ظن أن الغصان معناه
الظمان والغريق لا يسأل هل أنت ظمان لان الماء يملأ حلقه وجوفه .
وانظر قول البحرى حين لاح له مثل هذا المعنى
كان يحبى ميتا من ظما . بعض ما أوبق ميتا من غرق
انظر الفرق بين الشاعر الحقيقى مثل البحرى والمتشاعر الدعى الغبى مثل
العقاد الذى يقول

إنى الى الرعى من عينيك مفتقر يا ضوء قلبى فان القلب مدجان
فسر (مدجان) فى الشرح بقوله : غائم !!! ومدجان مفعال صيغة مبالغة
فكيف تاتى صيغة المبالغة من الرباعى أى فعل أذجن ؟ والظاهر أن هذا
العامى فهم من معنى (الرعى) النظر، مع ان قولهم راعاه الله لا يكون الا بمعنى حفظه
فالمعنى انه مفتقر الى ان تحفظه عينا الحبيب !!! لان قلبه مدجان .
الحق ان الذى يقرأ هذه القصيدة ويقول ان العقاد شاعر وأنه يعرف العربية
لا يكون الا مغفلا بل من أشد المغفلين ، وزعم ناظمها أنه شاعر واتيانها فى ديوانه هو
الدليل على انه مغفل، ودليل آخر على أنه مغفل قوله :

والشعر من نفس الرحمن مقتبس . والشاعر النذير بين الناس رحمن !!!
لا تشير الى إلحاد هذا الدعى الزميم فهو يباهى به، ولكنه لما كان يدعى لنفسه انه شاعر
فد فكأنه فى رأى نفسه اله !!! أغثوه بطبيب مستشفى المجانين أيها الناس
قالوا ابن آدم من قرد قفلت لهم : * كلا ولكن فى النجر ثعبان

يعني في الأصل، وهذا رد من العقاد. داروين وماتركه الى هذا المعنى الامن
لثوم واذاء وطوله

وقتح الآن صفحة ٦٠ فراه يقول يصف امرأة في حمام البحر

البحر يغضب وهي ضاحكة : شتان بين السخطة والسخر

وتميل من ظهر الى بطن : طوراً ومن بطن الى ظهر

هذا دليل جديد على جهل الرجل بالعروض فان آخر الشطر الاول من البيت الثاني
عروض حذاء مضمرة والاضمار مع الحذاء لا يقع الا في الضرب : اى في آخر البيت
ومعنى هذا انه لا يجوز ان يقول في هذا الوزن (الى بطن) بسكون الطاء بل يجب
أن يكون في مكان الطاء حرف متحرك .

نظماً في النحو وخطاً في اللغة وخطاً في العروض وسخافة في المعنى ولثوم في السرقة
وغباوة في الذوق . ماذا بقى منك ايها الدعي لتكون شاعراً به ؟ ، وفي صفحة ٦٥ :

فاكتب على هذا الزمان ذنوبه : انا توجله الحساب الى الغد

ومع سخافة المعنى عدى (أجل) الى مفعولين وهو لا يتعدى الا الى مفعول واحد
و قلب الآن صفحة ١٠٥ ضيق الأمل :

شر ما يلقي الفتى أجلى : ضيق عن واسع الأمل

انظر غباوة اللص لتعرف أنه لص وقابل هذا البيت بقول القائل

أمل من دونه أجلى : فمتى أفضى الى أملى ؟

أليس هذا هو الشعر وأليس كلام العقاد هو الهذيان . أعرفت الآن أن هذا
السخيف الأسواني لص يسرق من الجوهرى ويبيع في سوق الكاتو !!! ؟
(. . .)

« العصور » فتحنا هذا الباب لأننا نعتقد بأن الصحف إنما وجدت لتكون ميدناً
تحر فيه الافكار وتظهر فيه نزعات الكتاب على حقيقتها . لهذا نرحب بكل نقد وفتح
هذا الباب . على مصراعيه لكل كاتب سافراً كان أو مقنعاً



الزباء (زنوبيا)

تقلا عن جيبون مؤرخ الرومان

الزباء هي ملكة تدمر وسيدة الشرق الشهيرة . وهي المرأة الوحيدة التي تغلبت بمهارتها الفائقة على الاستكانة والخنول اللذين طبعهما جو القارة الاسيوية وأخلاق أهلها على طبيعة بنات جنسها . وتفوقت بذلك - إذا استثنينا سميراميس - على جمع السيدات اللاتي أنجبتن أوربا الحديثة فبهرن العالم بحكمهن المجيد

والزباء من سلالة ملوك مصر المقدونيين (البطالسة) تحاكي سالفها كليو بطرة جمالا وحسنا، وإن كانت تفضلها عفاقا وإقداما: فقد كانت الزباء تعتبر أبهى سيدات عصرها شكلا وأكثرهن شجاعة : كانت سمراء اللون . ذات أسنان منضدة كعقد من الدر أو زهرة من الأقحوان، وكان لعينها بريق غريب يمتزج بحلاوة جذابة . وكان صوتها مع شدته جميلا رخيم الحواشي، ومداركها العالية كان يثقفها البحث والاطلاع فلم تكن تجهل اللغة اللاتينية وكانت ملبة باللسان الإغريقي واللغة السريانية، كما أنها كانت تجيد اللغة المصرية القديمة . وقد وضعت في تاريخ الشرق كتابا نفيسا ضارعت به هوميروس وأفلاطون .

تزوجت هذه المرأة الكاملة من أذينة (Odenathus) الذي ارتقى بنفسه من مركز عادي حتى تبوأ عرش الشرق . فأصبحت بزواجها هذا صديقة ورفيقة لأحد الأبطال . وكان زوجها يلهو - في الفترة بين الحروب - بالصيد وقنص أنواع الحيوان الضارية كالسباع والذباب شأن الملوك المهرة في الحروب . ولم تكن زنوبيا أقل منه مهارة في هذه التسلية الخطرة، وذلك لأن بنيتها لم تكن ليتسرب إليها الكلال وعزيمتها لا يطررها الملل . ومن عاداتها أنها طرحت جانباً الركوب في مركب مغطي : وكثيرا ما كانت تبدو على ظهر جوادها في حلة عسكرية أو تسير على قدميها أميالاً عدة في مقدمة جيوشها .

وقد يرجع الفضل في نجاح زوجها أذينة نجاحا باهرا الى ما تحلت به من فطنة وقوة نادرتي المثال . فكانت انتصاراتها على الملك العظيم ، عاهل الرومان ، أساسا وطيدا لشهرتهما وسلطانهما المشتركين

قتل أذينة عام ٢٦٦ قبل الميلاد بيد ابن أخيه في حفلة صيد انتقاما منه لأهانة ألحقها به، فأجهزت زنوبيا على قاتله بعد زمن قليل على مذبح ذكرى زوجها المحبوب وترعت في دست العرش ما يزيد على خمس سنين جمعت فيها حولها أخلص أصدقاء زوجها تسترشد بآرائهم في حكم تدمر وسوريا والشرق . ورأى الرومان خطأ أن يسحبوا الامتيازات التي كان يتمتع بها أذينة بصفة خاصة أيام حياته فوجهوا اليها جيشا عرمرما كان نصيب فائدة التقهر المعيب مع فقدان رجاله وسوء سمعته، وكانت مدة حكم الزباء المجيدة ممتازة بأرشد الوسائل السياسية . اذ كانت تكظم غيظها وتخفف من حدتها في مواطن العفو والغفران . وتسدل ستار السكوت الرهيب على عواجل الشفقة والرحمة في مواقف العقوبة والقصاص . وقد بلغ من شدة اقتصادها أن رمت بالبخل والتقتير غير أنها كانت تبدي في ظروف عدة دلائل الكرم والسخاء . وكانت البلاد المجاورة لها كالعرب وأرمينا والفرس تخشى عداها وتخطب من وقت لآخر ودها . وأضافت زنوبيا إلى ممتلكات زوجها - التي كانت تمتد من نهر الفرات إلى بحر الأرخيل - الأقاليم المصرية الغنية بتربتها الآهلة بسكانها فاسترجعت بذلك ثرائها ثانيا من تراث أجدادها واستحقت بعملها هذا احترام عاهل الرومان وتبجيله إياها على أن ملوك زنوبيا كان يشوبه بعض الابهام . إذ أنها جمعت بين عادات أمراء الرومان المألوفة ونخامة الملوك الآسيويين . وربت أولادها الثلاثة تربية لائنية . وكثيرا ما عرضتهم على جيوشها في الوشاح الأرجواني الامبراطوري شأن ملوك الرومان . في حين أنها حفظت لنفسها تاج الملك مع لقب «ملكة الشرق» العظيم

ولقد كانت زنوبيا تفقد صيتها الذائع وشهرتها الواسعة لو تقاعدت . فسمحت لامبراطور الغرب بأن يقترب مائة ميل من حاضرة ملكها، على أن حظ الشرق كان قد تقرر في واقعيتين : أولا هما قرب انطاكية وثانيتهما نت ملكة تدمر تأثير حماسة رجالها بوجودها في طليعتهم

وتبعث فيهم روح الاقدام بما كانت تبديه من ضروب الشجاعة والفروسية، وكانت قوات زنوبيا العظيمة مؤلفة من نشاين وفرسان مدرعين بملابسهم الحديدية، فلم يستطع فرسان أورليان الوقوف أمام هجماتها فقروا هاربين طوعاً أو كرها وتبعهم التدمريون، ثم عاد المتحاربون فاشتبكوا في وقائع فردية تغلب فيها جنود الأمبراطور ورأت زنوبيا أنها لا تقدر أن تحشد جيشاً آخر لانضمام الأمم التي كانت خاضعة لها إلى لواء خصمها المنتصر وأنفذ الأمبراطور أحد قواده لغزو مصر. وكانت تدمر آخر ملجأ لزوجة أذينة فانسحبت إلى داخل جدرانها وأعدت العدة لأشد مقاومة ثم أعلنت في شجاعة الأبطال أنها ستقرن آخر لحظة من أيام سوددها وسلطانها بآخر نسمة من سمات حياتها

وقصد الأمبراطور أورليان إلى تدمر فكان عرب الصحراء يهاجمونه من آن لآخر على غرة فسلبوا من جيشه كثيراً من المتاع والرجال ولكن هذا لم يثن من عزيمة الأمبراطور الذي كان يسير في مقدمة قواته برباطة جأش على الرغم من إصابته بنشأب صوبه إليه أحد أعدائه. وإليك بعض ما قاله عن هذه الحرب :

هذكر الرومان بامتهان هذه الحرب التي أشن غارتها على امرأة ولكنهم يجهلون حقيقة الزباء وقوتها. وأنه ليعسر عليهم أن يحصوا معداتها الحربية من أحجار وسهام أو يعدوا كل أنواع المقذوفات والمنجنيقات التي تحصن بها كل جزء من أسوار حاضرتها وإنهم ليصعب عليهم أن يدر كواهل الآلات الحربية التي تقذف النيران والسوائل المفرقة الملتبهة على مهاجميها، أجل لقد شدد خوف الزباء من العقاب عزميتها وأولاهها شجاعة، فائقة تدافع بها دفاع المستنصر المستميت، على أنى أعتمد في قهرها. واذلها على مساعدة آلهية رومية الذين شملوا برعايتهم في حروبنا السابقة.

غير أن العاهل — على الرغم من اعتقاده في معونة آلهته عرض على الملكة شروطاً حسنة للتسليم سمح فيها لها بتقهقر شريف، ووعد بأن يتمتع رعاياها بجميع امتيازاتهم القديمة. ولكن الزباء أصرت على رفض شروطه وقرنت رفضها بالازدراء والاحتقار

اجتياز الصحراء قافلين . ويشجعها عليه اعتقادها - بحق - ان ملوك الشرق وخاصة ملك العجم سيقفون مدافعين عن حليفهم الطبيعية، غير أن حظ اورليان ومثابرتة تغلبا على كل عقبة في سبيله . إذ اتفق أن توفي (سابور) شاه العجم في هذا الوقت فار تبكت أحوال الفرس وبدد الامبراطور الجيوش الفارسية التي كانت معدة لنجدة تدمر أو اشترى ذمم قوادها . كما أنه عاد إلى صفوف الرومان ذلك الجيش الذي كان قد وجه لغزو مصر بعد أن نجح في استرجاعها إلى إواء الامبراطورية، فتضاعف به عددها وزادت قوتها وقوى بطشها . كل هذا حمل الزبلاء على الفرار من وجه خصمها فامتطت أجود هجانها . وما كادت تصل به إلى شاطئ الفرات - على بعد ستة أميال من تدمر - حتى لحق بها فرسان الامبراطور وألقوا القبض عليها وأرجعوها أسيرة بين يديه . وسرعان ما سلئت حاجزتها بعد ذلك . ولكنها عولمت بسخاء لم يكن منتظرا ودخلت في حوزة الامبراطور جميع أسلحة تدمر وخيلها وإبلها وكل ما فيها من خزائن الذهب والفضة والحرير وكنوز الأحجار الكريمة . ثم ترك الامبراطور في تدمر حرسا من ستائة شاب وعاد إلى أماسيه حيث أخذ في توزيع المكافآت وانزال العقوبات بعد تلك الحرب الضروس التاريخية

وحين مثلت الزبلاء بين يدي العاهل وسألها مؤنبا : كيف اجترأت على حمل السلاح في وجه ملوك الرومان ؟ كان جوابها أنها تأنف أن تقيم وزنا لامثال « اريولاس » و « جاليناس » ولكنها في الوقت نفسه لا يسعها الا أن تعترف بأنها أسيرته وخاضعة لحكمه . ولما كانت قدرة الاحتمال عند النساء غير طبيعية فإنها قل أن تكون ثابتة قوية لذلك فارقت الزبلاء شجاعتهما في هذه الساعة الرهيبة وأخذت فرائصها ترتعد كلما صاح أحد الجنود طالبا اعداءها ، وسرعان ما غاب عن ذهنها سخاء كليو بطره - عند ياسها - تلك التي اتخذتها مثلا لتحذى حذوه - وسرعان ما دفعت لحياتها ثمنا غاليا من عظيم شهرتها وأرواح أصدقائها فنسبت إلى مشورتهم وأثرها في نفسها الضعيفة جريمة مقاومتها العنيفة . وصبت على رموسهم جام غضب اورليان العاقى وأنزلت على هاماتهم شر انتقامه القاسي

وما كاد اورليان يجتاز المضيق الواقع بين آسيا وأوروبا حتى علم أن التدمريين قتلوا الخاكم وأعدمو الحراس الذين تركهم خلفه . وأنهم رفءوا راية العصيان وشقوا

عصا الطاعة فولى وجهه شطرهم على الفور وأنزل بالمدينة التسعة أشد صنوف العقاب . فاستحال ذلك المركز الكبير — مركز التجارة الواسعة والفنون الجميلة . مركز الزبائ العظيمة — الى بلد صغير فخصن مجرد عن وسائل الدفاع فقريبة حقيرة . وأصبحت مساكن الثلاثين أو الأربعين أسرة الباقية من سكان تدمر عبارة عن أكواخ من الطين داخل سور أحد معابدها القديمة الفخمة .



ولم يبق بعد ذلك أمام أورليان ذى العزيمة الحديدية الا أن يجمع فتنة فى وادى النيل أثارها أحد الخارجين عليه أيام ثورة تدمر . وكان هذا يدعى المسمى فرماس (Firmus) يفخر بصداقته لآذنه وزنوبيا وكان تاجرا مصريا ثريا نشأت بسبب تجارتها مع الهند صلات وثيقة بينه وبين العرب وقبائل البلة القاطنين على جانبي البحر الأحمر وصعيد مصر . وقدمنى «فرماس» المصريين بنيل حريتهم فاذكى فى نفوسهم نيران الثورة . ثم سار على رأس جموعهم المتحمسة حتى دخل مدينة الاسكندرية حيث ارتدى الوشاح الأرجوانى الامبراطورى وصك النقود باسمه وأصدر اللوائح والقوانين ونظم جيشا عظيما زعم أنه يستطيع الانفاق عليه من تجارة الورق التى كان يحترفها ، ولكن هذا الجيش لم يكن يصلح للدفاع أمام أورليان فانهزم «فرماس» ووقع أسيرا فى قبضة أعدائه الذين شدوا وثاقه على آلات التعذيب الجهنمية حتى فارقه الحياة . وحق لأورليان بعد هذا أن يبنى مجلس الشيوخ ويبنى الشعب ويبنى نفسه بأنه وطد دعائم السكينة والنظام فى أرجاء العالم الرومانى فى مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات



ولم يكن بين القواد الرومان من هوأحق من أورليان بالفخار والحقاوة . ولم تشهد روما منذ نشأتها — استقبالا أغفر وأبهى من استقبال هذا البطل العظيم : كان فى مقدمة الموكب عشرون فيلا وأربعة نمره ملكية وما ينيف على مائتى حيوان غريب من الأقطار الشمالية والشرقية والجنوبية . وكان يتبع هؤلاء كنوز آسيا وخزائن ملكة الشام . ثم سار ممثلو الممالك القاصية كاثيوبيا والعرب والفرس وتركستان والهند والصين ، كل فى لباسه الثمين المزركش ، فزادت بمشهدهم شهرة ملك الرومان ونفوذه ، وبعده هؤلاء عرضت

الهدايا التي قدمت الى الامبراطور، وكان أبهرها للعيون وأجذبها للالباب مجموعة من التيجان الذهبية. ثم جاء دور الأسرى العديدين من الأقاليم المختلفة فكانوا يسرون مكرهين في صفوف طويلة كل طائفة منها يميزها عليها. وكانت زنوبيا ملكة الشرقيين الأسرى الذين اتجهت اليهم الابصار وأشرأت لرؤيتهم الاعناق، كان شخصها الجميل مكبلا الأغلال العسجدية يكاد قوامها البديع الشبيه بغصن البان ينهء بعبء الاحجار الكريمة المحلاة بها ملابسها وهي تمشى على قدميها أمام مركبها الفخيم الذي طالما تأقت نفسها الى الدخول به غالبية من أبواب روما، وكان خلف مركبها آخران، أحدهما لاذينه والثاني للملك العجم. أما مركب انتصار أو رليان فكان يحره في هذا الموكب أربعة طباء يعقبه عظماء الشيوخ وكبار الشعب وقواد الجيش.

على أن أورليان عامل أسراء ومنافسيه معاملة رحيمة قل أن تصدر من الغازين الأقدمين فأمرأوه الذين اخفقوا في الدفاع عن عروشهم أو حريتهم شنعوا غالبا في السجون عقب احتفال الحفاوة بمقدم الامبراطور والمغتصبون الذين غلبوا على أمرهم بسبب خيانة أحد إتباعهم عفا عنهم وسمح لهم بعيشة رغدة وحياة هادئة طيبة أما زنوبيا فقد وهبها الامبراطور قصرا بديعاً في «تيفولي» على بعد نحو عشرين ميلا من الحاضرة الرومانية حيث تمتعت بحياة سعيدة راضية وزوجت بناتها من أسرات نيلية وظلت شجرة ذريتها باسقة الأغصان حتى القرن الخامس بعد الميلاد.

احمد ابراهيم

مدير التعليم بأسبوط

(العصور) نشكر للاستاذ المربي الكبير أحمد بك ابراهيم موافاته لنا بهذا المقال التاريخي المفيد، وبهذه المناسبة نذكر أن زميلتنا مجلة (الانحاء) نشرت في عددي مايو ويونيو مقالا ممتعا للاستاذ على محمد البحراوى نقد به الاثويرة الرائعة (الزباء) التي نظمها الاستاذ الكبير الدكتور أبو شادي وأصدرتها المطبعة السلفية بالقاهرة منذ سنتين

نظرات في تاريخ الإسلام

لبيق الله دوزي مترجمة بقلم الأستاذ طاهر كيراني

« وأشترط على نفسي أن لا أعرض
لذكر ما أعتمدته ، فيما أجده مخالفاً لما أعتقده
فإن التقرير غير الرد ، والتفسير غير النقد ،
« نثر الدين الرازي ،

(٢)

زد على ذلك ، أن الإسلام — وإن لم يلق معارضة قوية أثناء فتوحاته المتوالية المظفرة —
فإن سراه مكة وطبقة الأرستقراطية العربية لم يغفروا لأصحاب هذا الدين الجديد ومؤسسيه
هذا الفوز الذي أحرزوه ، ولم يرضوا عن ذلك السلطان الذي أراد الموحدون
أن يبسطوا ظله عليهم .

ولقد كانت تقوم المنازعات والشعب على مسألة من المسائل ظاهر أمرها
أنها شخصية لا علاقة لها بمبدأ أو عقيدة ، وهي في حقيقتها وجوهرها غير ذلك
فقد كان يتخذ النزاع غرضاً يحوم حوله ومبدأ يناضل عنه ليتخذ منه تكة يبرر بها
غايته من الشعب .

وقد بدأ ذلك بحادث عثمان ، ثالث الخلفاء ، حين تولى الخلافة بعد وفاة عمر (٦٤٤ م)
وكانت سن عثمان حيثئذ سبعين عاماً ، وكان حلياً لين العريكة ، ضعيف الإرادة أمام
أسرته وأعيان مكة وسراتها ورجال بني أمية . أي أنه كان ضعيف الإرادة أمام كل
من ناصبوا بمحمد العداء عشرين عاماً ، فلما أسلبوا كان في إسلامهم مجال واسع للظنون

والخذر، ولقد نالوا بفضل عثمان، أرفع المناصب وانتهت المأساة الكبرى بقتل المسلمين خليفته الشيخ المسن عثمان.

ثم ولى الخلافة من بعده علي بن عم محمد، ولكن لم يتم الاعتراف به في كل مكان، فقد هبت سورياء متمسكة إلى امتشاق الحسام — وعلى رأسها واليها معاوية بن أبي سفيان، وكان انتصاره حينئذ انتصار جبهة المعادين للإسلام، الذين كانوا يناوئونه من صميم قلوبهم، على أن المسلمين حقاً لم يخضعوا لهم، فقد أشعلوا نيران الحرب من جديد في زمن يزيد الأول، ابن معاوية الذي ولى الخلافة من بعده. ولقد قام الحسين، وهو الابن الأصغر لعلي، يطالب بالخلافة، ولكنه صرع — وهو وقتئذ القليلة التي كانت تنصره في موقعة كربلاء. (١)

ومن ثم قام عبد الله بن الزبير — وهو ابن صحابي من صحابة الرسول — إلى مكة رافعاً علم الثورة، وظل ستة كاملة لا يحفل به الخليفة، ولا يلتفت إليه استصغاراً لشأنه. ذلك أنه لم يغادر مكة إلى غيرها من البلدان فلم ير له الخليفة خطراً يستحق أن يناوئه من أجله. ورأى أن من الحزامة أن يتركه وشأنه، حتى لا يثير عليه حفيظة المسلمين أكثر مما أثار من قبل بلا حاجة، فلم تكن ثمة ضرورة قاهرة تضطره إلى أراقة الدماء في بقاع كانت — حتى في زمن الوثنية — حرماً مقدساً لا يمس أحد بسوء.

ولكن لكل شيء حداً. فقد صبر يزيد حتى عيل صبره، فلما لم يبق في قوس الصبر منزع طلب إلى عبد الله بن الزبير — المرة الأخيرة — أن يبايعه، فلما رفض امتزج الخليفة بالغضب وأقسم أنه لن يقبل من هذا التأثير طاعة حتى يوثى به بين يديه مكبلاً بالأغلال. ولما هدت نائرة الخليفة ندم على قسمه — وكان طيب السريرة —، ففكر في وسيلة يبر بها في قسمه دون أن يمس كبرياء عبد الله، ثم استقر على أن

(١) وفي ذلك يقول الكمي:

يحلتن من ماء الفرات وظله حسينا، ولم يشهر عليهم منصل
كأن حسينا والبهاليل حوله لأسيا فهم ما يحتلى المتقبل !

« المترجم ».

يرسل اليه غلاماً من الفضة ومعه حلة فاخرة ليخفيه تحتها اذا شاء ، وبعث اليه برسل يحملون معهم هدايا ثمينة ، فساروا من مقر مملكة « دمشق » حتى بلغوا « مكة » ولكن عبد الله رفض — بطبعه — أن يقبل تلك الهدايا ، وعبثاً حاول الرسل أن يتوصلوا إلى اقناعه وانزاله عن رأيه . فقد أصر « عبد الله » على عناده لأنه كان يعتقد أن كائناً من كان لن يفكر — بحال ما — أن يلجأ إلى العنف والشدة معه وهو في تلك البقاع المقدسة . وكان هذا سرطمانيته ، وقد أد كد له الرسل بصراحة أن الخليفة لن يعنف معه ولن يقدم على مثل ذلك العمل .

على أن « عبد الله » لم يكن أول من تعرض لغضب الخليفة ونقمته ، فقد سبقه إلى ذلك ثوار « المدينة » . وكانت روح الشر مهيمنة عليهم في ذلك الحين ، فقد وقعت بينهم وبين الوالى — حينئذ — خصومة بسبب النزاع على تملك بعض الاراضى ، وأراد الوالى إزالة أسباب الخلاف — وكان من أبناء خؤلة الخليفة يزيد — ، فصحح سراة المدينة وأعيانها أن يذهبوا إلى بلاط الخليفة ، فلما ذهبوا ، قابلهم الخليفة أحسن مقابلة وأكرم وفادتهم وتلطف معهم رغبة في أن يستميلهم اليه ، ولكن يزيد كان — رغم أدبه ونبله — غير مشبع بروح احترام الدين الذى كان يمثله وهو خليفة المسلمين الأعظم فبدرت منه آراء — عن غير قصد — صدمت بعض أصول الدين التى يقدها أهل المدينة ، فلما عادوا إلى بلادهم عادوا ساخطين وأخذوا يشهرون بالخليفة ويدمونه عند مواطنهم متأثرين بعامل الغضب ، فقالوا لهم : « انه يشرب الخمر ويعزف على الاوتار ويصرف نهاره بين كلاب الصيد (وقد كان محمد يمقت ذلك أشد المقت) فاذا جن الليل جلس بين اللصوص وقطاع الطرق » — يعنون بذلك البدو والأعراب الذين نشأ بينهم يزيد وترعرع فلما كبر أدناهم من مجاسه

وزادوا على ذلك أنه لا يصلى قط وأنه جاحد ، وعزوا إليه فوق هذه التهم التى بنوها على أساس — وه أو متين — تهما أخرى لا أساس لها ولا وجود ، وإن كان ذكرها بما يثير في نفس خصومه من أهل المدينة حفاظ وأحقاداً بعيدة الأثر وكانوا يميلون إلى تصديق كل تهمة تلاصق بكل أموى

ومن ثم انقلب المسجد مسرحاً عجيباً تصب فيه اللعنات على يزيد وأتباع يزيد

واجتمع أهل المدينة قاطبة وهم صاخبون فشرع كل واحد منهم يتجر من شيء من ملابسه فيلقى به صائحا — :

« إني أخلع يزيد كما أخلع قبائي هذا،

أو « عمامي »

أو « نعلي »

ثم طردوا كل من في المدينة من الأمويين ووقفوا عن تعيين خليفة جديد لهم فقد كان القرشيون الذين في المدينة لا يحبون أن يعترفوا بأهلها ، كما كان أهلها كذلك لا يحبون أن يعترفوا بهم

فقر رأيهم على أن يترثوا في تعيين الخليفة حتى يتم خلع يزيد !

واستحوز عليهم عداء جنوني لا يحدوه رشد فلم يتصرفوا ، عواقب هذا الاندفاع وكيف تقف مدينة واحدة أمام جيوش الأمبراطورية الإسلامية العظيمة كلها ولقد حاول عبثاً أحد المدنيين — وكان قد عاش في بلاط الخليفة ، ثم أوفده سيده إلى المدينة — أن يبين حقيقة الخطر لمواطنيه فقد أعماهم الغضب فأصبحوا لا يعيرون الناصحين التفانا ولا يصيخون إلى أية موعظة تقدم إليهم بحسن نية

وحينئذ رأى الخليفة أنه مضطر إلى الالتجاء إلى القوة فأرسل إليهم جيشاً عهد بقيادته إلى « مسلم » — وكان « مسلم » أقرب إلى الوثنية منه إلى الاسلام — فأمره أن يترك لأهل المدينة ثلاثة أيام يفكرون فيها ، فإذا أبوا أن يخضعوا — بعد ذلك — هاجمهم ودمر مدينتهم تدميراً في ثلاثة أيام أخرى ، ثم ليأخذ على من فيها الموائيق بأنهم عبيد يزيد وليقسموا على ذلك فإذا رفض أحدهم أن يفعل قطعت رقبته

ولم يكذب يبلغ أهل المدينة رسالته حتى هبوا ثائرين أنفة من الخضوع وأعدوا عدتهم للقاء العدو وجاهد الفريقان بشدة وصبر نادرين (وكانت موقعة الحرة سنة ٦٨٣ م) وظهرت الخسائر من الفريقين متكافئة ، وكان أهل المدينة متحمسين تذكي فيهم الحرارة والقوة تعصبهم الشديد واعتادهم الثابت أنهم المختارون وأن أعداءهم — من جيش سورياهم — عند الله كالوثنيين سواء بسواء ، وكانوا على يقين

من أن خصومهم إذا ماتوا صبت عليهم اللعنات واثرا بغضب من الله ، أمامهم فانهم
سا لكون - بلا شك - مسالك الشهداء والأبرار

وبقى مصير الحرب معلقا في كف الأقدار زمانا طويلا حتى كشفت الخيانة عنه ،
فقد ارتشت أسرة من المدنيين فتحت أحد أبواب المدينة لفرقة من جيش العدو ،
فدخل السوريون وسمع أهل المدينة من خلفهم فجأة صيحات النصر من أفواه
السوريين ، فضاغ كل أمل لديهم في الفوز والغلبة ، وأصبحت المدينة في قبضة العدو
وصار كل هجوم عبثا ومستحيلا ، على أن جمهورتهم لم تفكر في الخطر المحدق بها فهجم
أهل المدينة على أعدائهم فرادى و باعوا حياتهم بأعلى ثمن استطاعوا أن يبيعوها به !
و كان من بين القتلى سبعمائة من حفظة القرآن وأربعة وعشرون من الصحابة ، ولم
يكن أحد من الصحابة الذين حاربوا مع النبي قد حارب بعد أن نصره في حرب بدر
على المكين ، حتى شهدوا هذا اليوم المشؤم

ودخل « المدينة » فرسان سوريا فلما لم يجدوا مكانا يربطون فيه خيلهم ربطوها
في مسجد المدينة بين جدث النبي و كرسيه ، أى في نفس المكان الذي ظالموا سماء النبي
نفسه جنة من جنات الفردوس

ثم نهبوا المدينة في ثلاثة أيام وسبوا كل من فيها من نساء وأطفال ، ولم ينج أحد من
بقي من أهلها - فقد فرأ أكثرهم - إلا بعد أن أقسم أن يكون عبدا من عبيد يزيد
و هكذا أقسموا جميعا على أن يكون الخليفة سيدهم ومولاهم وأن يكون في حل
من التصرف فيهم بما شاء من عتق أو بيع ، كما أقسموا أن يكون له الحق في كل ما تملك
أيمانهم من نساء وأولاد وأرواح

ولما رأى أبناء مؤسسى الاسلام أنهم مضطهدون معذبون وأن بنى أمية قيد
أرهم قهرا إرهابا ، لم يجدوا أمامهم وسيلة غير المهاجرة ، فهاجر الكثيرون منهم إلى
حيث انضموا إلى جيش أفريقيا ، وقد انضم أغلبهم - فيما بعد - إلى جيش العرب في
إسبانيا .

و كان « مسلم » مكلفا أيضا بأخضاع مكة ، ولكن الموت عاقبه عن تحقيق إرثته : فأخذ
« الحسين » (وهو أحد رجال جيشه) على نفسه أن يحقق ذلك : فتولى قيادة الجيش

بدأ يحاصر مكة و يقذف السكبة بالحجارة والصخور حتى حطم عمدتها وقواعدها
ثم نجح أخيراً في إحراقها جملة. ولقى الحجر الأسود في هذه المرة أول نكبة حاقت
به لأنه لم يطق مقاومة النار فتحطم أربعة أجزاء :

على أن مكة لم يتم إخضاعها. فقد حال دون ذلك موت يزيد و ما أعقبه
من الفوضى التي اضطرت الجيش إلى رفع الحصار و الرجوع بالجيش توالى سوريا
وبهذا استعاد «عبد الله بن الزبير» قوته واستتب لها أمر الخلافة في مكة و خارجها أيضاً
ولكن الأمور بين مالبثوا أن تم لهم الأمر من جديد بعد أن تولى الخلافة
«عبد الملك» : و خضعت البلاد كلها ولم تبقى إلا مكة وحدها ثائرة وفيها «عبد الله بن
الزبير» فلما رأى «عبد الملك» ذلك وجه إليها جيشاً بقيادة الحجاج، فذهب إلى تلك
البقاع المقدسة. وحاصر المدينة و طفق يرمي السكبة بالصخور والحجارة ليدهكها دكا
وبينما كان يقذفها بالنار - ذات يوم - هبت عاصفة شديدة فأحرقت النار اثني عشر جندياً
فرأى الجيش في ذلك عقاباً من الله على انتهاك حرمة ذلك المكان المقدس. فأحجم
رجال الحجاج وكفوا عن ذلك

فاغتاض الحجاج وخلع بعض ملابسه وتقدم إلى المنجنيق فأخذ يده حجرًا ووضع
فيه. ثم حرك حباله بعد ذلك وهو يقول - : «لقد أخطأتم الفهم، فليس معنى ما حدث
هو ما فهمتموه. ألا إنني لخير بطيعة هذه البلاد فقيها ولدت وقد رأيت لهذه العاصفة
أشباباً لا يحصى لها عد !»

وظل يشدد الحصار عليها بقوة عدة أشهر. ثم أخذت المدينة بعد أن مات عبد
الله بن الزبير (١) سنة ٩٦٢ م .

(١) مصر ع. عبد الله بن الزبير

(١٧ جمادى الأولى سنة ٧٣ هـ)

جمع القرشيين في الليلة التي قتل في صبيحتها فقال لهم : « ماترون ؟ » فقال رجل منهم :
« والله لقد قاتلنا معك حتى ماتنا معك »

و الله لمن صبرنا معك ما يزيد على أن نموت معك إنما هو إحدى خصلتين

إما أن تأذن لنا فنأخذ الأمان لأنفسنا ولك ، وأما أن تأذن لنا فنخرج .

فقال عبد الله :

« قد كنت عاهدت الله أن لا يبايعني أحد ، فأقبله بيعة ، فقال رجل آخر :

« اكتب الى عبد الملك

فأجابه :

كنت أكتب اليه : « من عبد الله أمير المؤمنين ،

فوالله لا يقبل هذا مني أبدا

أو أكتب اليه : « لعبد الملك أمير المؤمنين . من عبد الله بن الزبير ،

فوالله لأن تقع الخضراء على الغبراء ، أحب الى من ذلك .

قال عروة أخوه :

« يا أمير المؤمنين ، قد جعل الله لك أسوة ،

فقال له : « من هو أسوتي »

قال « الحسن بن علي بن أبي طالب ، خلع نفسه وباع معاوية ،

قالوا : فرفع رجله وضرب « عروة ، حتى القاه ، ثم قال :

يا عروة ! قلبي اذن مثل قلبك ، والله لو قبلت ماتقولون ، ما عشت الا قليلا وقد

أخذت الدنيا ، وماضرة بسيف إلا مثل ضربة بسوط ، لا أقبل شيئا مما تقولون ! »

فلما أصبح دخل على بعض نسائه ، فقال :

« اصنعي لي طعاما »

فصنعت له كبدا وسناما

فأخذ منها لقمة ، فلا کہا ساعة ، ثم لم يسفها ، فرماها وقال : اسقوني لبنا

فأتى بلبن فشرب ثم قال : « صبرا ، على غسلا »

قالوا : فاغتسل ثم تحنط وتطيب

ثم تقلد سيفه ، وخرج وهو يقول .

ولا ألين بغير الحق أسأله حتى يلين لضرر الماضع الحجر

ثم دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق «وهي عيياء من الكبر، قد بلغت من
السن مائة سنة»، قالوا «فدخل عليها وسلم، فقالت ! من هذا فقال «عبد الله»، ثم قال
«ماترين ! قد خذلتى الناس، وخذلتى أهل بيتي»، فقالت
«يا بني ! لا يلعب بك صبيان بني أمية، عش كريمة ومات كريمة»، قال : «إن الحجاج قد أمنى».
قالت «يا بني ! لا ترض الدنيا، فان الموت لا بد منه».

قال : «إني أخاف أن يمثل بي».

قالت : «ان الكباش اذا ذبح لا يؤلمه السلخ».

قالوا : «فخرج فأسند ظهره إلى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتل بهم أهل الشام

فهرمهم وهو يقول :

«ويل أمه فتح لو كان له رجال»

فجعل الحجاج يناديه

«قد كان لك رجال ولكن ضيعتهم»

قالوا :

فجاءه حجر من حجارة المنجنيق وهو يمشى فأصاب قفاه فسهط.

فما درى أهل الشام أنه هو حتى سمعوا جارية تبكي وتقول «وا أمير المؤمنين.

فاحتزوا رأسه فجاءوا به إلى الحجاج ثم بعث به إلى عبد الملك .

قالوا : وكان الحجاج قد رأى في منامه كأنه يسأل عبد الله بن الزبير فلما قص

ذلك على عبد الملك بن مروان قال له عبد الملك «أنت له فاخرج إليه»، «المرجم»

اطلب كل ما محتاجه

من مكتبة

مكتبة

بالأزهر الشريف

بالقاهرة

صور تاريخية

— ١ —

صورة البانوقة (١)

سمراء ، حسنة القند ، حلوة

قال من رآها

رأيت المهدي — وقت دخول البصرة (من قبل سكة قريش) فرأيته يسير، والبانوقة بين يديه ، بينه وبين صاحب الشرطة ، عليها قباء أسود ، متقلدة سيفاً في هيئة الغلمان ، قال : « واني لأرى في صدرها شيئاً من ثديها وقال آخر :—

رأيت (في سكة قريش) وعبد الله بن مالك على شرطة يسير أمامه ، وفي يد الحربة ، وابنته البانوقة تسير بين يديه — بينه وبين صاحب الشرطة — في هيئة الفتيان عليها قباء أسود ، ومنطقة وشاسية ، متقلدة السيف ، واني لأرى ثديها ، قد رفعا القباء لنهودهما

« السندباد »

(١) هي بنت المهدي ، وكان يحبها أشد الحب ، فلما مات — ينداد — أظهر عليها جزعاً لم يسمع بمثله ، فجلس للناس بعزونه ، وأمر ألا يحجب عنه أحد ، فأكثر الناس في التعازي واجتهدوا في البلاغة قالوا : ولم يسمع الناس تعزية أوجز ولا أبلى من تعزية شبيب بن شبيب إذ قال :
«أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزقت أجراً ، وأعقبك صبراً ، ولا أجد الله يلاءم بكثرة ، ولا نزع منك نعمة ، ثواب الله خير لك منها ، ورحمة الله خير لها منك ، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده »

الوعظ الطائف



قصة الباز والقلق

قنصَ البازُ قُبْرَهُ وعلا البشرُ مَنْظَرَهُ
فانبرى لقلقٍ له ورمى البازُ بالشَّـرَهُ
قال : « أطلقْ سراحها نأت برا ومائتَه
صوتها ساحر ، فلا تحرم الناس مصدَرَهُ
ضعفها ظاهر ، وفيه لك صيَالٌ ومقدَرَهُ
فاجبها نعمة الحيا ة جميلا فتشْكُرَهُ »

هزى البازُ قائلا : « سيدي ! ألف مَعْدَرَهُ !
غير أني تربيـني فعلةٌ منك مُنْكَرَهُ
ضفدع بين مخليـه لك تزجيـه كالْكَرَهُ

ضَعْفُهُ ظَاهِرٌ ، وَفِيكَ صِيَالٌ وَمَقْدَرَةٌ
 فَاجِبُهُ نِعْمَةٌ الْحَيَاةُ حَمِيلًا فِي شُكْرِهِ
 « إِنَّ لِلْخَيْرِ إِنْ أَرَدَ تَطَرُّقًا مَيْسَرَةً
 فَافْعَلِ الْخَيْرَ بَادئًا ثُمَّ لَمْ يَلْنِ عَلَى الشَّرِّ »

كَمْ خَطِيبٍ عَلَى الْمَسَاكِينِ رَمَ قَدْ حَثَّ مَعَشَرُهُ
 إِنْ رَأَى نَاكِبًا عَنِ الْخِيَلِ رَحْلًا وَغَيْرَهُ
 هَنَاقَاتُ الْوَرَى يَرَاهَا ذُنُوبًا مَكْبَرَةً
 ثُمَّ يُلْفِي ذُنُوبَهُ هَنَاقَاتُ مُصْغَرَةٍ
 مِثْلُ هَذَا مُنَافِقٌ جَمَلَ النَّصِيحَ مُتَجَرِّهٌ
 نَصَحَهُ كُلُّهُ خَدَا عٌ وَغَشٌّ وَثَرْتَرَةٌ

كامل كبدني

مضي الأمل

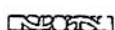
أَذْكُرُ — وَالْدُّنْيَا أُمَامِي مَاتَمٌ — لِيَالِيَّ وَالْدُّنْيَا مُنَى وَبَشَائِرُ
 وَهَبْنِي ذَكَرْتُ الرِّاحَ — وَالسَّمُّ فِي مَنِي — أَيُغْنِي عَنِ التَّبَرُّجِ مَا أَنَا ذَا كُرُ؟
 مَضَى الْأَمْسُ بِالْقَلْبِ الَّذِي يَرْجُو الْمُنَى وَتَوَضَّعْتُ قَلْبًا ، كُلُّ مَا فِيهِ فَاتَرُ
 سِوَاءُ لَدَيْهِ خَيْرُهُ وَضَرَارُهُ فَلَا هُوَ بِالشَّاكِي ، وَلَا هُوَ شَاكِرُ
 وَإِنْ غَدَا لَوْزَفُ — فَمَا يَزِفُهُ — أَلَذُّ وَأَشْهَى مَا يَرْجُوهِ خَاطِرُ
 لَا أُعْجَزُ أَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْقَلْبِ مَلَاوَةٌ مَضَتْ وَرَجَاءُ خَيْبَتِهِ الْمَقَادِرُ

عبدالله عبدالعزيز

على فراش الموت

On The Death Bed

للشاعر الانجليزى «هود» "Hood"



شاهدتها - والليل مأسكونه وسجاً - تُردّد آخر الزّفاتِ
نفسٌ ضعيف هادىءٌ ، وبصدرها تجسجُ الحياة شديدة النزعات

أصواتنا خفّت ، فهمس قولنا ، وسرى السكون وخفت الأقدام
لو ددت لو أعطى لها قوتى نصفاً ، لترجعها لنا الأيام

أمل يكذب خوفنا ، ومخاوف تطفئ على الآمال فى ثورانها
يا طالما نامت ، فخلناها قضت وقضت فخلناها النوم فى أجفانها

الصبح أقبل ، والقلوب حزينة والجو معتم تسح هوامره
وهنا انتهت أيامها ، وتبدلت صبحاً يبين صبحنا ويغايرو

سيد ابراهيم

التعاون طيبة في الخليقة

بقلم الأستاذ العالم الجليل

محمود خاطر بك مدير التعاون في وزارة الزراعة

من الأقوال البالغة المأثورة « أن الانسان مدنى بالطبع » يعنى أنه « اجتماعى بالطبع » والاجتماع لا ينتظم إلا بالتآزر والتعاون فهو لذلك « تعاونى بالطبع » وليس من الصعب أن أذكر لك المثل بعد المثل في التدليل على ذلك ولكن الصعب أن أهتدى إلى مثل واحد أدل به على وجود كائن في الخلق غير مفتقر الى سواه

روى أحد الفرنسيين في تعريفه فضل التعاون أن زارعا جاءه في منامه مغضبا وقال له : لن أزرع لك بعد اليوم فخذ أنت المحراث وهىء به غدامك . وجاء النساج قائلا له : لن أنسج لك بعد اليوم فاعمل وحدك ما تريده لنفسك من لباس وجاء البناء يقول له : لن أبني لك بعد اليوم مسكنا فأعده أنت وحدك . وجاءه كذلك كل من في هذا المعنى ويزيد فاستيقظ الرجل مذعورا من هول ما رأى ولكنه حين أبصر كل شيء حوله مستقرا في نصابه حمد الله وزال ما كان قد اعتراه من الروع في عالم الرؤيا .

وقرأنا في كتب الطفولة حكاية الوالد المحتضر يضرب لأرلاوه مثل العصي المجتمععة لا يقوى على كسرها أحد فاذا ما تفرقت سهل على كل إنسان كسرها واحدة بعد أخرى . كما قرأنا حكاية الرجل الأعشى يحمل المقعد فيتولى المقعد إرشاد الأعمى إلى الطريق متعاونين بذلك على تيسير أسباب العيش لهما بعد أن كان كل منهما بمفرده عاجز أعنها . إن كل فرد منافى ذاته مثل ناطق من أمثلة التعاون الصحيح . أليست الروح تدب في الجسد فتكون ثمة حياة بتعاونهما معا فاذا افترقا وبطل ما بينهما من تعاون مشترك زالت تلك الحياة وزال أثرها .

وهذا الجسم الانسانى لو تأملته وجدته ينطوى على أمثلة من التعاون عدة فكم من عامل فيه يتعاون على إمداده بالقوة وتمكينه من البقاء . ولست أقف بك إلى تعاون الجسم الانسانى في تركيبه بل أذهب بك إلى فضيلة التعاون

في الحيوان والنبات وتكون العناصر فهي كلها شاهدة بضرورته في الوجود.
انظر إلى جماعة النمل كيف تتعاون على بناء مساكنها لزمان الشتاء وكيف
انها تجمع إلى هذه المساكن من القوت ما يكفيها طوال أيامة و أنها لم تؤثر ولم
ترض أن يفرد كل واحد منها بشأنه في ذلك . و انظر إلى جماعة النحل كيف تعطيك
في تعاونها من عملها الشهي مالا تستطيعه الواحدة منها إذا عملت لحاجتك في معزل
عن جماعتها . فأنت أينما اتجهت وحيثما حللت لا تجد لهذه المخلوقات إلا الجماعات
تلو الجماعات تعمل في تعمل في تعاون .

وتكون الحديقة تهر النظر وتؤتي أطيب الثمر لا يكون إلا بتعاون الشجرة
مع الشجرة و الخيلة مع الخيلة كما تتعاون سنابل القمح على هيئة محصوله الوفير وكما
يتعاون الزراع والدراس والدراس والعجان والخباز على تجهيز أرغفة الخبز لغدائنا
بعد أن تعاون قبلهم الصناع على إعداد عراشهم ونور جهنهم ومطبخهم وما إلى
ذلك مما هو في حقيقته سلسلة من التعاون حلقاتها متصل بعضها ببعض .
وتلك هي الفطرات من الماء التي تمطرها السماء رذاذا أظن القطرة الواحدة
منها تفعل ما يفعله مجموعها في انحداره بالوادية و جريانه بالانهر فينعم به الانسان
والحيوان ويحيى ميت الارض .

و في أشعة الشمس عبرة كبرى للتعاون فانها وهي مشورة في الافق لاتفعل
فعلها إذا ما تجمعت بقوة العلم لتدير مختلف العدد وتشفي عاصي العلل .
و المقال الذي تقرأه الآن ألم يتعاون في سبيله كاتبه ومصححه وجامع حروفه
وطابعه بعد أن تعاون فيه قبلهم كثيرون ممن أعدوا لهم آلات الطباعة وصنع الورق .
و داك التراث التعاوني الذي تنعني به في كل ناحية والذي ندعوذ اليه من كل
جانب كم أمة وكم جيل تعاونوا على إظهاره لنا في أنظمتها الحاضرة .

وفي الكتاب الكريم : «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان» .
وفي الحديث الشريف : «الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» : وفي مأثور
القول عن سيدنا علي بن أبي طالب : « الناس بخير ما تعاونوا » .

التحنيط عند قدماء المصريين

-٢-

لقد وقفنا في العدد الماضي عند قولنا: أنهم يلفون الميت في اقشة من الكتان الرفيع .
والآن نقول أن هذا الكتان لابد أن يكون مدهونا بالصمغ أو بالمواد الغروية
بعد وضع طلسم مرسوم عليه عين المعبود (هور) دلالة على المحافظة . وتكون إما
من المعادن ، أو الاحجار الكريمة ، أو من الخرف . ثم تلبس الجثة خاتما في أحد
الأصابع له فص بشكل الجعران . ثم يوضع جعران آخر مجنح على صدره من
الاحجار الثمينة ويربط بقلادة من الذهب . وهذا رمز للمعبود خيرا (الشمس)
وأیضا طلسم من الذهب يرسم عليه اسمه وغير ذلك . ثم يعرض عن محجر العينين
بحجر زجاجى بلورى . ثم يملأ الأنف والقم بقطع الكتان المدهونة بالطيب
ومزوجة بالعقاقير العطرية السابق ذكرها . وبعد كل هذا يشروعون في تقييط الجثة
كل عضو على حدة أولا ، مع رسم المعبود الحافظ لهذا العضو على اللقافة . وكتابة
فصول كتابية مقدسة مع تلاوة الفاظ القديس والدعاء لهذا المعبود للاستعانة به
وفى أثناء ذلك تقدم الكهنة ذوو الرتبة العالية والوسطى أدعية وصلوات وتقديسات .
للا إلهة اجماليا التي عليها حفظ الانسان . وبعد هذا التقييط تقيط ثانية وثالثة بلقائف
عرضها شبر تقريبا . وبين كل قماط يفرش من مسحوق العقاقير والطيب طبقات
طبقات بين كل لغة والأخرى . ثم توضع الأوراق البردية والملفات الكتابية بين
أرجله وفى جوانبه وبها اسمه ولقبه وأسرته وتاريخه واحواله وادعيته للآلهة
وما شاكل ذلك . ويوضع فوق الرجلين وتحتها وبينهما وسائد من الكتان لعدم
كسرها عند وقوف الجثة عليهما ، تالف رابعة وخامسة الى أن تبلغ نحو الألف ذراع
مع وضع الطيب والعقاقير واللقائف المخطوطة بفصول من كتابهم المقدس (السير
في النور) مع وضع الأحجبة الأخرى فى العنق كالاستحوازة او العروة المصنوعة
من العقيق الأحمر التي ترمز الى دم الآلهة اريس .

والعقاب الذى يرمز الى حمايتها . والطوق الذهب والكردان الذى يرمز الى تجديد الحياة .

والصليب علامة الحياة . والعين علامة . الصحة . والصفدع علامة الكثرة والنمو وتجديد الحياة . ورأس الأفعى علامة الملك والاقترار على فتح القم والعينين فى الهاوية .

وبعد ذلك توضع الجثة داخل غلاف ثخين من الكتان المدهون ويوضع هذا داخل آخر أيضا وتحزم بأربطة . وبذا يتم التقييط وبعده توضع الجثة داخل ثلاثة صناديق مخروطية على حسب قياس المتوفى واحد داخل الآخر — مع وضع الزهور داخلها من البشنيين والبردى وما شا كل ذلك بعد كتابتها وحليها بالحليات الذهبية من الداخل والخارج مع حفظ رسم المتوفى على أوجه الصناديق التى تضع لهذا الغرض ثم يوضع هكذا الصندوق المثلث داخل تابوت مخصوص من الحجر منقوش عليه اسم المتوفى وألقابه مع أدعية للآلهة .

أما المصارين فبعد غسلها بخمر الملح كما مر بك سابقا ودهنها بالمرام وبها بالطيب والعقاقير والمواد الصمغية توضع فى أربعة قدور من الحجر أو الخشب رمزاً للأربعة آلهة الممثلة لجهاات الأرض الأربع التى هى أربعة آلهة من آلهات (الهاوية) فالتندر الأول له رأس انسان وبه المعدة . والثانى له رأس قرد وبه الأمعاء .

والثالث له رأس ابن آوى وبه القلب .

والقدر الرابع له رأس (هور) وبه الكبد .

وبعد كل ذلك يعلن المخطون أهل المتوفى بانتهاء العملية فيأتون باحتفال ويأخذون الجثة إما الى منزلهم لتوضع غرفة فى معدة لذلك وتحضر معهم الأفراح والولائم كأنها حية . أو تدفن بأجلال فى مقبرة الأسرة بعد اجراء الرسوم الشرعية والدينية .

مرمى نظرية النسبية

إن الفلاسفة منذ أقدم العصور تعودوا أن يعرفوا الفضاء كشئ مستقل وأن كل تقدير للفسحة يرجع إلى قدر الكبير . ولكن هذا الرأى قد تحول الآن لأن قدر الكبير ليس إلا قدراً مصطنعاً يظهر من حل المشكلة الآتية : لنفرض أن انساناً حلم في منامه أن شيطاناً يلعب أمامه دوراً غريباً من شأنه أن يزيد حجم الكرة الأرضية ويوسع الكون . أليس من المعقول أن يهزأ من هذا الحلم عندما يصحو من منامه ؟؟ . أن حالتنا قبل اعلان نظرية النسبية تشبه بوضعيتها حالة حلم هذا الرجل . فامتارنا وقياساتنا مثلثة والغرفة التي نأكل بها تحتوي نفس عدد جمع القياسات الذى للدينة ولكن هل كل هذه لها وقت واحد ؟؟ لا . إذن فالوقت له مقامه وهو ماتكلم عنه آينشتين وحدد به الفضاء من ناحية ميكانيكية صرفة ، فالكل يتغير من جراء هذا الوقت بدون أن نشعر . والفضاء أظهر مظاهر هذا التغير .

إننا لو افترضنا ما كان قد افترضه بوانكاره من أن الفضاء كالزمان يمكن تمديده بدون نهاية كخيوط من الكاوتشوك ، فإن قدر الكبير الذى نقيسه يكون نسبياً والنسبة التى لاحظها علماء أواخر القرن الماضى ومنهم آينشتين ، ليست وهمية لأن كل ما نلاحظه يرجع إلى أهمية الزمان والمكان . فجميع القياسات المطلوبة دفعة واحدة يحتوى دائماً تفصيل هذا الجمع فى الكبير المقدر ، وعندما يتفق اثنان على تحديد دقائق الوقت والزمان فى ساعتيهما يجدان معاً أن ساعة الوقت تحتوى على ٦٠ دقيقة ، ولكن آينشتين يقول كيف حدد هذان وقت ساعتيهما ؟ . طبيعى فى مطابقة عقري سطحيهما ، وهذا العمل سهل عند ماتكون كل ساعات الدنيا فى موضع واحد ، وفى هذه الحال تكون الساعة الأولى التى تحددت عليها بقية الساعات قد دقت الظهر تماماً بينما البقية لم تدق بعد ، مع أنها مطابقة لها فى الدقائق . فن هذا ندخل فى باب بحث المطابقة « Simultaneité » لنرى سبب هذا الشذوذ .

عند ماتقع حادثة من الحوادث الفجائية كإطلاق شرارة كهربائية أو غيرها ، فإن الوقت الذى تحدده الساعة يبين لنا وقت الحادثة ، والحادثة هنا هى الانطلاق الفجائى

فالانطلاق ووقت الساعة هما مظهر عقربى الساعة ومن هذا يظهر أن الحادثة التى هى الانطلاق الفجائى و وقت الساعة عملان متطابقان وعندما تكون الحادثة لاعلاقة لها بالساعة يكون حل المشكلة أبسط ، فإذا وقف إنسان فى وسط خط مستقيم ووقف آخران فى طرفى هذا الخط وأرسلوا إليه نوراً — لا فى وقت واحد — فإن ذلك الواقف فى الوسط يعرف من فرق الوقت عند ما يصل إليه النور أن وقت مصدره ليس متطابقاً ، أما إذا وصل إليه فى وقت واحد ، فإنه يتأكد من أن وقت مصدره واحد أيضاً لأن المسافة التى تفصل بينه وبين الواحد هى نفسها التى تفصل بينه وبين الآخر . ولما كان النور يقطع المسافتين بسرعة واحدة فإن وقت مصدره يكون واحداً إذا وصل إليه فى وقت واحد ، وبالعكس إذا لم يصل إليه فى نفس الوقت . ولكى نوضح البحث نقول : أن رجلاً واقف فى وسط خط مستقيم فى الموضع « م » حيث أن — أم — تعادل — ب م — فإذا وصل النور إلى هذا الرجل فى وقت واحد من الجهتين فإنه يعرف أنه خرج فى وقت واحد ، وإذن فهو مطابق بالمعادلة . ولكن لو وقف رجل آخر فى الموضع « م ا » أى فيما يقابل الواقف فى الموضع « م » حيث أن « م ا » هو الخط العمودى من « م » وكان عندهما آلة لقياس الزمان محددة تماماً ، فإن النور الذى يرسله اليهما الواقفان فى طرفى الخط يصل إلى الواقف فى الموضع « م » فى وقت يختلف عن الوقت الذى يصل به إلى الواقف فى الموضع « م ا » ومع هذا الاختلاف فإن فى النهاية يتفقان على أن النور مطابق بالمعادلة وقت مصدره . لأنه إذا كان يقطع المسافة — ام — أو — ب م — فى ٤ ثانية ويقطع المسافة — ب م ا — أو — ام ا — فى ٥ ثانية فإن الذى يكون فى الموضع — م — يصل إليه بوقت هو ٤ ثانية . ومن هذا يقول إنه مطابق بالمعادلة فى وقت مصدره ، والذى يكون فى الموضع — م ا — يصل إليه فى وقت هو ٥ ثانية ومن هذا نقول إنه مطابق بالمعادلة فى وقت مصدره أيضاً ، فإذا لم يرتكب الخطأ أحدهما أثناء قيامه بالعمل ، فإنهما يكونان فى مظهر واحد من الوقت ، ولكنهما يكونان فى حالة واحدة تزيهما الحوادث فى وقت واحد . إذن يوجد من هذا مطابقة موضوعية (Objective) هى التى لا ترى أعمال الحوادث فيها فى وقت عملها ، ومطابقة

ذاتية (Subjective) مستقلة عن الحادثة نفسها. ولكنها خاضعة للحالة التي تعملها حيث انها تظهر من الفسحة التي تقع فيها الحادثة . فاذا كانت المطابقة الموضوعية موجودة ولا نشك فيها حتى نظريا ، فحين نرى بالعكس أن وضعية المطابقة الذاتية تنتج حالة مجردة ، وهذا أهم ما تركز عليه نظرية النسبية. اذ ان المطابقة الموضوعية لا قيمة لها تجاه المطابقة الذاتية ، والمطابقة الذاتية لا توجد اذا وجدت المطابقة الموضوعية كما أن الانسان واصله لا يجتمعان في مكان وزمان واحد ، وقد يكون ايضا أن حادثتين تقعان في وقت واحد وهما ليستا متطابقتين بالمعادلة الموضوعية من حيث أن عدم ادراك السر في المطابقة الذاتية التي حدثت منذ وقت طويل يجعل الابهام يسود على المطابقة الموضوعية التي تنتج على الدوام حالات راجعة الى أصل المطابقة. وقد يسوغ لنا أن نقول من جراء هذا أن كل تصورات الانسان الماضية خرافية، وان الفلاسفة انقدماء كانوا يفكرون كالاولاد وأن رجلا هو نبي العلم جاء لكي يحدد معقولاتنا ويطرح جانبا كل ما عند البشر من الاعتقادات السخيفة. كاسرا الاصنام الغالية، التي ورثناها عن الاجداد. وهاتان الحادثتان تظهران من حل المشكلة الآتية :

بدل من أن يقف المرء في الموضع « م » من العمل الذي شرحناه قبلا ليقف في الموضع « د » من الشكل « ١ » في حلة تكون أقرب الى الموضع « ب » من الموضع « ا » ولنفرض أن النور يقطع المسافة « د ب » في ٣٥ ثانية والمسافة « ا د » ٥٥ ثانية فاذا أشع النور من الجهتين — ا ب — في وقت واحد فإنه يصل الى الواقف في الموضع « م » في وقت يبلغ ٤٠ ثانية دائما. ولهذا انواقف في هذا الموضع تكون المطابقة مطابقة موضوعية من حيث انها معلولة، وذاتية من حيث انها توصل النور اليه بذات الوقت، ولكن للواقف في الموضع « د » يظهر الامر بالعكس لان الاشعاع الذي يصل اليه من الموضع « ب » يكون قد قطع من الوقت ما يبلغ ٣٥ ثانية بينما الذي يصل من ا الموضع « ا » يكون قد قطع ٥٥ ثانية، فعند هذا لا يوجد مطابقة ذاتية، لانه لا يقدر أن يحقق من المطابقة الموضوعية مبلغ المساحة التي يقطعها النور من كل من الجهتين، ولهذا نقدر ان نتول أن حادثتين تعملان في وقت واحد قد يمكن ألا تعادلان في المطابقة الموضوعية من حيث وضعية الانسان المحقق وبكلمة أصح ان حادثتين تعملان في نقطتين مختلفتين

و بوقت واحد في الفضاء، لا يمكن ان تظهر متعادلتين بالمطابقة لكل الناس . هذه .
 الملاحظة في الظواهر الراجعة الى اشعاع النور الغير الفجائي لا تعد حديثة لان كل
 فلكى يقدر أن يتحققها عند ما يتأمل في السماء، فلو وجه نظره الى نجمة القطب يرى
 في الحال ما أرسلته هذه النجمة منذ سبع وأربعين سنة «ن» وقد تسير هذه النجمة مدة
 نصف قرن، ونحن أيضا بدون أن يتغير موضعها في نظرنا، وهكذا لو نظر الى النسر
 الطائر الذي يصل إلينا نوره في مدة لا تقل عن ١٤ سنة «ن» فلو كنا في موضع غير
 موضعنا الحالي فر بما كنا نرى نجمة القطب والنسر الطائر في حالتين مختلفتين اما من جهة
 الفضاء وإما الوقت . وقد لا يدرك البعض ما نرمي اليه في هذا المثل من التفريق بين
 الموضوعي والذاتي ولهذا نقول ! ان انسانا واقف في محطة للسكة الحديدية وقطار سريع
 داخل الى هذه المحطة فلكى ينبه السائق هذا الانسان فانه يصفر بشدة لكي يهرب من
 طريقه وقد يكون من جراء شدة الصوت ان طبلته اذنه تتأثر وتدعه يظن ان صوت
 القطار يشبه صوت « لا » في الموسيقى فكيف نعال هذا ؟؟ .

اتنا نسوق كل هذه الامثال كيما نبين ان كل المحسوسات في الكون ترجع الى
 الوقت والفضاء وأنها تسود عليها طائفة من النواميس المحدودة تقدر أن ندركها فيما
 لو تأملناها تأملا صحيحا . وما تكلمنا عنه من المطابقة الموضوعية للحادثات يوضح
 لنا مبلغ اهمية هذا البحث الذي سنتوصل منه الى معرفة اصل كل الظواهرات ومصدر
 كل هذه المحسوسات

لنضرب مثلا آخر . أثنان حددا وقت ساعتهم وبقي واحد منهما في مكانه بينما
 الآخر سار بسرعة عظيمة . فمن جراء السرعة هذه قد تغير وقت الساعتين اذ مع أن
 الذي سار إنما وقت ساعته مطابق لوقت ساعة رفيقه فان منذ أول ساعة يقطعها في سيره
 إذا أراد أن يرى عن بعد وقت ساعة رفيقه يلاحظ فرقا بينه وبين وقت ساعته لأن
 بصورة حالة وقت ساعة رفيقه يلزمها من الوقت كيما تصل اليه ما يجعلها تختلف عن صورة
 حالة وقت ساعته القريبة منه «أرجو الانتباه جيدا إلى هذا البحث لان عليه يتوقف فهم

ناحية مهمة من نواحي نظرية النسبية، فلو كان يوجد اشعاع فجائي فر بما كان يرى صورة
 حالة وقت ساعته رفيقه كما هي أى مطابقة لصورة حالة وقت ساعته . إنما لكون الاشعاع

الحالى يسير مع الوقت فان الاختلاف بين وقت الساعتين واقع لاحالة فاذا اراد هذا السائر أن يحدد وقت ساعته من جديد حسب الصورة التي يراها لوقت ساعة رفيقه يكون قد سبق ساعته وأخر ساعة رفيقه من حيث لا يدري . ولزيادة الايضاح نقول: إن اثنين واقفان أمام ساعة مخطئة من محطات سكة الحديد يحددان وقت ساعتين عليهما والوقت هو الظهر وواحد من هذين الاثنين سار بعدما انتهيا من عملهما بسرعة تعادل عشر سرعة النور . فبعد مضي ساعة من الوقت يكون هذا الذى سار قد بلغ نقطة من الفضاء يصلها النور في ست دقائق . فلو نظر هذا إلى وقت ساعة المحطة — ولنفرض أنه قدر أن يرى هذه الساعة — رأى أن وقت هذه الساعة قد تأخر عن وقت ساعة ٦ دقائق . وهذا التأخير هو فرق الوقت الذى يقطعه النور كما يصل اليه . وهكذا لو نظر الى وقت ساعة رفيقه . مع أن التأخير لا يرجع للساعتين اللتين يراهما لفرق الوقت الذى يقطعه النور لا يصابان صورتي وقتيهما اليه . فلكي يرى هاتين الساعتين مطابقتين بوقتيهما لساعته عليه أن يؤخر وقت ساعته قليلا كلما خطا خطوة . ولكن هذا التأخير لا يكون من عمل الوقت بل من عمله هو . فوقت الساعة ذاته لا علاقة له بالتأخير . ثم لنفرض أن هذا السائر يسير بسرعة النور مع صورة وجه ساعة المخطئة . أى عندما يتحرك عقرب هذه الساعة ثانية واحدة تكون صورته قد قطعت مسافة ١٨٦٠٠٠٠ كيلومتر مع هذا السائر . وبهذه الحالة يكون رائيا دائما ساعة سفره ، أى ان الوقت هو الظهر اين كان فساعته هنا قد تكون العاشرة . بينما تلك لم تزل بنظره كما تركها . وقد يتخيل من المسافات ملايين السنين النورية وصورة ساعة المخطئة ما زالت تتأري له واقفة على الوقت الذى سافر به مع أنها تسير كساعته وتحدد الأوقات كما تحدد ساعته . ولكي نوضح البحث نقول لنفرض أن هذا السائر ترك الأرض بسرعة تبلغ عشرين جزءا من الألف من سرعة النور . فبعدما يقطع مسافة سنة يكون قد أضطر لقطع مسافة سنة أخرى كما يصل الى الأرض راجعا من النقطة التي كان قد وصل اليها . وهذا الوقت قد حدده على موجب ساعته . ولكن عندما يصل الى الأرض يرى أن أمر الوقت بخلاف ما تصور إذ أن الوقت الحقيقي هو الذى حددته ساعتى ٢٠٠ سنة لان موقعه موقف نسبي تجاه الوقت . فهو يعترض قائلا : إن الوقت الحقيقي هو الذى حددته ساعتى ؟؟ ولكن هنا يظهر سر المسألة فهو بإتعاذه بسرعة عظيمة قد أضطر لتأخير ساعته بدون

أن يدري، والاقوات التي كانت تحددها هذه الساعة لم تكن هي نفسها الاوقات التي تحددها ساعات سكان الارض، فهو في اثناء سيره وتحديد الوقت لا يكون متفقاً مع سكان الارض على ذات الوقت للزمان . وهذا سر الاختلاف . فلو أردنا أن نجعل الوقت واحداً في الساعتين الساكنة والمتحركة — لوجب علينا أن نعرف ماهية الحركة، وما هذه الحركة؟ هي المشكلة القديمة في النشاط الذي يبدو مرة بعد أخرى وينتهي دائماً بغيره معادلاً السرعة . وعندما يكون الاثنان سائرين بسرعة مختلفة في جهات مختلفة أيضاً فإن ساعتيهما تحددان الوقت حسب سرعتيهما ولا يمكن للواحد أن يعرف الآخر حقيقة الوقت عنده . فإذا وجد ملاعظمان في الكون مختلفان في الموضع، فانهما يحددان وقت ساعتيهما حسب تنوع الفسحة من جراء الاشعاع الذي يأتيهما وفي هذه الحالة لا يكونان قادرين على معرفة الكون لأن الاشعاع الذي عليه يحددان أوقاتهما يتطلب حركة، والحركة تتطلب فسحة والفسحة هي الحد الفاصل بينهما . فلو وجد ملاحظ واحد فقط في موضع واحد، لما وجد فسحة واشعاعاً وزماناً، لأن الفسحة والزمان من لوازم الاشعاع والاشعاع هو الحركة والحركة، سر النشاط الذي يظهر في الكون في أدق أجزائه وأعظمها .

هذافيا يختص بالسرعة والابعاد ولكن الأمر المهم هو معرفة — الموجود أبداً — لأن على معرفته تتوقف معرفة كل الاشياء . نحن حول الارض والارض تدور حول الشمس، والشمس تسير نحو النسر الواقع، وكل النجوم تتحرك بحركة خاصة أسرع من حركتنا، وهكذا المجرة نفسها من حيث لا يوجد حولنا نقطة محدودة . فلم ترجع هذه الحركة؟؟ وكيف يقدر الفلكيون في كل الكون على تحديد وقت الساعات بالنسبة إلى نقطة محدودة، ومحور ساكن، واشعاع فجائي؟؟ . هذا ما يجعلنا نتابع بحثنا في كيفية المطابقة لكي نتوصل إلى حل هذه المشكلة .

أن جعل الوقت، من جملة قياساتنا أمر مهم من حيث أن « الحادث الفجائي » لا وجود له في الكون، ولهذا فنحن مضطرون مع من ينظر اليانا من سيار آخر لاتباع وقت نسبي دعاه لورنتز الوقت الموضوعي . ولما كانت سرعة النور هي الاساس الذي نبني عليه قياساتنا من جهة الوقت والفراغ، فان نظرية النسبية ترمي إلى تعريف هذه السرعة كما تكون واسطة لظهور هذا السر .

كان لورنتز، قد أعلن أن اقدار الكبر تزيد من جراء حركة الارض، وان هذه الزيادة تشمل أيضاً الوقت الموضوعي، ولكن مع هذا كان يعتقد بوجود وقت مستقل مجرد وأن الزيادة ليست سوى مظهر معلول من علة راجعة الى هذا الوقت وقد أثبتت نظرية النسبية اعتقاده هذا من حيث أن هذه الزيادة في اقدار الكبر ترجع إلى نسبة السرعة بين ملاحظين سائرين. فلو وقف رجل في الموضع — م — من الشكل «٤» أي ضمن عربة قطار سائر حيث أنه يتبع حركة مستقيمة محدودة متجهة الى الموضع — ب — وكان رجل آخر واقفاً في الموضع — م — على الارض وهما على اتفاق في أن حركة ميكانيكية ستطلق شرارتين كهربائيتين في نفس الوقت عندما يمر القطار من الموضع — ا — وهكذا عند ما يمر من الموضع — ب — ولنفرض أن الموضعين — ا — ب — هما زالا بعيدين عن مواجهة الموضعين — ا — ب — فعند ما تتوازي الخاليتين في الموضعين وتنتطلق الشرارتين فإن الذي يكون واقفاً في الموضع — م — على الأرض يرى أن الاشعاع الذي حصل من الموضعين — ا — ب — متعادل بالمطابقة حسب قواعده. ولكن الواقف في الموضع — م — من القطار السائر، يرى الأمر بالعكس لأن قدر الكبر في الجهة — ا — قد ازداد من جراء السرعة فهو يرى أن السرعة — ا — ا — أكبر من الجهة — ب — ا — ولو نظر الى الاشعاع الذي حدث في الموضعين — ا — ب — لرأى أن الاشعاع من الناحية — ب — قد وصل اليه قبل الاشعاع الذي حصل من الناحية — ا — ومن جراء هذا يظهر له القطار أكبر من الخط السائر عليه مع أنه متعادل معه لو كان ساكناً. فنحن نساكن الأرض نشبه هذا الواقف في الموضع — م — من القطار السائر بالنسبة إلى الاجرام السماوية، والنور الذي ترسله اليها، وقد يكون كبر قياساتنا راجع إلى هذا المظهر، مظهر التضخم من جراء السرعة مع أن لاهقيقة ذاتية له، كما بين لورنتز. والمهم في هذا البحث هو كيفية تحديدنا الأشياء بالنسبة إلى وضعيتنا وفهمنا الاحجام التي تنتج من السرعة.

ابحاث زراعية علمية

خاصية قوة امتصاص الأرض للماء

خاصية قوة امتصاص الأرض للماء متى أصابها، وحفظها له بعد تشربه من أهم الخواص. فبالأولى يتعلق جذب الأرض للماء من أسفل، وبالثانية يتعلق امتصاص الأرض للماء ضد الجذب الأرضي العام. وهاتان الخاصيتان مرتبطتان بتركيب الأرض. فان كانت ناعمة زادت قوة امتصاصها الماء وحفظه، وان كانت حديثة العهد بغمر المياه لها كان المهم في ذلك قوة حفظها له. كما أن قوة الجذب من أسفل إلى أعلى هي الأهم في حالة الجفاف. والحالة الأخيرة هي عبارة عن الامتصاص بخاصية القوة الشعرية للأرض ويمكن قياسها بأن نأخذ أنابيب بالنسبة لوزن الثرى وحجمه. ووجود الدبال والمادة اللازمة في الأرض يزيد قوة امتصاصها الماء، وكذلك عملية التوطيد أي (المدلة) الثقيل يزيد فيها هذه القوة. كما سيأتي ذلك عند الكلام على الخاصية الشعرية.

والنبات يمتص المياه اللازمة له من حجم مخصوص من الأرض. ولذا كان توضيح خاصية امتصاص الأرض للماء بالنسبة لحجمها أحسن.

خاصية ضمور الأرض عند الجفاف

ضمور الأرض عبارة عن صغر حجمها اذا فقد منها الماء، ومن ذلك يلاحظ أنه كلما كانت الأرض أنعم، كان الضمور أعظم. فالأرض الرملية قلما يتغير حجمها بعد الجفاف بخلاف الأرض السوداء فإنها تنضمر جدا. وما سبب ذلك الا أن المادة اللازمة يصغر حجمها عند جفافها وخلوها من الماء. والرى لا يرددها لحجمها الأصلي الا بعد زمن، لان من ضمورها يكون سيئه تداخل بعض الجزئيات في بعضها وتماسكها، وهذا هو السبب في تحمل الأرض أثقل المباني.

وضمور الأرض يكون رأسيا أو أفقيا في آن واحد، وان فتي جف سطحها بسرعة تنقبض وتبقى الطبقات السفلى راوية فيتشقق السطح. ومن هذا التشقق ينشأ ضرر عظيم لانه يقطع جذور النباتات ويتلف نموها في الأرض التي هي بها، فضلا عن أن

مجموع هذه الشقوق في سطح مساحة كبيرة يتبخر منها الماء بسرعة، إلا أن لهذا التشقق فائدة كبرى من وجهة أخرى، وهى تهوية الأرض، ولذا تقل هذه التهوية جداً في الأرض الصماء. ولتقل سرعة الجفاف وما ينتج عنه من التشقق في سطح الأرض، يجب موالاة الأرض السوداء بالغرق وكلما غزر رى الأرض زاد التمدد الوقتى، وكانت الشقوق أوسع وأعمق. ويقال: إن الأرض قابلة لنفوذ الماء إذا غاض فيها بسهولة، والتي على عكسها تسمى صماء. ولا يلزم أن تكون كل أرض مسامية قابلة لنفوذ الماء فيها، لأن المسام—وإن تكن عديدة—فربما كانت ضيقة بحيث تمنع سريانها. أما ذات المسام الواسعة نوعاً، ولو كانت مسامها قليلة العدد فهى أسهل من الأرض السوداء في التصفية ونفوذ الماء. والصمم في الأرض السوداء ينتج من صغر المسافات التي بين جزئياتها من جهة، ومن جهة أخرى من وجود الطين الدسم الذي يتجمد فيسد هذه المسافات، ويمكن إرخاء الأراضي الصماء بإضافة الدبال أو الرمل أو الجير إليها. لأن هذه المواد تجمد الطين الدسم فلا يتمدد في المسافات المذكورة ويسدها. وإذا تساوت جزئيات الأرض كانت أكثر مساماً من أرض اختلفت جزئياتها حجماً، لأن الجزئيات الصغيرة تشغل المسافات التي بين الجزئيات الكبرى فتكون الأرض أكثر اندماجاً.

والخدمة تزيد في الأرض خاصة سريان الماء فيها بتجفيفها وتحت الأرض إذا كان أضخم كان عادة أقل مسامية من الأرض، إلا إذا كان كثير الرمل مثلاً وعلى العموم فصمم الأرض وسريان الماء فيها دائماً متعكسان، كلما قل أحدهما زاد الآخر، وأغلب الأملاح تقوى سريان الماء في الأرض كأنها تجمد الجزئيات الطينية الدقيقة. ولكن الأملاح القلوية مثل كربونات الصودا مثلاً تزيد التماسك وتضعف نفوذ الماء.

الأراضي الرملية الكثيرة المسام تجف بسرعة زائدة، ومن الصعب حفظ رطوبة بها تكون كافية لنمو أكثر النباتات. كما أن كثرة رى مثل هذه الأراضي تضع كمية كبيرة من غذاء النبات في مياه الصرف، ودورة الماء في الأرض الصماء رديئة وهويتها غير كافية فلا ينمو النبات فيها إلا نكداً.

وفائدة التصفية لمثل هذه الأرض قليلة فالطريقة الوحيدة لإصلاح الخواص.

الطبيعية لمثل هذه الاراضى ، انما هى خلطها بكمية كبيرة من الرمل ، وان كانت هذه الطريقة ربما تقتضى نفقات كبيرة إلا أن فائدتها مستمرة وحرارة الماء فى الارض تتعلق بالصفات العمومية التى ذكرت سابقا . فان جذور النبات انما تمتص المياه التى فى الاماكن المجاورة لها ومن الاماكن البعيدة عنها ، ولذا نجد مياه الارض تتجه نحو الجذور بحركة بطيئة مستمرة . وسنشرح هذا وافيا فيما بعد

خاصية قوة نفوذ الماء وحرارته فى الارض

وللماء - غير ما تقدم - حركات عظيمة أخرى فى الارض - مزرعة كانت أو غير مزرعة - وهذه الحركات إما أن تكون من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل أو أفقية . وسنشرحها عند الكلام على الخاصية الشعرية والصرف والرشح وتسمى كل هذه الحركات « بدورة الماء العمومية فى الارض » ، الصرف أو حركة الماء من أعلى الى أسفل ينسب لخاصية الجذب الارضى الذى يحصل فى اتجاه مركز الارض ، ومن المعلوم ان السقوط طبيعة فى الماء ، الا اذا وجد مانع له بقوة مضادة لجذب الارض تعادله أو تزيد عنه ، فيمنع الماء من السقوط ، ففي الارض السوداء تكون هذه الحركة بطيئة أو معدومة بسبب مقاومة الجزئيات الدقيقة الارضية للماء . حال تساقطه فى خلالها ، فضلا عن أن فى الجذب السطحي لهذا الماء ، قوة ناتجة من احتكاك الماء تزيد عن جذب الارض

على ان هذا الجذب السطحي يكون مهماحين لا يوجد ماء كثير ، وعلى ذلك فالاراضى الصفراء والرملية يحصل فيها بعض الفيض بعد كل سقيه ، وكلما زاد ارتفاع المياه على وجه الارض كثر الضغط من أعلى إلى أسفل ، وزادت كمية المياه الفائضة فيتسبب من ذلك ان الارض السوداء الصماء تحتاج لرى غزير تزيد به قوة مرور الماء عند مقاومة الجزئيات

السطحية

مستوى الماء الارضى - اذا لم يوجد صرف تراكت بقايا النبات والأملاح وصيرت الارض غير خصبة ، فالصرف وان ضيع بعض الغذاء النباتى إلا أن الضائع منه يكون أقل بكثير من الفائدة الجيدة التى تدركها بالآلة مما لا تحتاج اليه من المواد ، فمستوى الماء الارضى يرتفع بماء

الفيض وينخفض بازدياد التبخر ، بوجود مفيض خافض للماء . وفيض الماء من الأنهر والترع والاراضى المرتفعة (النز) مستمد عظيم لمياه تحت الارض ، (والنز) في مصر كثيرا ما يرفع مستوى الماء الأرضي الى قرب السطح ، والتبخر بعد التصريف ينشأ منه تملح الاراضى في الاراضى المنخفضة ، والطريقة الوحيدة المحكمة لخفض مستوى الماء الأرضي وضياغ ملوحتها إنما هي الصرف ، وهو يحصل إما بصرف الماء من الأرض أو بإزالة ماء الرش من الاراضى المجاورة المرتفعة بواسطة عمل رشاحات . ويتعلق انخفاض مستوى الماء الأرضي بخاصية نفوذ الماء فيها . ففي الاراضى الرملية التى تقل مقاومتها لمرور الماء يحصل الصرف فيها بسهولة ونجاح . وأما فى الاراضى السوداء التى فيها مقاومة عظيمة كما سبق ، فإن مستوى الماء الأرضي فى منتصف المسافة بين المصارف يكون مرتفعا كثيرا ، اذا كانت المصارف ، متقاربا بعضها من بعض تقاربا كافيا ، وليس يزداد من الصرف فى القطر المصرى تخفيض مستوى الماء الأرضي فقط بل الأهم منه ابعاد غور الأملاح فى الارض للدرجة توافق نمو النبات . وكون المصارف عميقة ومتباعدة بعضها عن بعض أفضل من كونها عميقة متقاربة فى تخفيض مستوى الماء الأرضي . وتحصل حركة الماء الأفقية فى الأرض بتأثير الجذب الأرضي والضغط الخارجى معاً ، وهذه الحركة تماثل الصرف لأن ثقل الماء هو العامل المحرك له . ويمكن اعتبار (النز) طريقة صرف مخصوصة فى الاراضى ، حيث لا يجد الماء الغائر منفذ الى اسفل فيتجه اتجاهاً أفقياً ويترشح فى لأراضى المجاورة ، والترشيح ايضا يسهل حركة الماء الصاعدة التى تنتج الضغط الجانبي للماء ، فهو يشمل حركة الماء الرأسية من جهة ، والأفقية من جهة أخرى

(النز) ينتج عادة من مياه آتية من ترع مرتفعة مارة فى الاراضى المجاورة لمكانه ففى أول الأمر يفيض بعض المياه فى الارض من الترع فيرفع مستوى الماء الأرضي بالتدريج . ونظرا لارتفاع الماء الخارجى يطرد الماء الأمامي . وعواقب النز تكون أربداً كلما ارتفع مستوى الماء الأرضي ، ومع ذلك فقد يكون المستوى المذكور منخفضا ولكن بضئف نفوذه فى الارض يتزايد الاعماق تزيد المقاومة فى ترشيحه . وإذا فالياه التى تندفع من الترع تنتشر فى اتجاه أفقى . وبهذا تكون الاراضى المعرضة للرشح فى بلل مستمر .

ولا يشترط في ذلك أن يكون مستوى الماء الأرضي مرتفعاً. والضرر الناشئ من الترشيع ناتج من تشبع الأرض بماء راكد خال من الهواء واستخراج هذا الماء يبقى الملح في الأرض. ومن المعلوم أن الأرض التي فوق مستوى الماء تكون رطبة، ومن المهم أن نعرف الطريقة التي بها ارتفع الماء فيها وكيف يبقى بها.

ولتوضيح ذلك نتكلم على خاصية التماسك السطحي للسوائل التي منها الماء، ويمكن توضيحها بما يأتي :-

أولاً - إذا غمر جسم صغير في الماء وأخرج منه، يرى مغطى بطبقة رقيقة من الماء وتبقى عند سطحه. فلماذا لا يسقط جميع الماء منه

فالسبب في ذلك أن هناك قوة مؤثرة في سطح هذا الجسم تعادل وزن طبقة الماء.

ثانياً - أنه إذا لامس هذا الجسم جسماً آخر تنتشر طبقة الماء على الجسمين

ثالثاً - إذا كان الجسمان مختلفي الحجم، يكون سمك هذه الطبقة المائية على الجسم الأصغر أكثر منه على الجسم الأكبر.

وبتطبيق هذه النظرية على الأرض نرى أنها تمسك الماء بسطوح جزئياتها.

ومن حيث أن مساحة سطوح الجزئيات في الأرض الناعمة تكون أعظم، فيكون سمك هذه الطبقة المائية على الجزئيات الناعمة أكبر. فتحفظ الأرض الناعمة رطبة أكثر من الأرض الخشنة. وهذا مطابق لما نشاهده عملياً. فالأرض السوداء تمسك الماء أكثر من الأرض الرملية الخشنة، وانتشار هذه الطبقة المائية من جزء لآخر يحصل في جميع الاتجاهات حتى يحصل فيها التوازن. وإذا تغير سمك هذه الطبقة في نقطة حصل في طبقة السائل كلها تدافع نحو هذه النقطة لحفظ الموازنة.

ومن ذلك نعرف سبب ارتفاع الماء في الأرض، لأن الجزئيات العليا تمس سطوح الجزئيات السفلى فينقسم الماء بينهما وينجذب إلى أعلى جذباً مستمراً. وإن قيل لماذا لا يصل الماء إلى نهاية سطح الأرض في كل الأحوال، فالجواب أن القوى في سطح الطبقة المائية محدودة فلا يمكنها إلا حمل وزن معين فقط. فهي تحمل دون الماء المرتفع. متى وصل إلى النهاية العظمى المساوية للقوة يحصل التوازن في توارده هذا الماء إلى أعلى الأرض. وينسب هذا عادة إلى الخاصية الشعرية. وهذه

الكلمة تستعمل لهذا المعنى عند ما نتكلم على علم الطبيعة بالنسبة للأرض .
إذا أمكن ارتفاع الماء من مستوى الماء الأرضى إلى السطح وحصل هناك تبخر فيه، نحصل على مجرى مستمر من الماء يصعد فى الأرض من أسفل إلى أعلى، وعلى العموم فكلمة كانت جزئيات الأرض صغيرة كان ارتفاع الماء بالخاصية الشعرية أعظم ، إلا أنه أبطأ . لأن صغر الجزئيات ينشأ عنه أيضاً صغر المسافات بينها فتكون المقاومة على الماء فى مروره أعظم . وقوة امساك الأرض للماء هو نتيجة تماسكها السطحى والخاصية الشعرية . أى رفع الماء من مستواه الأرضى إذا ارتفع أو ماء النزل، وهو السبب عادة فى ملوحة الأرض واغداقها . وتأثير الخاصية الشعرية فى الأرض المفلسة قليل جداً لتباعد بعض الجزئيات عن بعضها فيها .

أما الأرض المندجة كثيراً فإن المسام تكون رقيقة والجزئيات متقاربة بعضها من بعض . فالألماء يرتفع فيها ارتفاعاً عظيماً وإذا فالقصد من توطيد الأرض ازدياد الخاصية الشعرية وقوة امساكها الماء . أما العزق فهو لتقليل هذه الخاصية ومنع ارتفاع الماء إلى السطح ارتفاعاً عاماً .

تبخر الماء من سطح الأرض — إن تبخر الماء من سطح الأرض يتعلق بجفاف الهواء وكمية الماء الموجودة فيها . وعلى النسبة التى بها يعوض الخاصية الشعرية الماء المتبخر من السطح بغيره من أسفل والتبخر يجفف الأرض ويبردها فيضيق الماء منها وتشقق . وكذلك بسبب تجمع الأملاح الذائبة فى ماء الأرض على سطحها، ويحدث دورة مستمرة للماء فى الأرض باختلال التوازن بين تماسك السطح والجذب الأرضى . وفى الأرض المزروعة يكون اتجاه هذه الدورة إلى جذور النبات أكثر من اتجاهه إلى السطح ، لأن النبات يمنع التبخر من سطح الأرض وهى تفقد كثيراً من الماء بواسطة التبخر النباتى ولكن التبخر فى نفس هذه الأرض يكون أقل منه فى الأرض العارية:

عبدالمجيد سيد احمد

المرأة الساحرة

تلخيص وتعليق

(تمهيد)

كانت الأميرة (سيرسية) مصدراً من مصادر الوحي والالهام لكثير من شعراء اليونان القدماء وكثيراً ما اقتنوا في اضطراء هذه الساحرة التي خلبت عقول عاشقها بجمالها الفاتن وحسنها الباهر، وقد عزت اليها الخرافات اليونانية ونحلتها الاساطير الاغريقية كثيراً من المميزات، فروت عنها روايات غريبة نسقها التواتر وأبدعها الاقتان وروعة الخيال حتى جعلها مضرباً من مضارب الامثال بما شهرتها به من قوة تأثيرها على العقول وشدة سلطانها في استهوائها النفوس، حتى زعموا أنه لم يكن في عصرها من يستطيع الثبات أمام جمالها الفاتن، مهما أوتى من قوة الارادة ومضاء العزيمة. فقد كان حب البطل السكى أو المتمرد الطاغى أن تسدد إلى قلبه نظرة واحدة من نظراتها الساحرة فتخور قواه وينقلب عزمه تردداً وقوته ضعفاً

وقد لا تقف معه عندهذا الحد بل تجعله حيواناً ذلولاً بعد أن تسلب منه قوة ارادته وكثيراً ما سحرت عاشقها والمقتولين بها خنازير بعد أن ردتهم أسرى شهواتهم وعبيد لذاتهم .

وقد كان جنود (عولس) ملك (ايتاك) من بين ضحاياها ، فقد سحرتهم خنازير — كما سحرت غيرهم — من قبل . أما (عولس) فتحدثنا عنه الاساطير أنه الشخص الوحيد الذي قاوم افنيج في مقاومته وعجزت عن أن تنال منه بفنون سحرها ومكرها ، أو تلحق به أذى، وقد سجلت له الاساطير الاغريقية هذا الفوز الخالد

مهرصة القصة

ذلك ما تحدثنا به الخرافات في غاية الزمان وتبثنا بمحدثه في أقدم العصور .
ولما كان التاريخ — كما يقولون يعيد نفسه — والايام لا تفتأ تكرر الحوادث المتماثلة

بين حين وآخر — والمثل العربي يقول : ما أشبه الليلة بالبارحة ! ولا أمر ما قال القائل :
 ما مر في دنياك أمر معجب إلا أرتك لما مضى تمثالا
 وقال في مكان آخر :

وهذه الليالي كلها أخوات

فلا تطلبن من عند يوم وليلة خلاف الذي مرت به السنوات
 حدث أن فتاة بارعة الحسن رائعة الجمال من بنات العصر الحالي ، طابق اسمها
 اسم (سيرسيه) ساحرة العصر الغابر ، ولم تكن لتقل عنها مقدرة واقتناأ ،
 ولا كان سحرها أقل من سحر تلك أثرأ في نفوس العاشقين
 كانت (سيرسيه) بطة قصتنا الحديثة آية من آيات الابداع وسراً من أسرار
 الجمال ودمية فريدة من دمي الحسن . يحار المتأمل في جمالها ، ويتملك عليه كل نفسه
 فينسى كل شيء ، غارقاً في تأمل محاسنها التي لا تنفد

في هوى مثلها يخف حلیم راجح حله ويفوى رشيد
 غادة زانها من الغصن قد ومن الظبي مقلتان وجيد
 وزهاها من فرعها ومن الحد ين ذاك السواد والتوريد
 فهي برد بخدها وسلام وهي للعاشقين جهد جهيد
 ما لما تصطليد ومن وجنتها غير ترشاف ريقها تبريد
 مثل ذلك الرضاب أطفأ ذاك ال وجد؟ لولا الأباء والتصريد

كذلك كانت (سيرسيه) الحديثة مصدر سحر وفنة لحبيها وعشاقها الكثيرين
 الذين كانوا لا يترددون لحفته في تلبية كل رغباتها سباقين إلى تنفيذ أية اشارة من اشاراتها
 طلائعين فرحين . فلو أمرتهم أن يلقوا بنفوسهم في البحر لفعنوا أو يطرحوا بها في
 هاوية لما أحجموا ؛ ولقد كانت ابتسامة من (سيرسيه) لعاشق كافية لاستهوائه وانزعاج
 ثروته — بل روحه — لوشامت ، وكانت محاسنها متجددة ، وجمالها القائل يزداد
 سحره ويقوى سلطانه يوما بعد يوم
 ليت شعري إذا أدام اليها كرة الطرف مبدى ومعيد

أهـى شىء لاتسأم العين منه أم لها فى كل ساعة تجديد

بل هى العين لا يزال متى استعرض على غرائبها ويفيد

على أنها كانت مع كل هذا تحافظ على نفسها محافظة نادرة ولا تسمح لواحد من محبيها أيا كانت منزلته أن ينال منها أرباباً ، أو يقضى منها لبانة . فقد كانت تضن على أعز عزيز فيهم بقبلة واحدة يطفىء بها أوراه أو ينقع بها غلته

وكان من بين أصدقائها ومحبيها الجراح (فان مرتيب) وهو طيب فاضل ومثال نادر من أمثلة النزاهة والجد ونموذج فذ من نماذج الاستقامة والشرف ، يقيم على مقربة من بيتها بحيث يستطيع بأدنى نظر أن يرى كل ما يحدث فى منزلها فى أكثر الايام من حفلات الاستقبال الشائقة ومغازلات العاشقين ورقصهم المزرى .

ولقد كان يحب فى تلك الفتاة الجميلة قدها المشرق وحسنها الساحر وحاسنها التى افنت فى اظهارها وأبدعت فى تنسيقها القوة الالهية ، ولكنه كان — إلى هذا — يكره منها ذلك الاسفاف الشائن ويمقت فيها ذلك الاستهتار المزى الذى تنحط اليه ، وكثيراً ما أمضه وأقلق باله أنها لا تصون جمالها عن الدنس وانها تسيء إلى حسننها فلا تنزهه عن تلك الأرجاس التى انغمست فيها ، فقد كان يرى أن مثل جمالها الرائع جدير أن يتخذ وسيلة لتهديب النفوس والتخليق بها فى أجواء الطهر والعفة ، لا أن يتخذ وسيلة لاحتط الدرك وأدنا الغايات !

كان إذن يقدس جمالها بمقدار ما يستخط على حقارة نفسها وتدليها فى هذه الهوة السحيقة . كان يرى فيها صورة ملاك ونفس شيطان ! كان يرى أمامه جمالاً علوياً ونفساً سفلية مغمورة فى القذارات والأرجاس فيتحسر ويحزن ويتألم

كان الدكتور جراحاً منصرفاً إلى عمله معنيا بشئون مرضاه ، وكان إلى ذلك يزور (سيرية) أحياناً وربما تأخر عن زيارتها بسبب ما تتطلبه مهنته من الاهتمام بمرضاه والانصراف إلى شئونهم ، وكانت (سيرية) تشعر بانعطاف اليه ، وتحب باحترام نادر من بين عشاقها الكثيرين . فلتب قلبهم حسداً له وبغيرة منه ، وكثيراً ما رأوا فيه منافساً خطراً ، فنفسوا عليه ما له من الخطوة ورمقوه بأعين شزر . ولم لا وهى تميل

إليه دون أن يتقرب إليها وتفضله على خلانها وفيهم من جن بعشقتها جنونا ، وفيهم من غمرها بهداياه الثمينة ، ومنهم من يشتري لها أنفوس الحلى وينتقى لها أغلى الجواهر رغبة في بلوغ رضاها . ولكن أحدا منهم - رغم هذه الجهود - لم يبلغ شأو هذا الطبيب ولا استطاع اللحاق به في هذا المضمار ، على أن (سيرسيه) نفسها لم تكن تخلو من نقمة على هذا الطبيب ، فقد كان يؤلمها أيضا ما تراه فيه من قلة الاكتراث بها وعدم الاهتمام بأمرها مع ما تبذله من الجهد في سبيل التأثير عليه ، وكانت لا تنسى تسبويه بجمالها غير تاركة فرصة تسنح دون أن تنتهزها لعلمها تصل إلى قلبه وتحرك بواعث الحب الكامنة في نفسه

وفي ذات ليلة جمعتما المائدة في إحدى حفلاتها - وكان كرسيها إلى جانب كرسيه - فأمسكت بطرف رغيغ ثم سألته أن يجذبها من طرفه الآخر فكان من قسمته الجزء الأكبر منه ، فالتفتت إليه باسمته وقالت : « أرى أن الجانب الأكبر من الرغيغ وقع في قسمتك ومعنى هذا في لغة العرافة والتنجيم أنك ستحتمل بسببي هماً كثيراً ، فلم يجبها الطبيب بأكثر من ابتسامته الساخر الهازي الذي لا يعتقداً مثال هذه الخرافات

انتهى العشاء وقامت ترقص مع خلانها الذين تسابقوا متنافسين في اظهار حبهم لها بما قدموه بين يديها من الهدايا الفاخرة والحلى الثمينة . ولقد كادوا يصطدمون معا في ألف عراك ، كلما نظرت إلى هذا أغضبت ذاك ، وكلها ابتسمت لأحد عشاقها التهب قلب منافسه غيظا واشتعل فؤاده حقدا على ما ناله منافسه من فوز ، وهي لا تفتأ تلتطف من حقدهم بمهارتها ورشاقة حركاتها ملائمة بين أهوائهم المصطدمة بقوة ودهاء . ولطف حيلة ، كما يلائم الملاح الماهر بين قوى الريح المتنافرة ويتخذ منها جميعا وسيلة إلى تسير مركبه بين الزعازع والعواصف الهوجاء . ثم لم تلبث أن التفتت اليهم باسمته وقالت : « من أحنى منكم فليتبني » ولم تكدهم هذه الجملة حتى اندفعت إلى بركة من الماء كانت على مقربة منها فتبعها المتنافسون مندفعين إلى البركة جميعا - إلا الطبيب - غير آبهين للابسه ولا ملوئين على شيء في سبيل ارضائهم والرضوخ لآشارتها ، ووصل إليها عاشقان في وقت واحد وحاولا تقييلها معا فلنكر أحدهما الآخر بقوة

فألقاه في الماء، وكرت الفتاة منفلتة بمثل سرعة البرق فافلتت من عشاقها هاربة، وحانت منها الفتاة فرأت الطبيب واقفاً إلى جانب الباب منتحياً وعليه سيماء الجدوأمارات الوقار خفته بإشارة خفيفة من عينها وهو واقف وقفة التأمل الهازي ثم سأله لم لا يشارك عاشقها في لهوهم ومرحهم، فأجابها ساخراً: إنه أرفع من أن يشركهم في مثل هذه الحماقات وأسمى من أن يقترب معهم هذه الدنيات، مؤكداً لها أنه يحقر (سيرسيه) ويمقت ألعابها أشد المقت—وانما أراد بذلك أن يشير إلى (سيرسيه) الساحرة اليونانية من طرف خفي، فلم تدع (سيرسيه) بطلاة قصتنا الحديثة هذه الفرصة تمر دون أن تنفع بها فاجابته قائلة: «ولكن حذار أن تنسى أن سطوة (سيرسيه) قد حولت رفقاء «عولس» خنازير» فيجيبها ساخناً بأنه «يبد أنها عجزت أخيراً عن «عولس» نفسه لما أظهره من الخزامة والحكمة النادرة»

وهنا يفترقان

وتجلس (سيرسيه) في مخدعها مفكرة مهمومة مستعيدة خلاصة ما مر بها من الحوار مع الطبيب الجراح، ثم يعين لها أن تتجمل بملابس بسيطة تعتقد أنها تعجبه ليله إلى البعد عن التكلف، ولكنها تبدأ بمحادثته في المسرة (التليفون) بعد أن تطلب خادمها النمرة المطلوبة، ولا تكاد تبدأ الكلام مع الطبيب حتى يشتد بينهما اللجاج، وتلقى بالسماعة مغضبة حائرة. أما حوارهما فقد كان مقتضباً جافاً غاية في الإيجاز: —أليس من عبادة أهل طبقتكم الرفيعة أن يحبوا الحاضرين قبل مغادرتهم؟ ثم لماذا هربت يلسيدى الطبيب بمثل تلك السرعة؟ أملك خفت الانهزام؟

— ربما كان ذلك

— ولكن قل لي لم هذا التجانف والكبر؟

— لأنني لا أستطيع فهم أمثالك من النساء!

هنا ألفت بالسماعة مغضبة وظل قلبها يخفق خفقاناً شديداً متداركاً ونبض نبضات قوية، وظلت تردد قول الطبيب متأثرة قائلة «أمثالي من النساء» «لا يفهم أمثالي من النساء» «يا الله وهل أنا بدع في هذا العالم!»
وإنها لتستسلم لهذه الأفكار العابسة إذ تأخذ نظرها مذكرة حياتها اليومية التي

أهملت تدوين الحوادث فيها منذ من بعيد ، تناولها يد مثاقلة ، ولا يكاد يقع نظرها عليها حتى تستعيد ذكرى حياتها الأولى ، فتقرأ فيها قصيدة مخزنة تدعو إلى العبرة والعظة ، ترى نفسها وهى فتاة واقفة أمام الدير معجبة برؤية الراهبات فرحة بمنظرهن البسيط — وهن سائرات إلى حديقة الدير — فلا ترى أمنية وقتذاك أشهى ولا طلبة أعذب من أن يمن الله عليها فتصبح فى عدادهن وتندمج فى سلكهن ، ولا تلبث أن تلتفت إليها إحدى الراهبات مبتسمة ابتسامة المشجع لها على تنفيذ ما يساور رأسها من الآمانى والأحلام ، ثم تتبع أخواتها إلى الدير ، وإن فئاتنا لغارقة فى تصوراتها أمام باب الدير إذ لحها شقى من أشقياء الانس — فى بدء العقد الثالث أو نهاية العقد الثانى من سنه — يحمل على رأسه سلة خبز ، بهر لبه جمال ساقيا العارين فوق يتأمل محاسنها ملياً ثم تلفت يمنة ويسرة فلم ير فى الطريق أحداً . فشجعه ذلك على الاسترسال فى فكرته الخبيثة التى سولتها له نفسه ، فتقدم نحوها بخطوات ثابتة حتى أدناها ثم أمسك بذراعها يحاول تقبيلها وهو يقول لها ، ليس هذا الدير لمثل جمالك فهلمى أيتها الملاك قبلى ، فدفعته عنها بعنف وشدة — بسبب الذعر الذى تملكها — فهوت سلة الخبز من فوق رأسه إلى الأرض وولت الفتاة هاربة ، فأسرع إلى اللحاق بها ، ثم أمسك يديها بقوة شديدة وجذب الفتاة نحوه فأنجذبت مرغمة . ثم أمسك بصدغيها بين يديه واغتصب منها قبله — لمع لها جبينه وقطب لها جبين الفتاة — وعاد أدراجه وهو يترنخ من القوز ، وعادت الفتاة متخاذلة مثاقلة إلى بيتها ، فارتمت فى أحضان أمها حزينة كئيبة تأس موضع العار من شفتيها . كما تهاجم أن تزيل ما علق بفيها من آثار القبلة !

وتظل تقلب أوراق مذكراتها فترى فى ثنايا صفحاتها ضعفها الشديد عن تحقيق آمانيها وتقرأ ما سجلته على نفسها من اخفاقها التام فى الاندماج فى سلك الراهبات . وتقرأ صحيفة أخرى فتشتمل نفسها وهى تعمل فى حانوت قصاب وإنها لتحسب دخول المحل إذ حانت من صاحب التفاتة — وهو منهمك فى عمله والعرق يتصبب على جبينه ويتساقط من كل أنحاء وجهه — فرأى جمال الكاتبة فوق يتأمل بحسنا برهة ، ثم

عن له مثل ماعن لصبي الفرات من قبل ، فذهب ناحيتها حتى داناها ثم أمسك بذراعها اليسرى باحدى يديه — بينما كانت مستغرقة فى عملها — وقدم لها دجاجة بيده الأخرى ، وحاول أن يقبلها اغتصابا فدفعته عنها مغضبة و ثم تملكه الغضب فكشّر لها عن أنيابه وانقلب سحنة وجهه ودمدم غيظا وحنقا ثم تركها قائلاً : « لك أن تغادري العمل إذا كنت لاأروقك » فخرجت من حانوته تتعثر فى أذيال الحية — وقد ظهرت آثار أصابع القصاب المتسخة على ذراعها اليسرى واضحة جليلة — و ثم تلقى مذكراتها من يدها آسفة على ما جرته عليها الحياة من ويلات لم يكن لها قبل بدفعها ، ثم لاتبث أن يتسرب العزاء إلى نفسها فتقول — إن الحياة خدعة وأهلوها أشرار والمرأة بينهم ضحية ولست جديرة أن أناضل الناس بغير سلاحهم أو أعاملهم بغير معاملتهم ! »

*

* *

ونرى — فى منظر آخر — الطبيب الجراح بين مرضاه فى حديقة القصر الذى اتخذها مصيفاله وهو يواسى هذا ويطمئن ذاك ويشرك صغارهم فى ألعابهم ليرفه عنهم كثيرا من آلامهم ، وربما زلت قدمه فعثر أو اصطدم ببعض الصبية فبذل كل ما فى وسعه لترضيه وإزالة مالحقه بسببه من الألم ، ثم لا يدعه حتى يرى ثغره باسماء ووجهه متهللا ، وإنه لكذلك إذ تدخل (سيرسيه) متكررة باسم غير اسمها فتنبئه الخادم أن سيدة مريضة بالباب تريد لقاءه فيأمر بإدخالها حجرة الاستراحة ، ولا يكاد يدخل حتى يجد (سيرسيه) أمامه فيغضب أشد الغضب إذ يتبينها ويعرف أنها هي ، ويسألها مستفسرا : « ماذا دعاك أيتها السيدة إلى الدخول عندى متكررة ؟ ألم يكن الأجدر بك أن تكونى صريحة وأن لا تلجى إلى مثل هذه المواربة المقوطة ؟ فتجيبه : « ولكننى أراك تهرب منى دائما ، وإنى لعلى يقين من أنك كنت ترفض مقابلتى بمتعاً كل الامتناع عن لقائى لو صرحت للخادم باسمى الحقيقى ، ومع ذلك فأنام مريضة أيها الطبيب ، نعم مريضة جدية بعنايتك لعلى أشفى من علتى » فيجيبها : « لابل أنت تمارضين » وهما تلوح منها التفاته فترى على طاولة الطبيب إطارا فيه صورة فتاة جميلة فليهب قلبها غيرة وحقدًا ، وتسأله : « أهذه هي معشوقك أيها السيد » فيقول : « نعم هي خطيبتى وقد كنا على

وشك الاقتران يوم اختطفها الموت منى، فلا تسمع الشطر الأول من جوابه حتى تكاد تصعق لو لم يتدأ كما الله برحمته ويسرى عن نفسها تمة الجواب فيزول من على صدرها كابوس ثقيل، إذ تعلم أن منافستها قد انتقلت إلى العالم الثاني.

ويبدأ الطيب بفحصها ولا يكاد يلبس يدها وصدرها حتى تشعر (سيرسيه) كأنها كهرباء الحب قد ألحبت جسمها إلهابا فتند تند العاشقة المولعة وتلبس هاتين الناحيتين من جسم اللتين لمسهما الطيب يده فيلتفت إليها مغضبا ويقول: «تقي أيتها المرأة المستهتر أن هذه الحياة البليدة ستودي بك بعد قليل من الزمن» فإذا رأت ضراعتها له غير مجدية وألفت آمالها غير محققة عاودها الآباء والشعم فأجابته شائعة بأنها: «ألا تعرف بماذا أجابت (سيرسيه) حين رفض حبها واحتقر عشقها، لقد قالت له: وداعا».

تعود إدراجها صاحبة متأججة القلب حقدا وغيظا عاقدة العزم على نسيانه — كلفها ذلك ما كلفها — وشم نراها في حفلتها الراقصة التي أعدتها في منزلها ودعت إليها أصدقاءها وعاشقها واقتت في استحضار جالبات السرور إليها، فأصبحت ردهة البيت حانة نادرة المثال وبدأت تعزف الموسيقى وتدور الأقداح وتترنخ الأعطاف، ويستمر الرقص فإذا ثمل أحد عاشقها حاول الدنو منها فأقصته عنها انصاء — بعد أن لكزته يدها الكزة حطمت بهائل آماله — ثم تلعب الخمرة بالرؤوس ويحمي وطيس الرقص فتلهب النفوس حتى يخرج الحاضرون عن أطوارهم وينسوا أدنى واجبات الحشمة وأقل مستلزمات الوقار فتركب «سيرسيه» واحدا من عشاقها — بعد أن وضع على وجهه وجه وحش أقرب إلى أن يكون وجه خنزير — ويظنون كذلك منهمكين في رقصهم غارقين في لهوهم، حتى إذا لفتت هذه الجليلة الطيب القريب من بيتها فتح نافذة طنفه، فأطل منها على هذا المنظر الغريب فرأى «سيرسيه» المستهتر، فاذا لاحت منها التفاتة إليه زادت انهما كالأسرف إسرافا لاحد له في لهوهما. وظلت ترقص رقصا عنيئا متداركا وقد وضعت على رأسها قبعة من قبعات الرجال، فلم يتقابل الطيب هذه الحركات الطائشة بأكثر من إغلاق باب الطنف ليضع حدا لرؤية هذه المساخر.

هنا تشتعل نار الآثام في نفسها وتصهر جسمها من اليأس والفشل؛ فتتم من الرقص ويمعن معها عاشقها في الرقص فتلاشي ذواتهم في غمر اللهب الجارف؛ وتخور توارها فتترجم على شاب

وضىء الوجه من عشاقها المدللين فيحاول تقبيلها فتمنعه ، فإذا شفه الوجد وشكا إليها حبه وهيامه هزئت به ساخرة ، فإذا قال لها : « إني أعبدك وأراك أملى الخلو في هذه الحياة فكوني لي » أجابته « مه فليس يروقني هذا الهراء ولا يعجبني منك هذا الفصل البارد الذي تقوم تمثيله بين يدي الآن » فيصعق قلب العاشق ويهم بالانتحار فتلوح من سيرسيه التفاتة فترى عشاقها يلعبون القمار

وتسمع أحدهم يقول : « أراهن على ألف ريال » فتسرع إلى مشاركتهم في المقامرة وتطلب إلى العم جون أن يعطيها حيلة للمقامرة بها ، فيقول لها المحامي العاشق : « بل أنا أثق بكلامه فلا حاجة إلى كتابة الخوالة »

تبدأ في المقامرة فتكسب في الدور الأول ثم يحدوها الطمع إلى الاستمرار فتخسر ما كسبته . فتتحمس لاستعاضة الخسارة التي لحقتها فتضاعف همتها وتشتد خسارتها فيزيد بها ذلك تحمساً فتقامر على خمسين ألف ريال فتخسرهما صفقة واحدة فيجبن جنونها فتضع أمامها كل حلالها مقامرة عليها فأبى نخس نجمها إلا أن تخسرهما جميعاً ، فتقول للمحامي قوله الياثس الذي أخرجه اليأس عن رشاده فأفساه ما يقول : « أقامر على منزلي فإذا نجحت استعرت منك كل ما فقدته وإن أخفقت أضفت منزلي إلى ما خسرت » ويأبى سوء الحظ إلا ملازمته إلى النهاية فتخسر في المقامرة بيتها بعد أن خسرت قبله كل شيء .

طاحت أحلام (سيرسيه) في اثروة كما طاحت آمالها في الحب ، لقد كانت تبحث عن وسيلة لنسيان ما لحقها من الخسارة والاختفاق في الحب وتستعير بها عن يأسها الشنيع في استمالة حبيبها ، فأبى لها الشقاء إلا أن تخسر إلى ما خسرت كل ما كانت تملك — من مال وحن وعقار — بيد أنها هزئت في هذه المرة بضربات الدهر القاسية بعد أن توالى عليها ، ووصلت إلى الحال التي عناها المتنبي بقوله

تكاثر النصال على حتى فوادي في غشاء من نبال
فصرت — إذا أصابني سهام — تكسرت النصال على النصال

فلجأت إلى الصبر معتمضة برزاة اليأس فقد كل شيء فلم يعد يبكي على شيء . واستبدلت قضاؤها — مخفية ما أصابها من الكمد — بآبائسة انفرجت عنها شفتاها ولكنها

تتم عن بائس قاتل، ثم التفت إلى الراج قائلة: «لقد أصبحت الآن مالك ثروتي كلها ولم يعد لي فيها شيء، فهل تفضل بدعوتنا إلى العشاء في هذه الليلة احتفاء بما نلته من فوز وابتهاجاً بما أحرزته من نجاح» فأجابها المحامي ملياً طلبها الذي لم يكن يرى أشهى إلى نفسه وأعذب إلى قلبه من تلبية، ثم نصبت المائدة واصطفت الكؤوس وبدأ المحامي يقدم لها الكأس الأولى مبتسماً لها ابتسامة تجمع معاني شتى أهمها الفوز على عشيقته من طريق الثروة بعد أن هزمته أمامها في طريق الحب. وفي ابتسامته معنى من معاني الشعور بالغبطة والرضى بما أوصله إليه جده السعيد فأصبح أقدر من ذي قبل على تقديم الهدايا الفاخرة إليها وهي في هذه الظروف القاسية، بل لقد صار في مكنته أن يكشف عنها ويريل ما بها من الثمنك المالى بعد أن كانت في بحبوحة الرخاء.

تناولت «سيرسيه» الكأس التي قدمها إليها، وردت على ابتسامته بابتسامة الكمد المتكلفة فأسرع يسارها بقوله: «ثقي أن ثروتك لم تضع بعد، وأن في تناول بك أن تستردى إذا شئت بأيسر الأثمان؛ بمن زهيد جداً لا يكلفك شيئاً يذكر» ولكنها لا تجيبه بشيء، بل ترفع الكأس إلى شفيتها فتحس منها قليلاً ثم تضغط على زجاجها بعنف فتحطم الكأس في يمينها تحطياً وتدخل شظاياها في راحة يدها فيسيل منها الدم غزيراً وهنا يتجمع حولها العشاق واجمين مستفسرين عن جلية الخطب؛ ويسرع العلم (جون) باستدعاء الطبيب الجراح فيحضر على عجل فإذا رأى الطبيب جرحها سألها: «أليس في البيت أحد من النساء؟» فجيبه: «كلا ليس في البيت إلا خنازير (عرليس) فيقول لها إنما وجهت إليك هذا السؤال لأنني ساضطر إلى إبلاكم فتحمل آلام العلاج بصبر، وجلد فجيبه رابطة الجاش غير مبالية بشيء: «هون عليك يادكتور ولا تقولن ذلك فلقد طالما تألمت وما كانت حياتي الأسلسلة مفرغة الحلقات من الآلام والاحزان» فإذا شرع في علاجها قدم لها أحد عشاقها سيجاراً تناولته منه باسمه محبة، فيزيد ذلك في امتعاض الطبيب وإذا انتهى من العلاج ضمد جراحها ثم ربطها برباط طويل إلى عنقها، ولا يكاد ينتهي من عمله حتى يجد على أسارير وجهها ألف معنى من معاني المغازلة ويتبين ما ترمى إليه تلك النظرات الفاتنة فينظر إليها عابساً وهو يقول: «يجدر بك أن تقلعي عن هذه المساخرة وأن تضعي حداً حاسماً لسيرك المعوج» فلا يكون لها من جواب على هذا

القول إلا أن تسرع إلى احتساء كأس مترعة من الخمر وهي تهيب بأصحابها - : اسمعوا يا سادة ، ها إنى أشرب تلك للكأس تجب نصيحة طبيبي الثينة ، ويجذبها إلى ناحيته أحد عشاقها فتبدأ معه الرقص كأنما تريد بذلك أن تهتاج نفس الطبيب أو تحرك فيها شيئاً من لواعج الحب أو تثير منه مكمناً من مكامن الغيرة ، ويحاول عاشقها تقييلها فلا تمنع في ذلك ممانعة جدية لتزيد بذلك إهاجة الطبيب ، على أنها تهيج بذلك عاشقاً آخر من عشاق المدلهين ، فيتصدى لصاحبه ويريد المحامى أن يطرد الجميع من البيت الذى أصبح في حوزته بحكم القانون ، وفي هذه الأثناء تنطلق رصاصة طائشة من يد عاشق آخر فينسبون المهرج والمرج ويتملك الذعر نفس سيرسيه فتأخذها رعدة ، ويلتفت الطبيب إلى الحاضرين فرعاً ناقماً منهم هذه الاعمال الوحشية التى تبرأ منها الانسانية . نادياً انحطاط الاخلاق وار تكاس الآداب . ولا يكاد يخرج من هذه الحفلة السافلة . حتى يلتقى بها في الحديقة . فينظر اليها محترراً ثم يسألهام قرعاً وهو يغذ السير إلى داره - : « ألا تشعرين بمسئولتك الجسيمة أراء ما تقترفينه من هذه الشنع ؟ » ولا ينتظر منها جواباً . بل يواصل سيره مسرعاً ، يجلس الطبيب في غرفته مفكراً فيما مر به من الحوادث العجيبة في تلك الليلة النكراء : وانه ليحبل فكره في ذلك غارقاً في تأمله . إذ يفتح باب غرفته فجأة وتدخل منه سيرسيه . ولا يكاد يرفع بصره إليها حتى تبندره قائلة : « ماذا تنقم منى ياسيدى الطبيب ؟ » تنق أنك واهم في ظنونك ؟ فأنى لست . وايم الحق . ملومة على ما أتته ، بل ليست لى يد في كل ما حدث بسببى . لقد كوتنى الظروف القاسية تكويناً لم يكن لى فيه أى خيار ، وألقت به في هذا الخضم المائج بلا عتاد ، فلم أربدا من السباحة في تياره حتى لا يغرقنى إلى قراره . ولقد رأيت الناس لا يحبون إلا هذا النوع السمج من الحياة الفاسدة فلم أحجم عن مشاركتهم فيما يحبون ! » فيجيبها الطبيب قائلاً : « بل أنت واهمة في تبرير عملك مخطئة أشنع الخطأ في كل ما تلتمسينه لنفسك من الأعذار التى تحاولين بها تبرير ما تقترفين من إثم وفي إقناع نفسك بأنك غير مسئولة عما تجنيه يداك من الجرائم الشنعاء ! » لا فلتعلى أيتها السيدة أن أمثالك من النساء قوى هائلة في هذا الوجود مدمرات كل ما يحيط بهن بلا رحمة ولا شفقة ، وها أنت ذى لا تفتنين دائبة على إيقاظ أسفل الغرائز الانسانية ، وأحقر النزعات البشرية في نفوس خلطائك . ولو أن هذه القوى الهائلة قد وجهت إلى الخير لآتت بأحمد النتائج الباهرة

فتجيه سيرسيه ضارعة

« آه ياسيدى الطيب لشد ما أخطأت فهمى وأسرفت فى إساءة الظن بي — وماذا يعينك، إن كنت قد أصبت أو أخطأت؟ وليس هذا بضائك. يا لله! ألم تظن بعد إلى ما يجنيه لك، قلبي ماذا — آه من الحب، نعم من الحب، ثق أنتى أحبك، أحبك، أحبك! »

فإذا سمع منها الطيب هذه المناجاة لم يعجبها و كأنما كانت نجواها إلى سواه، فأشعل سيجارته والتفت إليها التفاته الهادى، وأجابها ساخراً — وهو يتباطأ فى كلامه: « أنت تحيننى؟ هذا هراء، هذا مالا أعتقده، فإن مثلك لا يعرف الحب، فلا تدعه سريسه يتبادى فى هذه النغمة المؤلمة من القول، بل تسرع فجأة إلى يده الممدودة إلى جانبه فتختطفها اختطافاً وتندبها إلى فيها محتلسة منها قبلة حارة، ثم تفر راجعة أدراجها بمثل سرعة البرق، فيجرى وراءها يحاول اللحاق بها بلا جدوى، حتى إذا ينس من إدراكها عاد إلى غرفته وقد بدأ يساوره الفكر والقلق على مصيرها وأحس أول نيران الحب تضطرم فى قلبه اضطراباً! »

تعود « سيرسيه » إلى بيتها منهوكة القوى مشغولة الفكر، فيقابلهما عشيقها المحامى باسمًا مظهرًا لها استعدادها التام للتنازل عن كل شىء — إذا شاءت — فلا تجابه ولا تلتفت إلى ما يقول فيمسك يدها محاولاً تقييلها أو ضمها إلى صدره فتجذبها عابسة وتدفعه عنها مغضبة فتشتعل فى قلبه نار الغيرة والحقد ويسأها: ما معنى هذا التقطيب وهو صاحب الثروة ومالك البيت والمتصرف فى كل ما تملك؟ فلا تجيب بشىء، فإذا رآها لا تحير جواباً وأدرك من أساريرها أنها منهمكة غارقة فى بحار أفكارها السوداء يادها بقوله: لعلك فى شغل شاغل عني بحب ذلك الطيب... فتقاطعه صارخة: « صه أيها الخبيث! فأنت غير جدير أن تنطق حتى باسمه: آه لبس ما جنيت من محبة أمثالك من خطاء السوء ورفقاء الشر الذين أوصلتنى مصادقتهم إلى هذه العاقبة السوأى، وأسلفتى صحتهم إلى فقدان كل أمل فى الحياة الفاضلة » وهكذا يسدل الستار على هذا المنظر الرائع:

ونعود إلى الطيب فنراه جالساً جلسة المضطجع على إحدى أرائكه غارقاً فى تأملاته. مرسل فكره فى جمال سيرسه والتأمل من حسناتها، وقد دفعه الفكر إلى تمثيل كثير من الأحلام والأمانى اللذيذة عنها فقد بدأ يتمثلها أمامه الآن ملكاً كريماً. لا بشراً سويًا، واستعاد فى ذاكرته تلك القبلية.

المختلصة التي اختطفتها من يده اختطافاً فأحس كأن نار الحب يسرى ضرامها من مكان تلك القبلة إلى كل ناحية من أنحاء جسمه ، وطاف بذهنه كل مامر أمامه من حب سيرسيه وشدة تعلقها به ووجدتها الذي أثبتت الحوادث صدقه ، وطفق يحلل كل مآلته من الأعمال فيزيده ذلك بها شغفاً وهياماً . وتنجلي له البواعث الحقيقة التي دفعت بها إلى كل مافعله ويتكشف له أخلاصها وحسن طواياها ونبل مقاصدها .

لقد أدرك أخيراً أن سيرسيه محبة صادقة في حبها . ولو أنها عن يما ذقه الحب لما بهت له ولا شغلت بالها به إلى مثل هذا الحد ولا انصرفت إلى عشاقها الكثيرين الذين لا يترددون لحظة واحدة في تلبية أشارتها وانفاذ رغباتها ، وذكر أنه لم يقدم لها هدية ولا هو غنى فيطيبيها غناه وتستميلها ثروته . وهكذا تضافر كل شيء وتكافت كل ظواهر الأمور وبواطنها على تفسير حبها أياه بمعناه الصحيح الذي كان جديراً أن يفهمه من قبل على حقيقته ، ولقد ظهرت له سيرسيه في أحلامه ملكاً باطناً من السماء مرة ثم صاعداً اليها مرة أخرى ، وبما رأى هذا الملك السماوي جاثماً بين يديه أو طائر أفي أجواز الفضاء أو مخلقاً معه في أجواء السعادة والهناء . وبما خيل إليه أن حبلاً من جبال الأمل قد تدلى به من السماء وأنه متعلق به وحيثه سيرسيه ، وقد بدأ يرتفع بهما وهما صاعدان حتى بلغا ذروة الرجاء وأشرفا على عالم بهيج تغنى فيه الطيور الجميلة . وتسطع في سماواته شمس السعادة وتنمو فيه أزهار الحب ناضرة فرحة وربما أحس كأنما يدها البيضاء الناعمة تلمس كتفه برفق . فأفاق من سنته متهياً لعناقه . فلم ير أمامه أحداً . فالتفت إلى تأملاته مستأنفاً أحلامه السارة من جديد ، ولم تكن سيرسيه تبدو له في ذلك الحين إلا متحلية بأجمل ما يتجلى به الحبيب لحبه من حلال الحسن الضافية وحلل الطهر والعفة والأخلاص ، حتى لقد هم مراراً أن يذهب إلى بيتها جرياً على قدميه ليظفر بلحم وجناتها وينعم بقربه منها . متملياً بحاسنها المتجددة الباهرة ، على أنه لم يلبث أن تملكته هذه الفكرة بعد قليل وامتلات بها نفسه فذهب إلى بيت حبيبته سيرسيه :

ونعود الآن إلى منزل سيرسيه فنرى العم جون واقفاً يسأل الخادم السوداء عن سيدتها سيرسيه فتجيبه محزونة : — لقد غادرت المنزل منذ هنية تاركة لك هذه الرسالة . فيسرع العم جون إلى فضاها وقراءتها ، ولا يكاد يأتي على آخرها حتى يتملكه الأسى

وينهه الوجديذا يقرأ: « مع كل شيء وسدد ديونى ثم خذ ما تبقى لك أما أنا فلا يعينك
أمرى ولا يلقى بالك مصيرى ولتلق أنك لن تعثر على مكانى إذا بحثت عنه . فلا
تطلب المحال ولا تعال نفسك بباطل الآمال والسلام عليك من الشاكرة لك على
صنيعك المقدره كل بذلته لها من معروف وقدمته من جميل » ظل العم (جون) برهة
حائراً ، يعيد تلاوة الرسالة مثنى وثلاث ورباع وإنه لكذلك إذ حضر الطبيب فإذا
رأى العم (جون) حياه مستفسراً عن سيره فلم يجبه بأكثر من إعطائه رسالتها التي
تركها مع الخادم منذهنية ، وثم يحس الطبيب كان شراراً تطاير بين جنبيه ، واسودت
الدنيا في عينه وقد أدرك أن (سيرسيه) قد فرت فرار اليأس بعد أن سدأ مالمها كل أبواب
الرجاء ، فألقى على نفسه باللأئمه وخجل بما أتاه من التصلب والعناد حين كان جديراً
أن يسلك معها سبيل الرفق واللين والكياسة ، وبدأ يتمثل ما يستقبله من الآلام
والاحزان المضنية ويرى في الأيام القابلة ظلمات كثيفة متراكمة لا تسطع فيها أضواء
الحب ولا تثيرها شمس وكأنما أيقن أن نجم سعادته قد أفل فعاد أدراجة والهم بكاد يصمى
فؤاده ، وطفق والعم جون يبحثان عن (سيرسيه) في كل مكان يظنانها تغشاه زمنا
طويلاً . دون أن يرجعا بطائل ، حتى كاد يخامرهما اليأس : أما سيرسيه فقد علمت أن
الطبيب الذى تقدسه متفانية في حبه قد أخطأ فهمها وأساء الظن بها وعرفت معرفة
اليقين أنه لم يحكم عليها إلا بظواهر أمرها دون أن يعنى نفسه باستكناه حقيقة حالها وطهارة
نفسها ، علمت (سيرسيه) أن الطبيب الذى ناطت به كل أمل في إسعادها يحتقرها
احتقاراً ، وأى شيء أدعى للحسرة وأجلب للآلم من رؤية من لا يعبأ الإنسان بأحد
في العالم إلا به ولا يهمه رضى سواه أو سخطه ، أى شيء أنكى من سخط هذا الحبيب
الذى لا يهم الإنسان أحد سواه في كل هذه الأرض الفسيحة

فلتلك تصفو والحياة مريرة ولتلك ترضى به والأناام غضاب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذى فوق التراب تراب

(٥٥)

ولكن ماذا تعمل سيرسيه وقد رأت أن كل من يستوى عندها حبيبهم وسخطهم يهيمون بها هياماً ولا
يترددون في تلبية أية إشارة من اشاراتها . في حين أن معبودها الذى ينير لها حبه طريق
الحياة لا يفكر فيها ولا يهمه من أمرها شيء . لم تجد سيرسيه أمامها وسيلة تلجأ إليها

في الحياة — بعد أن كرهتها وكرهت كل ما فيها . إلا الرجوع إلى أمنيته الأولى التي طالما عجزت عن تحقيقها فذهبت ميممة ملجأ حداثتها ومطمح أحلامها من قبل وهو الدير . فلما بلغت مرت بذكرها طائفة من الذكريات المختلفة ولم تكد تظأ قدماها بابه حتى أيقنت أنها تستقبل عهد الدعة والطمأنينة ومرة الأيام تترى وهي ترنل صلواتها مبتلة إلى الله مازجة دعاءها وصلواتها بذكر حبيبها الذي يئست منه إلى الأبد ومرأماها مشهد الرهبات في ساعة متأخرة من الليل ذاهبات إلى الصلاة . فذكرها ذلك بالمشهد السابق الذي رآته وهي طفلة وتعاقت الأيام وهي منصرفة إلى العبادة مازجة الصلاة بالحب ، تجلس حولها فتيات صغيرات تعلمن في حديقة الدير باسمات حولها فرحات بما يتلقينه منها مؤنسات بأحاديثها الجميلة

وفي ذات يوم لمحت إحدى تلميذاتها تعدو نحوها مسرعة قائلة هاهي الآسة . (مارى) مقبلة فأسرفت سيرسية إلى لقائها ولكنها ، ولكنها لم تكد تجتاز باب الحديقة وتخرج من الدير إلى عرض الشارع حتى دهمتها سيارة مسرعة في منتصفه فكسرت ساقها وغابت سيرسية عن الوجود دخلوها وهي فاقدة الرشد إلى مستشفى الدير حيث بدؤا يعالجونها .

نعو د إلى الطبيب العاشق فتراه يعدان بحث فأضناه البحث وفش عن سيرسية في حيناً عن له أن تكون فأعياء الأمر واتابه اليأس من العثور عليها وأيقن أن كل مجهود بذله في هذا الصدد ضائع وما له الفشل والخيبة ، كف عن البحث مستشعراً اليأس من لقائها قانعا بالتمتع بها في عالم الخيال والأحلام بعد أن عجز عن التمتع بها في عالم اليقظة والحقيقة ولكن الدهر أبو العجب وأضيق الأمر إن فكرت — أوسع ، وكثيراً ما ينبلج صبح الأمل بعد أن يحللك ليل اليأس ويشد ظلامه

وقد يجمع الله الشيتين بعد ما . يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

فقد خرج الطبيب ذات يوم وكلبه يرافقه فلما بلغ مكانا مزدانا بالأزهار والحضرة جلس ولم يكذبستقر في الجلوس حتى بدأ يداعب كلبه ولامر ما ألقى إليه عصاه على أبعد مسافة استطاعها فأسرع الكلب يعدو في أثرها باحثاً ولكنه عاد بعد قليل وفي فيه شيء غيرها ، فلما داناه تين الطبيب أنها مذكرات ، ولشد داغمرته الدهشة

حين رأى اسم سيرسية مكتوبا عليها فأقبل على مطالعتها بلهفة المشوق وهو يكاد يهتمها التهاما وزادته مذكراتها اقتناعا بطهارة نفسها ونبل مقاصدها ، على أنه لم يطل به البحث وهو يقلب صفحاتها فقد رأى في ثناياها عزمها على الذهاب إلى الدير المقدس (أورليان) وما كاد يقع بصره على هذه الجملة حتى طفح وجهه بشرا وامتلاّت أرجاء نفسه بهذا الاكتشاف الباهر غبطة وأنسا ، حتى خيل اليه أن الكون بأسره باسم له وأن ليس في هذا الوجود الاطلاقة وسرور شامل ولا حله بحر السعادة المنبلج تبدد أضواءه ظلام اليأس وتقشع سحب الخيبة التي كانت غائمة في نفسه فكر ، راجعا إلى العم (جون) ليخبره بهذا الاكتشاف الرائع الذي هداه اليه حسن طالع

ونرى منظر آخر فيه راهبات الدير يدعون دعوات حارة صادرة من أعماق قلوبهن مصليات ضارعات إلى الله أن يمن على سيرسية بالشفاء العاجل من تلك الصدمة القاتلة ونرى طبيين في حجرة (سيرسية) المريضة يتامسان فيها مقررّين عجزهما عن شفائها وأسهما من أنهاضها من كبوتها ولكن أحدهما يقترح على زميله أن يسلكا معها سبيل الإيحاء وان ينميا فيها هذا الاعتقاد المتأصل في نفسها . وثم قال لصاحبه « مادامت بنوهم أنها قادرة على المشي فماذا علينا إذا جاريناها في اعتقادها وأدخلنا في روعها أنها شفيت وأنها تستطيع السير الآن ، لعل ذلك يكون من أسباب شفائها ، وان كان الامل في نجاحنا ضعيفا ، ولكن لتكن هذه هي التجربة النهائية » وثم يقولان لها وهاء أنت ذى قدرة على المشي فانهض أيتها الفتاة » وتحاول الفتاة تلبية هذا الطلب فتشرع في النهوض مع ما تكبدها تلك المحاولة المتعبة من الجهد وتنهض متاثلة معتمدة ذراعي الطبيين حتى لا تسقط إلى الارض فاذا تركا ذراعيها القياها لا تماسك يدها تعصم بالجلد محاولة أن تغالب ضعفها وتأتي قدمها الخائرتان أن تحتملها فتترنخ ترنخ من يوشك أن يهوى ساقطاً الى الارض وانها كذلك إذ يدخل حبيبها الطبيب فلا يكاد يقع بصره عليها حتى يناديها باسمها ، هذه هي أنت يا سيرسية»

أى صوت ملكى تسمعه أذناها وأى حلم جميل تراه في يقظتها فلا تكاد تصدق أنه حقيقة واقعة فتنظر إلى حبيبها مشدوهة وهلى مرهفة أذنها مستجمعة حواسها الضعيفة وقواها الخائرة فتسمع صوته الساحر يناديها ثانية «هلى إلى ياسيرسية هلى إلى !» فلا يتم هذه الجملة

العذبة الخلابة حتى يتبدد كل شك في نفسها وتوقن أنها يقظة غير حاملة، وتنتظر فتجده.
فأتاحت ذراعيه إليها فتمد يديها إليه، وكأنا نسيت ضعفها وبأس الأطباء من شفائها
وعجزها منذ لحظة عن الوقوف على قدميها فضلاعن السير، وكأنا أنساها الظفر كل
شئ، إلا ما تحلم به من ادراك السعادة الوشيكة بقرب حبيبها الذي قطعت الأمل من
لقائه فتستمسك في الحال وتتحرك قدماها نحو حبيبها تحركا وئيدا، وتخطو إليه خطوتين
فأذارت ذراعيه تستقبلانها ارتمت في أحضانه، وتنطبع على شفاهها قبله فيها كل معاني
البحث والجوى: وتمر بهما لحظة تتضاءل أمامها كل لذات الحياة ومسراتها، وتريدا
(سيرسيه) أن تستيقن مثبتة من أنها في اليقظة فيشتد التصاقها به وتسأله:
«أأنت حاملة؟» أحقا أنتي ظفرت بالسعادة بقربك فيضمها حبيبها إلى صدره ضمة الموله
المشغوف وهو يقول: «كأأنت حاملة بل أنت بين ذراعي وستكونين لي وحدي مدى الحياة» !
«ك. ك.» «تمت»

اطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المسكاتب المعروفة

مَعْصِيَةُ الْمَلِكِ نَيْلِ الْحَيَاةِ

ومفالات أخرى

بقلم

اسماعيل مظهر

في سبيل الفن

بقلم الرسام المصرى الشهير الاستاذ شعبان زكى

أعط طفلاً قرطاساً وقلماً فما أسرع ما يبدأ بالتخطيط ، وما أسرع ما يظهر على رسمه وهو فخور . فخور بأن جهده الذى ترى دليل رغبة عنده فى التعبير عن غرض له معلوم .

هذه الرغبة الجميلة عند الأطفال مهمة جد الإهمال عند الآباء . فهم يميلون إلى اعتبار أن الوقت المبذول فى تعلم الرسم عبث وضياع . كان هذا الاعتبار سائداً فى العالم منذ نصف قرن حيث بدأت ظاهرة الفن الايضاحى والفن الاعلانى تظهر فى عالمى التأليف والتجارة . ونقول — زيادة فى الايضاح — إنه منذ خمسين عاماً لم تكن الصحف لتحتوى صوراً فنية اللهم إلا بعض رسوم ضئيلة فى الاسبوعية منها ، كما كانت وسائل النسخ ركيكة باهظة التكاليف إلى حد جعل الناشرين أنفسهم يفقدون الحماسة فى هذه السبيل .

أما اليوم فالحاجة ماسة على الدوام إلى الصور والرسوم — فى كل فرع من فروع الحياة ولشتى الأغراض — بل إن أسباب هذه الحاجة لتطرد فى الزيادة على مر الأيام .

* *

فالطفل الذى يشجعه عائلته على مزاولة الرسم — وهو صغير — واصل حتماً إذا هو نابر — إلى درجة يجد نفسه قادراً بها على الدخول فى مضمار الحياة ، وأنه لمضمار جليل الشأن فى هذا الزمان .

لقد كان يقال دائماً إن الفنانين كالشعراء يولدون كذلك ولا يهثون ! على أن الواقع ليس هكذا على الدوام . صحيح أن فى الناس كثيرين ينشأون ذوى مواهب فنية تجعلهم بحيث يأتون فى الرسم بما لا يستطيعه غيرهم ممن لم يؤثروا مواهبهم — ولكن التجارة قد أثبتت أن الطالب غير الموهوب قد يفوق بالالتفات والجد أولئك الموهوبين — بل وقد يصل — بطول الدرس — إلى حيث يحتل معهم أول الصفوف ، وقد يأخذ فيهم مركز القيادة فى بعض الأحيان .

من الجائز المقبول اذن أن يقال : إن لآى طالب أن يتعلم الرسم . وليس يعوزه في هذا المطلب غير الرغبة في العلم (علم الفن) وأستاذ متمكن يهديه .

ولأن تستطيع أن ترسم أو تصور كل ما يعين لك مما تتخيل أو ترى أو تحس ، أمر محبب كما لو كنت بحيث تستطيع العزف على الكمان أو العود أو المزمار — ولكنك لن تجد راغباً في سماعك كعازف ، إلا حين تكون القادر المجيد على العزف — وكذلك أنت لن تكون الرسام الكبير ما لم ترج بضاعتك في المعارض — أسواق الفنون



من كان ذا ولع بالموسيقى فواجهه أو واجب أولياء أمره أن يغذوه على الدوام بعذب النغم ، ومن كان مشغولاً بالرسم والتصوير فعليه أو على ذويه أن يرسلوه بين الخطوط والألوان ، وأن في العالم اليوم لشباباً كثيرين ليسوا من الأعلام المشهورين لكنهم يربحون — كرسامين موضحين أو مصممين في فن الاعلان مثلاً — من مائتي جنيه الى ثمانمائة في العام ، ومن بين الصفوف التي تضم هؤلاء الشبان يخرج الجهابذه الأعلام

ذلك شأن ناحية من الفن الجميل ، ونقصد بها فن الاعلان ، وإن مصر محرومة كل الحرمان — وحرمانها هذا هو الذي يدعو القادرين المخلصين أن يقوموا بالواجب مشفقين ، وهو الذي يحذوهم أن يقاوموا المحال في هذا السبيل



إن الرواج المحسوس في ميدان الصناعة والتجارة اليوم — ولا نقول في كل أنحاء الميدان — إنما هو نتيجة مباشرة لفن الاعلان . كما أن فن الاعلان مدين كذلك لهذا الميدان الذي وسعه بكل ما حوى من خطوط وألوان . وأنا لا ندرى أيهما الأبر على التمام ! فإن أحدهما — مستقلاً عن الآخر — لا يدر بما يدرانه مشتركين — فالتعاون بينهما كالتعاون في كل ما عداهما ، أصل الخير فيهما والاقبال .

قد يقول البعض إن المادة متلافة لكل فن — فاحتكاك الفن بالمادة في مثل هذا الميدان يقضى على روح الفن ولو بعد حين ١٠٠٠ ونقول نحن إن فن الاعلان إعلاننا

تلقن تفرؤه الجماهير فى يسر وفى كل غدو ورواح ، وفى فن الاعلان تحس هذه الجماهير
بالجمال والفن قبل أن تدرك منه الهدف المرسوم - يكون فن الاعلان عاملا فى ترقية
الاذواق فى البيئة التى ينتشر فيها بقدر ما هو عامل فى ادخال المسرة بما ينطوى عليه
من بهجة الالوان الى جمال التأليف الى روح الابتكار

تلك المزايا فيه ملازمة له مذ كانت النفوس بطبيعتها ميالة الى الرسم ، ولزامها
من يجعله أداة صالحة للرواج على مر الدهور

فاذا التفت الى ذلك الفن الفنانون ، و اذا أدرك الممولون منا تلك المزايا الجسم ،
فما أيسر أن يوجد بمصر (فن الاعلان) ، وما أسرع ما يصل الرقى أساليب الطباعة
و النشر فى قطرنا العظيم ، وما أجل ما يدر من الخير على كثيرين

وبذلك تصبح مصر ، وهى لا تقل عن أمم الغرب التى أخذت تدين اليوم بفن
الاعلان ، فى جميع مرافق الحياة - فى الاقتصاد وفى الدين وفى السياسة وفى كل ما يخطر
بالبال ، حتى لقد باتوا يسمون هذا العصر بعصر الاعلان

فهل لفنانينا أن يعملوا معنا على نشر روح الفن من هذا السبيل ، وهل لممولينا
أن يدرکوا هذا الخير العاجل الوفير ؟

سبحانه زكى

ضاحية المطرية (القاهرة)

أطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن جميع المكاتب المعروفة كتاب

العقائد



هذى طباع الناس معروضة

نخالطوا العالم أو فارقوا

« أبو العلا »

ذاع في بحر نهضة أوروبا أسماء ثلاثة من أساطين الكتاب ، عدوا — بحق — من أكبر مجددي عصر الآداب ، وهم « دانتى » خالق اللغة الإيطالية ، و « بترارك » و « بوكاتشو »

قد اشتهر دانتى بكتابه المرسوم برسالة الغفران La Comedie Diuine وهو الذى احتذى فيه نهج أبى العلاء فى رسالته المعروفة بهذا الاسم ! واشتهر « بترارك » بشعره ونثره الدائمين وهما — عند الإيطاليين — فى أعلى طبقات البلاغة !

أما « بوكاتشو » فقد اذاع صيته ، وخلد ذكره . كتابه الفذ « ديكرون » وهو مجموعة قصص خالدة ، جمعت إلى رشاقة الأسلوب أقتنان الرواى وبراعة الساحر ، وكان لها أكبر أثر فى كتابة قادة الفكر فى أوروبا ، أمثال « مولير » و « فولتير » و « جوتيه » وغيرهم — وهم كثيرون — فترسموا خطاه وجعلوا من بعض هذه القصص ، نواة لمؤلفات رائعة كتب لها الخلود

العجوز وتقويمه السنوي

كان فى مدينة « بيزا » قاض مشهود له بالذكاء والكفاية ، ولكنه — رغم ذلك — على جانب عظيم من الضعف وخور العزيمة ، وكان بالغاً من الغنى أقصى حد ، واسمه

«ريشارد دي كوينزيكا» Richard de Quinzica وكان يظن أن سمادته لا ينقصها سوى الزواج، حاسباً أن طبيعة جسمه لا تزال قادرة على أداء ما يتطلبه من فروض، كما يؤدي عمل القضاء الذي يراوله بحذق وكفاية، فجاء في طلب الزواج باحثاً عن زوج حائزة مزيتي الجمال والشباب، وقد كان — على العكس من ذلك — جديراً أن يتعد جهده عن هاتين المزييتين لو عقل (١) !

اهتدى إلى طلبته ووجد الفتاة التي كان يتخيلها وهي «بارتومي» ابنة السيد «لوتوجالندي»

وكانت على الحقيقة

من أجمل نساء «بزا» وكان

وجهها — انقسامته وصباحته —

أجمل وجه في عالم الحسن :

تمت حفلة العرس ، ودخل

القاضي العجوز على الأنسة

الشابة، وبدأ معها التمرين

الخبوب، ولم يكبد ينتهي منه حتى

خارت قواه وبلغ ضعفه أقصاء !



بارتومي

أنجده وأنبك جسمه تمرين واحد ، فما العمل إذن ؟ حاول في الغد أن يعرض ما فقد من قواه المشهورة فتهاقت على شرب النيد وغيره من الأشربة التي تقوى الجسم . فلم يجد شئاً من ذلك

وثمة بدت له حقيقة أمره وعرف مدى ضعفه وعجزه عن الوفاء بحق زوجه الفتاة ، فطفق يلتمس الحل للخروج من هذا المأزق الحرج ويعمل فكره وذكاءه للوصول إلى طريقة يستريحها ضعفه وعجزه عن زوجه . فاهتدى إلى طريقة فذة هي أن يدخل في روعها أن في السنة أياماً خاصة لا يجوز للزوجين فيها أن ينهما بلذات الزواج . وعثر

(١) ما أجمل قول المعري في هذا المعنى :

إذا كانت لك امرأة عجوز فلا تأخذ بها أبداً كما

فإن كانت أقل بها وجه فأجدر أن تكون أقل عاباً

على « تقويم » قديم من تلك التقاويم المطبوعة لتدريب الأطفال على القراءة، وزاد على تلك الأيام أياماً حتى كاد يجعل العام كله أعياداً ومواسم لا يجوز فيها للزوج أن يدنو من زوجته، حتى لا يقعا في إثم أو يرتكباً خطيئة. فقد أضاف إليها أيام الذكرى وأيام الصيام وأصوام الفصول الأربعة وأيام الأحاد النخ الخ .

حرمت زوجته من لذات الزواج فضاقت صدرها وضوعف سخطها ونقمتها ولم ينس الزوج أن يرفه عنها بوسائل مختلفة فكان — بين حين وآخر — يخرج معها إلى حقوله « في الجبل الأسود » ويتزهران معاً على شاطئ البحر

وفي ذات يوم ابتكر نزهة لطيفة لئلا قلبها سروراً وفرحاً . فاصطحبها معه إلى البحر لصيد السمك بعد أن أعد لهذا الأمر عدته — وأحضر سفينتين كبيرتين أحدهما له ولأصدقائه الأعراء والآخرى لزوجته وصواحبها، وشرعوا في الصيد وطاب الهواء وأبحرت السفينتان مسافة بعيدة وصفا الوقت وعم الجبور فلم يشعروا أنهم أوغلوا في البحر وبعدوا عن الشاطئ كثيراً . وأنهم لكذلك إذ دهمهم قرصان معروف في ذلك الزمان بسطوته وشدة بطشه اسمه « باجامين دى مونيغوى » فقطع عليهم هذا السرور .

قصد القرصان إلى سفينة النساء وأجال بصره فيهم فلم يجد أجمل ولا أبدع من زوج القاضى، فأسرع إليها واختطفها (١) — على مرأى من الجميع — ثم عاد أدراجه فرحاً بظفره دون أن يتصدى له أحد .

صرخ النساء وولول الشيخ القاضى وبلغ به الأسى والغم من هذه الكارثة مبلغاً لا يوصف . حاول بعد ذلك أن يهتدى إلى مقر زوجته المخطوفة فلم يفلح

أما « باجامين » فقد بهره جمال الفتاة وسلب لبه، فحمد الله على ظفرة بهذا الكنز النادر المثال وسهر عليها رعاها ويطمئن قلبها ويستعطفها عليه ويثبها وجدته وهيامه بها ويغيرها عن زوجها الشيخ، حتى أقبلت عليه .

ولم يكد يحن الليل حتى قلب عليها جميع لذات الزواج — على اختلافها — ومرت

الأيام فلم ترمه اهتماماً بسبت ولا أحد ولا جمعة ولا عيد ، رأت كل الأيام والشهور عنده سواء
لأنها كلها صالحة لأداء التمارين المحبوبة ، لأنه لا يعرف يقويم زوجها السنوى ولا يدين بمثل
تلك الترهات !



فزاد حبها . حين علمت أنها ارتاحت — إلى الأبد — من ذلك الكابوس الثقيل الذي طالما لجأ إليه زوجها ليتخلص به منها ، وزاد هيامها بالفرصان حتى نسيت كل شيء .
سواء — فأصبحت لا تذكر « الشيخ » ، إذا مر بخاطرهما — إلا مزدربة ناقصة .

أما الفاضل الشيخ ، فقد واصل البحث عنها دائباً غير وان ولا يائس من العود .
عليها ، حتى انتهى إلى مقرها بعد جهد . ولم يصل إليه إلا في المساء ، ورأته الفتاة —
مصادفة وهي مع عشيقها — فأخبرته بمجيء زوجها ورسمت له اللحظة التي يتبعها معه ،
وزادها ذلك شغفاً واثقلاً . قضيا ليلة بهيجة ناعمين بالضم والعناق والتقبل
إلى الصباح .

فلما جاء زوجها إلى منزل الفرصان — في اليوم التالي — قابله الفرصان هاشاً بأشأ
وسأله عما يريد . فأخبره بقصته كلها ، وختمها متوسلاً ضارعا إليه أن يرد له زوجته
المحبوبة التي لا يستطيع السوا عنها . ووعده بأعطائه فوراً كل ما يريد من مال لاقتدائها
— بالغة ما بلغت تلك الغدية —

فالتفت إليه الفرصان ضاحكاً وقال — :

« إنني أرحب بك ياسيدي ولا أكتفك أن عندى امرأة شابة ، ولكنى أجهل أنها
زوجك فلم يسبق لى شرف التعرف بك ولا بها ، مذجات إلى — وبما أنى أرى
من ملائكت وسياك دلائل الشرف والنبل ، فاقم لك ما أستطيعه من صنع .
فأسمح لك برؤيتها . ولا شك أنها ستعرفك من النظرة الأولى إن كنت زوجها
حقاً . ومتى اعترفت بذلك ورضيت بالعودة معك ، سمحت لك بها عن طيبة خاطر ،
تاركاً لك حينئذ تقدير الغدية التي تسمح بها . وإنما يدفعنى إلى ذلك ما ألمح على وجهك
من دلائل الشرف .

ولكنها إذا لم تعترف بأنك زوجها . أو اعترفت بذلك ثم رفضت الذهاب
معك ، فأنك حينئذ ترتكب أشنع الخطأ إذا أصررت على أخذها قسراً ، على أنني لن
أسمح لك بذلك ، فهي شابة جميلة . ولشباب والجمال حكمهما النافذ ، وليس فى قدرتى
أن أفرط فيها أو أرغمها على شيء . لا رضاه .»

تقاطعه « ريشار » قائلاً — :

كن على يقين أنها زوجي ، ومتى جمعتني بها . ظهرت لك حقيقة ما أقول واضحة ،
وسترى كيف ترتمي على معانقة مقبلة متشبثة بعنق وذراعي . أتى على ثقة من ذلك
ولذلك تراني لا أتردد لحظة في قبول هذا الشرط

فقال القرصان — :

هذا حسن ، فاتبعني لتراها إذن !

وثمة أدخله القرصان في حجرة ثانية ونادى السيدة فحضرت كالكوكب المؤتلق
من الحجرة المجاورة ، وأشرق جمالها فلاً الحجرة نوراً وبهجة . ثم حيت زوجها
تحية فائرة ، كأنها لم تعرفه ولا رآته من قبل ، وكأنه لا يستحق أن تخاطبه بكلمة واحدة
ولا تسلم عما أصاب زوجها القاضي من الدهشة والخيرة من هذا البرود العجيب
الذي قابلته به ، وما كان يدور بخلد لحظة واحدة أن يصدر مثله من مثلها —

على أنه لم يلبث أن تلبس لنفسه بعض العزاء فقال — : « لعل الآلام والأحزان
التي لازمتني منذ اختطفتم مني إلى اليوم قد غيرت شكلتي تغييراً تاماً ، فلم تعد تعرفني ،
وبعد أن مر بخاطره هذا الهاجس . التفت إليها قائلاً — :

« آه يا صاحبتى العزيزة ! »

« كم كلفتني تلك النزهة التي أعدتها لك لادخل بها السرور على قلبك حين تتمتعين
بالصيد في البحر ! »

كم كلفتني تلك النزهة من ثمن فادح من الحزن والآلم منذ تلك اللحظة المروعة التي
فقدتك فيها . آه ! كم كنت قاسية معنة في القسوة ، إذ ترينني بعد هذا الغياب الطويل
فتصمتين ولا تنسين بحرف واحد ، كأنك ما عرفتني في حياتك قط ؟ ، ألا ترحبين
بزواجك « ريشارد » الذي جاء اليك ليرجعك معه إلى « بيزاه » بعد أن يدفع عنك الفدية
إلى ذلك الرجل الأمين ، الذي أبت عليه طيبة نفسه إلا أن يترك تقديرها كما أشاء ! »

نظرت إليه « بارتلومي » وعلى شفيتها ابتسامة خفيفة ، ثم قالت له — :

« أيعينى حضرة السيد المحترم بهذا الكلام ؟ أنعم النظر فى جيداً ، فلا شك أنك واهم فى حسابك ، ولعلك قد خلطت بينى وبين زوجك ، فأنى لأذكر أنى رأيتك مرة واحدة قبل الآن !

فكرمليا يا عزيزى فيما تقول . تثبت من رؤيتى جيداً فأنتك — إن فعلت — تحققت أنى لست صاحبك التى تعنيها !
معذرة ياسيدى إذا لم أنعم النظر فىك حين دخولى . فقد كانت النظرة الأولى كافية للتثبت من أنك لست زوجى ! »

حار القاضى المسكين أمام هذا الإنكار الجرىء ، وأطرق اطراقة قصيرة ، ثم عن له أنها لا تتكلم هذا الكلام إلا أنها فى حضرة « باجامين ، القرصان ، اتقاء شره فطلب اليه راجياً أن يسمح له بالبقاء معها فى حجرة خاصة ، لينال من الحرية فى القول قسطاً أوفر .

وما كادا يدخلان الغرفة التالية حتى جلسا ، وبدأ الشيخ الطيب القلب يخاطبه وزوجه ، وعيناه شاخصتان إلى وجهها ، وهى دائمة النظر إلى الأرض — :
« هيه ياملكة قلبى ، يا حبيبتى ، يا زوجى المخلصة ، يا أملى الحلو ، ألا ترالين جاهلة صاحبك « ريشارد » الذى يفديك بنفسه . خبرينى كيف نسينى بهذه السرعة ؟ هل وصل بى تغير الملاح إلى حد أن تجهلينى ؟

تثبتى من رؤيتى مستثبة ، فأنى على ثقة من أنك تعرفينى بأدى نظر .

لم تكذب السيدة تسمع قوله حتى أغرقت فى الضحك ، ولم تدع له فرصة لمواصلة حديثه ، بل قاطعته قائلة — :

« إنك لتكون بالغاً من السذاجة أقصى حدودها إن حسبت أن ذاكرتى قد وصل بها الضعف إلى حد أن أنساك . فلا أعرف من أول وهلة أنك زوجى « ريشاردى كوينتسيكا » . على أنى إذا أغضيت عنك وتجاهلتك فلست حقيقاً أن تشكر منى ذلك ، وأنت الذى تجاهلتنى طوال تلك المدة التى قضيتها معك !

ولو أنك تحبني حقاً — كما تحاول أن تقنعني بذلك — أولو أنك تؤثرني كما تزعم — إذن لعاملتي،
المعاملة الجديرة بزواج يحب زوجه — وهي فتية في ميعة الشباب وضرته، تحب أن
تأل حظها من متاع الحياة ولذاتها .

أفكنت تجهل إذن أن فتاتك في حاجة إلى أمر يمنعها أن تطلبه منك حياتها
الطبيعي المركب في بنات جنسها جميعاً ؟

أنسيت تلك الطريقة المضحكة التي طالما لجأت إليها لتخلص بها دائماً من حاجاتي
التي لم تقضها ؟ فإذا كنت تفضل تعاليم القانون ونصره — على المرأة، فقد كنت
خليقاً أن لا تقدم على الزواج !

ولكن، كيف أقول ؟

إني ما اعتبرتكم قاضياً قط، بل، خالق احتفالات ومواسم وأعياد، فقد ظهرت
لي براعتك وخبرتك الواسعة بأيام الصوم ومواقيت العبادة !

ألا فلتعلم يا سيدي أن دساكرك وعمالك لو ظفروا منك بمقدار ما تجود به على من
أيام الراحة، أو لو أنك هجرت دسكرك كما هجرت حديقتي الصغيرة دون أن تتعهدا
بالزراعة، لما استطعت أن تظفر في نهاية العام بحبة واحدة من القمح !

ولكن الله أكرم من أن يترك أرضي بلا حرث. لهذا شئت إرادته — سبحانه —
أن يتيح لي فرصة الوقوع بين يدي السيد « باجامين » الذي لا يعرف شيئاً مما تعرفه
من الأعياد والمواسم ولا يعنيه من أمرها شيء . أما أنت فقد رأيتك تواظب على
الاحتفاء بها والبطالة لاجلها بحماسة وغيره لم أجدهما في أتقى الاتقياء والزهاد؛ وتأني
إلا أن تتسك فيها مفضلاً حقوقها على حقوق

أما هذا فليس يعرف جمعة ولا سبتاً ولا عشية عيد ولا شيئاً من أصوام الفصول
الأربعة ولا أي عيد من أعيانك التي لا تنتهي، بل هو دائب ليل نهار يحرث أرضي
بلا ملل غير مقصر ولا وان، وقد قضينا في هذه الليلة قسطاً من التمرين المحبوب . إذن
فلا تنقم مني إن تراني راغبة في الإقامة طول حياتي مع هذا العامل المجد ! فإن لي ذوقاً
في الحياة وقد صممت على أن أكون عاملة مجدة مادمت شابة، مرجئة أمر الأعياد

والمواسم الى زمن الشيخوخة ! ألا إن خير ما تفعله الآن هو أن تعود ياسيدى
أدراجك على جناح السرعة !

فلترحل بلا ولاء . ولتصحبك سلامة الله فى عودتك فانك لن تحتاجنى فى الاحتفال
بأعيادك ومواسمك التى تبتهج بها ، كما أتى لن أحتاجك فى أيام العمل التى انعم بها كذلك !

صعقت هذه الصراحة الجريئة قلب « ريشارد » المسكين ، ولقد حدثته
نفسه — مائة مرة أن يقاطع كلامها فمنعه عن ذلك أنه فى منزل أجنبي ، فى منزل قرصان .
فرأى من الحتم عليه أن يعصم بالصبر ، فلما انتهت من خطبتها قال لها بلهجة المحب
العانى — :

« ماذا تقولين يا زوجى المحبوبة . وكيف تحكمين ؟

خبرينى كيف نطق بهذا الكلام الجرى . ؟

هل نسيت شرفك وشرف أسرتك ؟

أنى حدود الامكان أنك تفضلين الاقامة مع هذا الرجل وتكونين له خلية؟
وتعيشين طول عمرك فى أرجاس الخطيئة ، مؤثرة ذلك على أن تعودى إلى « ييز » ،
حيث تعيشين مع زوجك امرأة شريفة ؟

فكرى أنت أن « باجامين » اذا زهد فىك لم يتردد فى طردك عن بيته ، أما أنا
فساظل وقيامك لا أنحول عن حبك ما حييت متى رجعت معى الى « ييز » ،

فاذا حان موته فستظللين ربة البيت وسيدة مز . فيه ! أفيجدر بك أن تنسيك انى

رغبة جامحة ولذة شائنة بجرمة شرفك وزوجك الذى يحبك أشد الحب ؟

كلا يا حبيبة قلبى ، يجب أن تكفى عن ذلك العزم الشائن وأن لا تترددى لحظة واحدة
فى العودة معى ، وأنى لأعذك — بعد أن عرفت رأيك الآن — أن أعمل على اشباع
نهمتك وفق ما تشتهين . سأهجر « تقويمى السنوى » الى الأبد مادام فى حجره مرضاتك
فهل تقبلين ضراعتى اليك ياربى الحسن ، وهل تقلمين عن عزمك وتذهبين مع
زوجك الذى لم ينسك منذ اللحظة التى اختطفوك فيها منه فأصبح نهب الاحزان
والآلام والضجر ! ،

فأجابته الزوج — :

« آلاّن — وبعد فوات الوقت — جئت لتحديثي عن الشرف ، وقد كان على أبوي أن يعنيا بأمره من قبلى . حينما شرعا فى تزويجى منك دون أن يستشيرانى فى ذلك ؟ فاذا كانا لم يعنيا بأمرى حينذاك فلست أعنى بأمرهما الآن !

أما أنت فهدى روعك ولا تشغل بالك بأمرى ولا بأمر أهلى ، على أنى مضطرة الى مصارحتك بالحقيقة كاملة :

اعلم أنى أشعر الآن كأنتى زوج القرصان الشرعية . وقد كنت أشعر وأنا معك فى « بيزا » شعورا صادقا أنى لست لك إلا « خلية » أو أنتى امرأة لم تضعها فى بيتك إلا للزينة ، كنت أشعر أنك تحترقنى وتقعم قلبى بالآلام بلا شفقة باعراضك عنى . أما « باجامين » فهو رجل آخر ، هولى الزوج الحق ، إنه ليضمنى طول الليل بين ذراعيه ضما شديدا ويلاعبنى بألف طريقة ، فاحكم بنفسك أيمكن أن أندم بعد على فراق مثلك . وتقول — : « إنك ستبدل جهدك فى تليته رغباتى ، فما أكثر شوقى الى تعرف ذلك السر الذى اهديت اليه فأصبحت قادرا على الوفاء بهذا الوعد ؟ هل أحالتك المصادفات الخارقة — بعد أن غبت عن عينك — من شيخ فان الى جبار قى :

اذهب لطيتك واعمل بما أقول لك ، ولا تفكر إلا فى الأيام القليلة الباقية لك فى هذا العالم ، حتى يواريك القبر فيريحك من ضعفك واصفرارك وهزالك !

بقى لى أن أقول لك — مطمئنة الى تقرير ما أقول — : إن « باجامين » إذا طردنى فلن يكون بيتك مأوى الذى أتطلع للعودة إليه ، فإن من العبث أن يجدفك الفاحص — بعد أن تعصر — قطرة واحدة من ماء الحياة تجرى فى جسمك كله . كما أثبت لى التجربة التى اتاحت لى فرصة ممارستها شقاوتى وتعسّى ، إذن ، فاطرد من ذهنك كل فكرة من هذا النوع ، وأيقن أنى سأبحث عن ضالتى فى كل مكان إلا مكانك ، على أنى لا أخشى أن ينصرف عنى قلب « باجامين » ، فأنى عارفة بعواطفه وحقيقته شعوره نحوى . وأنى لا كررك القول مرة أخرى أن فراقى قد بت فى أمره ؛ وأنى جديرة أن أعيش هنا . حيث لا نعرف للاعياد والمواسم وأيام الصوم معنى .

فارحل إذن ولا تضع من وقتك أكثر مما أضعت ، وإلا فاني أخرج مستعدياً عليك
القرصان ؛ قائلة له إنك تريد أن تقصرني على الذهاب معك !!!

ولما رأى السيد ريشارد « ما لحقه من إساءة » بارتلومي « أدرك خطأه الذي وقع فيه
إذ تزوج من فتاة صغيرة لا تناسب سنهما مطلقاً مع سنه ، وتفرق بينهما هاوية سجيقة هائلة
تفرج من الحجرة خجلاً مستخزياً ، يفعم اليأس قلبه
ولما شيعه « باجامين » التفت صاحبنا متمماً بكلمات تدل على أنه قد وعى هذا الدرس
القاسي وأدرك شناعة الخطأ الذي وقع فيه .

وهكذا خرج « ريشارد » الطيب القلب ، بعد أن رأى فشل خطته وانهمامه في
التأثير على نفس زوجته ، وكم كان يود أنه لم يضع في هذا البيت قدماً .

قصد إلى « ميز » مسرعاً بلا وناء ، وقلبه مملوء باليأس والحسرة لما منى به من الفشل
في سفرته ، ولم يلبث أن أنهك جسمه الحزن والألم اللذان سببتهما له خيانة زوجته !!!
أما مواطنوه فقد كانوا أبعد الناس عن الرثاء لما أصابه فاتخذوا من السخرية وسيلة
إلى العبث به والضحك عليه ، فكانوا يشيعونه — في حينما ذهب — بقولهم — :

« الغراخيث » « السيد القاضي لا يريد الآن أعياداً »

وقد زادت هذه السخرية آلاماً على آلامه فلم يعيش إلا أياماً قليلة انتهت بموته !

ولم يعلم صاحبنا « باجامين » بموت القاضي ، حتى تزوج من تلك السيدة التي كان
يقدر لها عطفها وإخلاصها ، ولم يغير عقد الزواج الشرعي من طريقة عيشهما شيئاً . فقد
واصل العمل في تعهد الحديقة الصغيرة وحرث أرضها بكل ما أوتيا من قوة ، وظلا
عائشين معاً طول عمرهما ، لا يعرفان شيئاً من أيام الصيام والأعياد ولياليها !!!

تمت

أبو شادي شاعرا

-١-

قبل اليوم وقفنا من أبي شادي موقفا تاريخيا موضوعيا حين عرضنا لديوانه المشهور « الشفق الباكي »، وأحين عرض هو لاذاعة هذا الديوان ونشره في الجمهور، واطننا استطعنا هناك أن نظهر الجمهور على شيء من العوامل التي لا بست حياته وطبعت شعره طابعه الخاص سواء في الموضوعات أو الأساليب أو النزعة التجديدية القوية... ولكن يظهر أن تلك الوقفة لم تقنعني كما لم تقنع كثيرا من قرائه المعجبين به والذين يحبون استظهار الفكر الرئيسية التي تسيطر على نفس هذا الشاعر وتسود شعره... فكان لابد من الامام به المامة—وان تكن عجلي—فلقد يكون فيها بيان موقفه في هذه النهضة الحديثة. نهضة الأدب العربي عامة والشعر خاصة، ولا أتنبأ بنتيجة هذا البحث وما قد يكون فيه من الخير أو الشر للشاعر أو الشعر نفسه، فتلك مسألة لأحب التفرد بالحكم فيها وبحسبي أن أحاول شرح ما أراه، والناس أحرار فيما يرون ماداموا معتمدين على دراسات وبراهين.

مسألتان أحب أن أقدم بهما هذا البحث أما أحدهما فميزة الشعر من ناحيته الفنية وأما الثانية فعلاقة الشعر بعصره وبروح هذا العصر من حيث الثقافة والنزعة العالمية حقا إن النظرية الانجليزية هي أن الأدب نقد الحياة ومعرفة الإنسان نفسه وما حوله، وسواء أكانت هذه النظرية من مستحدثات هذا العصر أم هي بعينها نظرية القدماء من فلاسفة اليونان الذين يقولون « اعرف نفسك قبل كل شيء ».. فانها من غير شك تفيدنا في هاتين المسألتين، إذ يقولون أيضا إن مهمة الشاعر—مثلا—ليست فقط فهم المعاني والاحاطة بموضوع مسألته وفقهاها، وإنما المهمة العظمى هي السبيل التي يتخذها لإدراك رسالته، ومعنى هذا—بالتعبير الاصطلاحي—أن مهمة الشاعر هي في فهمه وما يسدله على الحقائق والموضوعات من دقة التصور وحسن الخيال والتصرف في الحقائق بما يجعلها سائغة جميلة تمتاز في الشعر عنها في النثر. وهنا نقول لا بأس على الشعر أن يكون مستقر الحقائق مهما تكن، ولكن من الناحية الفنية فقط، حتى يكسبها الشعر جمالا

يزيل جفاءها ويتحلى براهينها ومنطقها الرسمي لتسود حلوة حارة صادقة. وهنا تسقط أول شبهة لأولئك الذين يعيبون على أبي شادى تناوله المسائل العلمية حين يشعر متأثراً بنفسه أو بدراسات بعض الأدباء الغربيين، ولو أن أبا شادى كان عالماً فقط ينظم لنا المسائل العلمية الخالصة لكننا أسبق الناس إلى الثورة في وجهه ورفض شعره، أما وهو يشعر في ضوء العلم ويتخذ من ثقافته العلمية مصفاة للشعر من السخافات وملهمة لكثير من التصورات والفكر فليس في ذلك من عار ولا عاب... ولست أغلو، بل أقول أن علم أبي شادى قد يطنى على عاطفته. وقد يكون ذلك لسرعة اتجاهاً ولأننا نحن متأثرون بزعات شعرية خاصة تجعل مثل هذا الشعر في بعض الأحيان غريباً عنا أو سابقاً لأوانه، وسأعرض لذلك مرة ثانية في هذا المقال

وأنت بعد هذا تستطيع أن تجد في شعر أبي شادى وغيره صوراً شتى لقيمة هذا هذا الفن الشعرى في تحميل الحقائق والتأثير في النفوس واجتذابها مصداقاً لـ «أنا تول» فرانس الذى يرى أن الفنون تسر، وعليها أن تجذبنا إليها بما فيها من سحر البلاغة وقوة الأداء — خبرنى ما الذى راعك في قول ابن الجهم لما صلب :

إن يبتذل فالبدن لا يزرى به أن كان ليلة تممة مبدولاً

مأغابه أن يز عنه ثوبه فالسيف أهول ما يرى مصقولاً

هل تجد في هذا الشعر إذا صفته أكثر من محاولته رد الشبهة في عريه وابتذاله بأسلوب لو قسناه بمقياس الحقيقة الخالصة لسقط وكان صفراً، فأين حاله من السيف المنصلت بل من البدن المكتمل؟ .. ولكن انظر كيف حاول الرجل اقتناع عواطفنا — وأخشى أن أقول وفكرنا — بأن ما حدث له إنما هو أمر عادى بل جميل مقبول ينال البدن فيكون جليلاً والسيف فيكون مهيباً مخوفاً

واقصد ذكرت لك هذا المثل لتعرف قيمة الفن في الأداء ومقدار صلته بالحقائق العلمية وغيرها، ولو كان الديوان أسمى الآن لأظهرتك على شيء كثير منه

وهناك مسألة أخرى تتصل بالنقطة الفنية اتصالاً وثيقاً به أسلوب هذا الشاعر، أما أنا فكما ذكرت ذلك — في غير هذا الموضع — أرى أن الدكتور أبا شادى قادر على

الجزالة وقوة الأسلوب، وشعره شاهد بذلك، ولكنه يحاول أن يكون مصرياً ويتعصب للبهاء زهير ويرى في أسلوبه اللغة المصرية المناسبة غير مبال رأى المفتونين بالموسيقى اللفظية الرنانة المقلدة، ويعنى جل العناية بالثقافة الموضوعية والمعنوية — والحق — سواء أَرْضَى أم غَضِبَ — أن في أسلوب الشاعر تفاوتاً واضحاً، فينا تراه جزلاً — في سلاسة — إذ تراه سهلاً مهلهلاً. وأنت واجد مثل الحال الأولى في مثل رثاء صروف و ثروت والبيئة . والحالة الأخيرة أمثلة في ديوانه . ولا شك أن التأثيرين بالشعر القديم لا يرضون إلا بالشعر فخماً رناناً غير معنيين بروح العصر وما استلزم من استحالة لفظية أذكر ذلك لأننى رأيت جماعة من المتأدبين يذهبون في هذا الشاعر مذهبين متناقضين، فنسكرك عليه، متطرف ومتعصب له غالى، ونرجو ألا نكون من أحد الطرفين. ولا أذكر مذاهب اللفظية في الشعر من حيث الوزن فذلك قد وفيت في غير هذا المكان.

— ٢ —

المسألة الثانية وهى هامة قديمة . صلة الشاعر ونوع رسالته ومقدار الصلة بينه وبين ما تتطلب الحياة من جهد شعري .. فالإنسانية وخيرها . والتعاون العالمى، والتفاؤل التام، أظنها تلخص رسالة أبى شادى تلخيصاً مقبولاً .. ولكن أين تلك من مهمة الشاعر . وهل من وظيفة الشاعر أن يكون رجل إصلاح وداعية خير مع أنه رجل فن يبعث في النفوس إعجاباً بأدائه مهما يكن لونه ؟

وهذه المسألة تنحوجنا الى استعراض التاريخ لفكرة الشاعرية فقد كان الشعر قديماً مظهر الفردية يظنه صاحبه — والناس معه — نوعاً من الفكاهة والتندر لا يبتغون من الشاعر زعامة أو نبوة وإصلاحاً، فعاش الشعر بسيطاً سقيماً يعبر عن عاطفة صاحبه فقط وهذا ما يميل إليه بعض المتأدبين اليوم الذين ينكرون تايئنا صلة الشعر بعصره . الاجتماعى والسياسى والعقلى . . . ولكن الشعر نفسه أخذ بتوالى الزمن وتنبه الشعراء يسيطر على الناحية المعنوية للحياة الدنيا كما تسيطر الكبرياء مثلاً على مادتها، وصار بعد حين صورة للأهم والشعوب في فترات تاريخية تطول وتقصّر مع جهد الشاعر وإحاطته، وآخر الأمر كان الشعر في الدنيا روحاً حين كان العلم مادتها وجسمها . فانظر إذن قيمة الشعر والأدب وتعاونهما — مع العلم والمال — في بناء الحياة وتقويمها ؟ وكان عهد

الناس بالشاعر مادحا فاذا به اليوم ممدودح لانه ملك وزعيم، ولانه صاحب دعوة ورسالة، ولانه مرب ومهذب وعليه قسط كبير في تكوين العقل البشرى وتوجيهه الى صلاحه .. فهل بعد هذا تنكر على أبى شادى أن يكون صاحب فكرة الخير والتفاؤل والتعاون العالمى والميل الى سيادة الانسانية؟! نعم ان الشاعر كالفنان له أن يعرض لمظاهر الشر أو الرذيلة ولكن كيف ذلك؟ أيعزى بها الناس ويحملها بفنه ليرتدى فى حمايتها الاغرار أو الشبان فتكون العاقبة وخيمة خاسرة؟ أم يحللها ويبين عواقبها وما ينبت فيها من شرور وضلال فيكون ذلك على الأقل انصافا للحق بله تبصير الناس وصرفهم الى الطهر والكمال .. لتكن الغاية العالمية للسكون بمجولة أو معروفة ولتكن الطبيعة صريحة أو مغرية تسوقنا لخدمة غايتها وتخلق الوسائل لحل الناس على التثبث بمبادئها والنزول على ارادتها المعتدلة .. أليس الأجدر بالناهين كما يرى رينان أن يساعدوا الطبيعة فى مهمتها الخيرة وان يعرضوا على الناس صورا وضاءة للحياة مادام التشاؤم لا يجدى غير البؤس والتبرم وسوء المصير؟!

أما أنا فلن أقنع من الشاعر أن يقف عند حد التعبير دون أن يوحى الينا برسالة تؤثر فى الحياة الدنيا والا كان الشعر والأدب مهزلة تضحك العلماء، ولا أبغى من الشاعر أن يعرض للحكم والخطابة والوعظ وإنما أرجو منه أن يبعث بروحه ومبدئه فى ثنابا قوله ممثلا وواصفا وقاصا وموريا .. ومثله مثل المصور الماهر أو الرسام لا تعنيه الألوان والاضواء إلا بمقدار ما يبنى من شرح عاطفة أو تمثيل مشهد أو تحليل نفسيات، ولا أدري إذا كنت هنا أشير لشعره التصويرى وكيف فتح بابه ووفق فيه؟

— ٣ —

لفكرة الانسانية والتعاون العالمى والتفاؤل مظاهر شتى فى خلق هذا الشاعر وفى شعره . وفى موقفه من سائر الشعراء . بل وفى ناحية أخرى لا أخجل من ذكرها هى ناحيته الغرامية وليس سرا ذكر ذلك فان المنة رخين كثيرا ما يتلفون لاستكناه مثل هذه النواحي يستعينون بها على تفسير كثير من الآثار الفنية والأدبية لرجال الفنون والاداب

اذكر أن أبا شادى كتب كثيراً من المقالات والقصائد حول التعاون الأدبى العالمى

في مناسبات شتى، وأوقن أن روح شعره تنطق في صراحة قوية — بهذه الفكرة وكثيرا ما تمنى تكوين جماعات أدبية من الشعراء والكتاب والمتأديين لهم ناد أو أدبية خاصة فيها يتعارفون تعارفا عقليا ويتعاونون على نهضة أدبية شعرية يقومون بها روح هذه اللغة ويصلونها باللغات الحية ويسيطرون بهذا الأدب العربي على الحياة المعنوية بل والمادية أيضاً . . أذكر ذلك والعهد قريب برابطة الأدب الجدد التي بدأها في الاسكندرية ويحييها في القاهرة وينفق من الجهد والمال كثيراً ليعث فيها حياة وقوة

يحب أبو شادى الحياة، ويحبها بسامة، بل لا يود أن يفهمها الاضاحكة. هازنا في سبيل ذلك بعقبات مالية وأزمات مصلحية، ويمتلك أولئك الذين يصرفون أنفسهم إلى الناحية السوداء وينالون السكون بالنقمة والسخط على ما فيه مما لا يوافق أمرتهم . . حقا إن الدنيا لا تخلو من شر، بل ربما كان الشر ضروريا لصلاحتها وحركتها: وإذا كانت غاية الشر إنما هي صلاح الحياة فلم لا يكون وسيلة لازمة غايتها ذلك المثل الأعلى الذى تسير الدنيا الى تحقيقه؟ والنهاية هي الخير على كل حال، وهب الشر أصيلا أو غاية. وهب تلك الغاية لا بد لها من دعاة . فهل من الحتم أن يكون شاعرنا داعية سخط لا تنفع عينه إلا على مصارع الفضيلة وظلام الكون؟

وهل من الحق أن ندعى على أبي شادى التقليد في ذلك وما رأينا شاعرا عنه مرة؟ وهل تشك في هذه الرسالة ونحن نراه في شعره وحديثه أيضا يعرف لكل شاعر ميزته وجماله في حين التنافر والتباغض مستحكم الحلقات بين جماعة الشعراء . نراه كالنحلة تنتفع بكل لذية من كل زهرة وترى الكمال مودعا في جهات الكون وفي عقول الناس، واذن فخير للفرد أن يكون عادلا معتدلا يتلقى الخير والجمال ألى عشر به، لا بعميه الوهم عن الحق، ولا يفتته الشغف فيتعلم عن الهنات : . وأحسبك ترى في شعره هذه الصفة واضحة جليلة في غير قصيدة .

والناحية الغرامية؟ هذه موضع العجب. وربما كانت موضع الخلاف بيننا أيضا، ولا أقول هنا الآن الدكتور يري في المرأة ملهمة للشعر ومثالا لناحية فنية يتخذها نموذجه (Model) ويستوحىها أروع الخيال وأسمى التصور . . وينفر كثيرا من الناحية الغريزية

أو الحيوانية فيذهب إلى أنها متلفة لحرارة الشعر مذهباً لروعة الفن متدلية به إلى أخط الدرجات .. لا بأس في ذلك بل ربما كان هذا هو الحق .

وغرام شاعرنا حتى لاصناعة فيه يقوم على حرقه ألت به منذ الصبا وكان لها في حياته آثار سيئة — أوحسنة كما تشاء — ولكن نتائجها للشعر كانت حسنة من غير شك . أترك تفصيل ذلك لغير هذه الفرصة ، وإنما أقرر هنا أن أبا شادى في هذه اللحظة الزمانية يشرف على (مثاله) أو يشرف عليه مثاله .. ولا يزال مع هذا يقول الغزل الصادق . فكيف هذا ؟ ولأوضح ذلك — أرى أن الغزل الحار يكون مع الحرمان فينتج الشكوى الصادقة وحرقه الجوى التي تكاد تأكل الألفاظ أظلاماً . فإذا كان لقاء ووصل فليس بعده هذا إلا الشعر القصصى الذى ينم عن اضطئان وسرور ووصف اللقاء واللمو .. ويدعى أبو شادى أنه في هذه اللحظة يقول غزلاً حاراً — وهو محق في ذلك — مع أنه على كسب من (فينوسه) . وهنا نفرق فأزعم أنا أنه في هذا الاقتراب أبعد ما يكون بل أشد حرماناً واحترافاً لأنه متأثر كما قلت لك بالوقوف عند درجة الفن لحسب لا يجب أن يتجاوز ذلك إلى ما وراءه بما يمقتة ، ولأن غرامه مشوب بمصارع ومأسيات سيكشف عنها التاريخ في الوقت المناسب . فلتترك صاحبنا هذا يحترق ما يشاء ويشدو ما أراد ولننظر في غير ذلك .



أين أبو شادى من هذا العصر ؟ الحكم في ذلك يتطلب منا تفهم العصر نفسه وما قد يمتاز به أدبه وشعره ! فلقد بدأت الحياة الأدبية الحديثة في هذه البلاد بأحياء القديم وكان البارودى مثال هذه الخطوة الأولى في الشعر . فشعره صورة من الأقدمين المعروفين . وهذه الخطوة لازمة إذ لا يمكن بناء الجديد على غير هذا الأساس ، ولقد حاول الشعر الاتصال بالحياة الحديثة في الشرق ، بل والتأثر بالغرب . فتيسر لاسماعيل صبرى مع مدرسته أن يفيض على آثاره روحاً رفيقة فرسية فيها خيال خصب جميل رائع ولكن الأدب عامة قد أتبعه بعد الحرب العالمية الأخيرة إلى ناحية فلسفية علمية ولم يعد الناس يقنعون من الأدب بالأفانيه يتدبرها دون فقهها أو تحليلها . كذلك ألحوا على المنشئين أن يكونوا صورة صادقة لمصورهم فنشأت بذلك طبقة في مصر مالت بالشعر إلى تلك الناحية العلمية

الفلسفة ونفرت كثيرا من أنواع المديح واللائطراء التي بليت بانتقضاء أيامها، فهل يجوز أن يكون الشعر علما وفلسفة؟

أما إن الشعر يصبح منظومات علمية أو فلسفية تعرض لتقدير الحقائق الخالصة والنظريات المجردة فشرع انتهى الناس من انكاره وقصروه على نظم المتون التي تسهل على الطلاب حفظ المسائل واستظهارها، على أن تحصيل العلوم بهذا الأسلوب صار ثقلا عمقونا.

ولكن الشعر الذي يعيش في ضوء العلم والفلسفة هو الشعر القويم البريء من الخسف فترى الفن الشعري إذا مسته الفلسفة بروحها يزداد روحا، وقد ذكر الناس لذلك قصيدة المعري المشهورة في الزنا . . . وشاعرنا هذا له في ذلك مواقف معروفة.

فأبو شاذى مثقف ثقافة علمية فلسفية لا أظن أنها توافرت لكثير غيره ولا سيما من الشعراء، وثقافته هذه تظهر في أثره إلى درجة قرائنة معجزة، وتمس شعره مساخنة أحيانا وتوبا في بعض القصائد حتى لتكاد تشعر أن صاحبنا عالم يملئ على الناس (المراسيم) التي لا مرد لها . . . على حد تعبير صديقنا الأديب العبقري الأستاذ كامل كيلانى . . . وهذا يتعثر بعض القراء فيرون في ذلك مبالغة في تحميل الشعر ما لا يطيق، أو في سبق الزمن . . . وأبو شاذى يريد أن يجعل للشعر سلطانا على مظاهر الحياة فيستوعبها سواء أكانت علما أم فأنما أدبا . . . لا يحجم عن ذلك بل قد يغلو، ولا شك أن المنصفين وواقفونه إلى درجة تأثر الشعر بالرسمية العلمية التي تشمل فيما انتهى إليه الزمن من التقدم العلمى أو الفنى أو الفلسفى، فتكون تلك عصابات تنتهى إلى روح الشاعرة فيبرزها لتجسدها فثنا جيلا خالصا يغذى حاج النفوس ويقرأ فيه الناس أرواحهم وما يشعرون .

نتيجة ذلك كله أن أباشاذى الآن يقف عند نهاية الطريق التي يحاول الشعر أن يصل إلى غايتها في هذا العصر . . . ولكن موقفه ليس المثل الأعلى — كما يصفه أنصاره المخلصون، كما أنه ليس مقصرا — كما قد يلاحظ ذلك بعض ناقديه، وإنما موقفه موقف الشاعر العصرى القاتع الذى يبدأ الجهد ويغنى الكمال !

غوتفريد ويلهلم ليبنتز

ولد هذا الفيلسوف في أول يوليو سنة ١٦٤٦ في «لينبرغ» أي قبل موت الفيلسوف «ديكارت» بأربع سنوات، ومات أبوه لما كان له من العمر ست سنوات، وكان أستاذ الفلسفة الادبية في جامعة تلك المدينة وكانها، قال عنه «فونتائل» — إنه لم يظهر في حياته ميلا للعلوم والدرس ولما كان أبوه قد ترك له مكتبة محتوية على القليل من الكتب فإنه ابتداءً — بعد أن درس اللاتينية واليونانية — يحفظ الشعر ويطلع خطب الخطباء مع درسه التاريخ والفقه والفلسفة والرياضيات واللاهوت. إلا أنه كان يشعر بحاجة للمعاونة من الغير، فذهب يفتش على الحكمة في بلدته كيما يساعده على تفهم العلوم وقد اضطر إلى ترك «لينبرغ» لهذا السبب — وفي سنة ١٦٦١ تابع درس مناهج تعليم الجامعة ودرس الفلسفة القديمة على الاستاذ «جاكوب توماسيوس» واطلع على فلسفة أرسطوطاليس وقال عن نفسه — فيما بعد — اني عندما كنت ادرس المبادئ والاولية في العلوم كنت أساءل: مم تتركب هذه العلوم وكيف تتحكم في العقل والفكر، وكنت لاحظ أنها على شيء من الاهمية، قد قرأت فلسفة القرون الوسطى بتمعن حسبما أمرني معلمي، وحفظت ما تركز عليه من الآراء الغريبة التي تظهر عويصة في مبادئ الذاتية من جهة تركيب المعلولات أم من جهة الله. ولكن كنت اشك فيما لقن ولا اقبل من الآراء إلا ما يطمئن اليه فكري ويزيد على هذا بقوله إنه بعد تركه المدرسة الابتدائية اطلع على آراء الفلاسفة الذين عاصروه، ويذكر أنه عندما كان في الخامسة عشر من عمره كان يتنزه وحده بالقرب من «لينبرغ» في غابة صغيرة تدعى «روزنتال»، وكان يقضى الوقت الطويل في تأمل عميق لادراك العلة الاولى الجوهرية. وكانت الميكانيكيات أول ما استرعى انتباهه. ولهذا ابتداءً بدرس الرياضيات العالية وتفهم أسرارها — وقوله هذا يطابق ما ذهب اليه الفيلسوف الفرنسي «أوغست كونت»، في الفلسفة اليقينية من حيث أن المرء ينتبه أولاً إلى الطبيعة من ناحية رياضية صرفة. فظهر السرعة وناموس الأثقال والابعاد وماشا كلها تسترعى الاهتمام بدايةً ومنها يتدرج الانسان الى تفهم بقية العلوم، وفي «ميناء» تابع درس مناهج الرياضى «ارهارد فايجل» ولكنه

لم يتعمق فيه بل اكتفى بالتحليل الابتدائي وعندما كبر قال عن نفسه: «لو أني كنت «كباسكال» صرّفت أيام شبابي في «باريس» فلم بما كنت وجدت سهولة أكثر في حفظ العلوم - .

في سنة ١٦٧٤ كتب أن «باكون» و«غاسندي» أول من أثرا فيه، فأسلوبهما الاعتيادي الشائع كان يطابق نزعه تمام المطابقة. وقال - مع إنني كنت قد اطلعت على آراء «غاليلي» و«ديكارط»، إلا أني لم أكن يومذاك مهتداً فلم أهتم بما ذهبوا إليه - وكان ثبت وجود الفراغ والجواهر الفردة التي نعرفها بداهة اليوم، ولكنها كانت في عصره من أصعب المسائل، وفي سنة ١٦٦٦ أي عندما كان دون العشرين من عمره ألف كتاباً قيماً في الفنون، ورفض أن يكون واعظاً جافاً متابعاً درسه العميق مفضلاً الابتعاد عن رجال السياسة والعلم، قال «فونتائل» - عندما أحرز «ليبنز» شهادة الدكتوراه في الحقوق وذهب إلى «نيرمبورج» ليوأجله العلماء علم أن في تلك المدينة جمجمة قديمة من الشبان يشتغلون في الكيمياء يفتشون على حجر الفلاسفة وتدعى بالصليب الوردى نسبة لاسم مؤسسها «Rosenkrantz» سنة ١٦٧٨ فأحب أن يغنم الفرصة ويصير كيميائياً باكتشافه شيئاً من عالم الغيب، فاشترى كتباً في الكيمياء وبعد تعب شديد كتب تقريراً منهما إلى الرئيس تلك الجمعية يطلب منه أن ينتبه جيداً إلى البراهين التي يقدمها والتي تدل على سعة معارفه، إلا أن هذا عندما تسلم التقرير أرسل في طلبه، ولما حضر ذهب معه إلى مقابلة وكيل منتخب مقاطعة «منزه» وهذا طلب منه أن يذهب إلى «فرنكفورت» فذهب وهناك تعرف إلى العلماء والأدباء ومن جمعتهم القس «سبتر» الذي كان قد أسس الفرقة المعروفة بالصلاح الكهنوتي «Piétisme» وجذب تعاليها فيها بعد الفيلسوف «كانت» ونشر فيها كتاباً في الحقوق أهداه إلى المنتخب، ويبحث فيه فلسفة الحقوق وقواعد الحقوق والمراسلات الحقوقية، فلما أطلع المنتخب على هذا الكتاب دعاه إلى مجلسه وكفّه أن يعاون الاستاذ «الاسر» في بحثه التشريعي، وفي سنة ١٦٧٠ عينه وكيلاً في المجلس الأعلى في دائرته

وقد نشر في تلك السنة كتاباً قيماً للمصلح الايطالي «ماريوس نيزوليوس» الذي عاش في القرن السادس عشر عنوانه - ضد البرابرة - بحث فيه عادات البرابرة وافتهم، وفي سنة ١٦٧١ ألف كتاباً سياسياً بحث فيه مسألة اتفاقية السلام العام بين الدول على هذه الشروط:

- ١ — الوحدة الجرمانية
- ٢ — اسوج و بولونيا عند همالا لستجار
- ٣ — انكثرا والنامارك عندها للاستجار
- ٤ — اسبانيا عند همالا لستجار
- ٥ — هولندا
- ٦ — فرنسا
- الهند الشرقية
- افريقيا التي تقابل مصر

الا انه قد عدل هذه الشروط — بعد أن دخل لويس الرابع عشر اللورين فقال :
 اذا كان ملك فرنسا يحتل الاسنانة ومصر وكل أجزاء السلطنة العثمانية فيكون
 قد قضى بأمر الله — على الاباحية المنتشرة فيها — ولما جاء الى « باريس » عام ١٦٧٢
 قابل لويس الرابع عشر وبين له عظم الفوائد من احتلاله مصر وقدم له كتاباً كان
 قد ألّفه بهذا الخصوص ظهر فيه أنه كان مطلعاً تمام الاطلاع على مجرى الاحوال في
 مصر، يعرف قوى الجيش فيها وماليتها وطرقها الداخلية ومواقع حصونها وعناصر
 أهلها بالنسبة الى المنصر التركي، ومن جملة آرائه أن هولندا يهيمها — في الدرجة الاولى —
 أن تكون مواصلاتها مع الهند عن طريق مصر، إلا أن كتابه لم يؤثر التأثير المطلوب،
 لأن الحرب كانت قد أعلنت بين فرنسا وهولندا

وقد عرف في « باريس » « أرولد » أحد اتباع « ديكارت » و « هويجنس »
 الرياضى الهولندي المذاهب الصيت و « تشيرنهوس » الرياضى الالماني وصديق « سينوزا »
 وفي ذهابه الى « لوندن » تعرف الى « الانجيز » الذين عاصروه

عندما أتى الى « باريس » لم يكن بارعاً في الهندسة، ولكن احتكاكه بعلمائها جعله
 يكتشف بعد أربع سنوات أسلوب الحساب الذي اكتشفه بذات الوقت
 العلامة « نيوتن »، ففي سنة ١٦٨٤ نشر كتاباً تحت عنوان — القواعد الجديدة في
 الاكثربة والاقليّة — بين فيه طريقة الحساب الذي اكتشفه، وفي سنة ١٦٨٧ نشر
 « نيوتن » كتاباً عنوانه — مبادئ الرياضيات للفلسفة العمومية — أوضح فيه نفس
 ما أوضحه « لينز »، قال « فونتال »، إن قوة الفكر المتعادلة هي التي دعت الواحد أن يكتشف
 ما اكتشفه الآخريدون أن يكونا على اتفاق في البحث، إذ أن ما أسماه « نيوتن » « Fluxion » دعاه

« لينز » ، Difference ، ، وكانت القاعدة التي قال عنها لينز انها صغيرة لانهاية مطابقة إلى مذهب اليه « نيوتن » ، لهذا مذهب « لينز » العالم عدا انكثرا لانها كانت قد اكتفت برجلها الفذ وعالمها الاوحد

ان مسألة ذاتية الشيء لم تكن ذات أهمية إلا سنة ١٦٩٩ حيث بحثها « فوثير » تلميذ « نيوتن » وفي سنة ١٧١١ أثبتها « كاييل » تحت اسم آخر وبشكل جديد ، فحساب التفاضل الذي قال به « نيوتن » والذي يعد كاساس لهذه المسألة كان قد عرضه « لينز » في الجمعية الملوكية في لندن ، حيث كانت هذه الجمعية حكما لفحص تعاليم الرياضيين القدماء ، وعما إذا كانت تطابق الحساب الجديد ، وقد تبين لها أن « لينز » لم يكن مطالعا على ماذهب اليه « نيوتن » كما يتضح من مراجعة ملف الأوراق المحفوظ فيها منذ سنة ١٧١٢ ، وليس هذا فقط بل أن أسبقية « لينز » في اعلان قاعدة الحساب المختلف لم يشكها أحد من أعظم الرياضيين مثل « أولر » و « لاجرانج » و « لابلاس » و « بواسون » و « بيو » وغيرهم ، وقد كتب في سنة ١٧١٦ أي قبيل وفاته كتاباً تحت عنوان — تاريخ وأصل الحساب المختلف — قال فيه : ان هذه القاعدة لم تعرف في العالم إلا عند ماخطها بيده على أوراقه الخاصة

والذي يطلع على هذه القاعدة يعرف أن عليها تأسست الاعمال الرياضية العالية التي تظهر متعادلة باستخدام الحروف الهجائية كواسطة وهمية. وقد اكتشف عدا هذه القاعدة قاعدة حساب الجسم المحدود بشكل أفقي وتظهر هكذا :

١	١	١	١	١	١
٦	٥	٤	٣	٢	١
٢١	١٥	١٠	٦	٣	١
٥٦	٣٥	٢٠	١٠	٤	١
١٢٦	٧٠	٣٥	١٥	٥	١

أي أن كل عدد في الخط يجمع مع ما يقابل الذي بعده في الخط الاسبق ، وعندما ذهب الى انجلترا سنة ١٦٧٣ وشاهد الرياضي « بل » ، وحده عن رأيه في اختلاف الاعداد ، عرف منه أن هذا الرأي ليس جديداً لأن « مراكثور » كان قد أعلنه منذ مدة

سبقت ذلك التاريخ. فابتدأ بدرس «مركاثور» ولم يكن قد تعرف بعد الى «كولن» و أولند، بورج الذى كان يرأسه مع «نيوتن» من حين لآخر ورجع من انكاثرا إلى فرنسا وحضر مجلس العلامة «هويجنس» ومن ذلك الحين ابتدأ بدرس «ديكارت» وبقية العلماء الذين مزجوا العلوم بالفلسفة وخرجوا على يثهم «تقاليدها» ولهذا كتب فيما بعد: «انى احترم» ديكارت «كل الاحترام لان فلسفته تؤثر فى الفكر تأثيرا عميقا لا يمحي مدى العمر» — وفى ذلك الحين بلغه موت منتخب «منز» ووكيله، فقطعت علاقته بمجلس ادارة المنتخب إلا أن الدوق «جان فريدريك» عينه وكيلا للكتبة العمومية فى «هانوفر» فقبل، وقبل أن يذهب الى محل وظيفته، رجع إلى انجلترا ومكث فيها أسبوعا شاهدا فى اثنائه «كونى» صديق «نيوتن» وذهب من هناك الى هولندا حيث زار «سينوزا» الفيلسوف الكبير وقال عنه — قد حادثته مرارا عديدة فوجدت فيه شخصية خارقة للعادة، أما من جهة المبادئ التى يدين بها أو من جهة العلوم التى يحيط بها فهو فى أكثر آرائه متفق مئى — وقد مات «سينوزا» بعد زيارته له ببضعة أشهر، أى فى ٢١ فبراير سنة ١٦٧٧ وله من العمر ٤٤ عاما.

وبعد أن وصل إلى «هانوفر» كتب عدة كتب فى العلوم والتاريخ، منها ما يختص بأصل سلاله أمراء «برنسويك» الذين عطفوا عليه كل العطف وأكرموا مشواه، وفى سنة ١٦٨٦ نشر كتابه الكبير — قواعد اللاهوت — الذى رمي فيه إلى اتحاد الكاثوليك والبروتستانت، وقد أظهر فيه براعة تستحق الاعجاب إذ أنه تكلم عن كل الفرق والاديان وبين ما يجب على المرء أن يعمل تجاه هذه كلها فرتب صلاة خصوصية نشرها وهذه ترجمتها:

أيها الآله الأحد الكائن فى كل مكان والذى لا يشارك فى ملكه، أنا مخلوقك البائس النجى. اليك وأومن بك، أحبك أكثر من الكل وأرجو مساعدتي، أشكرك على عطايك وأهبك نفسى؛ ساحنى على خطاياى وأعطينى كما تعطى الآخرين ما تسمح به ارادتك وكما استحق من التجارب: آمين.

فلما اطلع «ارنولد» عليها كتب اليه قائلا — ان هذه الصلاة

لا تفيد شيئاً لأنه لا يوجد فيها إسم المسيح ، فأجابه — : ان الصلاة المذكورة في العهد القديم وفي أخبار الرسل وبقية أجزاء الكتاب المقدس — فلم يقتنع « أرنولد » بهذا الجواب ، بل أشاع أن « لينز » ، أراد بها تشويش الأفكار لا غير ، وفي هذه الاثناء حدث أن الدوق « جان فريديريك » اعتنق المذهب الكاثوليكي فأثار باعتناقه هذا المذهب جدالاً قوياً بين البروتستانت والكاثوليك فما كان من « لينز » إلا أن انزوى في مكتبته وأخذ يطالع المجادلات الدينية التي ثارت بين « لوثر » و « ايراسيموس » وغيرهما ، وبعد أن عرف أخطاء الجميع كتب كتاباً في اللاهوت كانت فاضحة لسخافات الجهتين فإدت نيران الجدال اضطرماً حتى أعلن أن غيبياته ليست سوى رياضيات لا تركز إلا على المغتولات ، وأن الرياضى أسهل عليه كثيراً أن يصير فيلسوفاً من أن يصبح فيلسوفاً رياضياً ، وأن الفلسفة واللاهوت من أصل واحد وقد يتفقان في القصد اذا بحثا بحثاً مدققاً وما ظهر التعاليم السكولاستيكية — القديمة — سوى مظهر ممسوخ من الفلسفة واللاهوت ، فأنه والنفس موجودان ولكن عقول الناس قاصرة عن ادراكهما ادراكاً تاماً ، فالديانة يجب أن تركز على العقل وإلا كانت فاسدة ، وذهب في هذا البحث مذهباً طبع بطابعه فلم يرض الكاثوليك ولا البروتستانت ، وإنما أراضى نزعته وعبر عن آرائه بصراحة تامة وقال : ان البروتستانت ينظرون إلى أخطاء الكاثوليك وحدها والكاثوليك إلى أخطاء البروتستانت كذلك ، وأنا أنظر إلى أخطاء الاثنين وصوابهما وأستنتج منها حقيقة لا تقبل الشك وهي — عند ما يصير البروتستانت كالكاثوليك يصبح الكاثوليك بروتستانت ، لأن التحوير لا بد من أن يلحق أحدهما ، وهذا يسكن النزاع — وقد راسل بهذا الخصوص « بوسيه » في سنة ١٦٨٧ إنالم يتفق وإياه على رأى من الآراء وبعد موت الدوق « جان فريديريك » جرب اليسوعيون أن يستميلو إلى مذهبهم متخبة « براندبورج » وكانوا يأملون أن « لينز » يعضدهم في تشتيت البروتستانت من ألمانيا الشمالية ، فلم ينجحوا لأنه لم يكن من رأيهم .

وفي السنين الأخيرة التي أمضاها في « هانوفر » — وتبلغ الأربعين — تتبع مجرى الأحوال السياسية في أوروبا ونشر في سنة ١٦٨٤ كتاباً سياسياً قيماً طمأن فيه في لويس الرابع عشر ، وفي سنة ١٧٠١ أعلن برلمان انكلترا أنه بعد موت الملكة

حنة - وكانت أرملة - يصبح التاج البريطاني من حقوق منتخبة «هانوفر» «صوفي» أصغر بنات جاك الأول، وفي حين مخالفتها بعض الشرائع الانكليزية يسقط حقها منه ويصير محصوراً في أولادها وكانت منتخبة «هانوفر» أخت «اليزابت» أميرة بوهيميا المشهورة بتلذذتها على «ديكارت» وصديقة «لينز» ولما كانت ترغب أن يكون أخوها جاك الكاثوليكي ملكاً على الإنكليز أرسلت إلى أختها ترحوها أن يكون «لينز» صديقها الواسطة بينها وبين سياسي إنكليزي. فاهتم «لينز» بالأمير ورأسل رجال السياسة من الإنكليز غير أنه لم يفلح فيما ذهب إليه، وكانت ابنة منتخبة «هانوفر» واسمها «صوفي شارلوت» قد تزوجت في سنة ١٦٨٩ منتخبة بواند بورج «فريدريك الثالث» الذي صار فيما بعد ملكاً على البروسيين ولقب «فريدريك الأول» تعطف كل العطف عليه، لأنها تربت على يده ومالت إلى المبادئ التي يعتقدها، ولما أعلن رأيه في الاختيار منذ الأزل وحرية الإنسان، أرسلت إليه تطلب منه أن يوضح لها بحثه في هاتين النقطتين فأجابها جواباً لم يكن مقنعاً حتى أن ابنها «فريدريك الثاني» لما كان على فراش الموت قال لاحدى نساء البلاط - لا تبكي على إذا مت لأنى أريد أن أتحقق بنفسى ما عجز «لينز» عن إظهاره لى من جهة النقصاء، واللا نهاية والعلة الأولى والثانية.

وكان يأمل أن يؤسس وحدة فكرية جرمانية ترقى اللغة الألمانية وتنتشر العلوم المجردة وتساعد على نمو الصناعة والتجارة وانتشار هذه الفكرة الجمعية العلمية في أنحاء ألمانيا ومنها جمعية «درسدن» وجمعية «فيينا» إلا أنه عدل عن رأيه هذا أخيراً وقال بضرورة تأليف وحدة فكرية أوروبية تعم الشعوب المسيحية كلها.

ومع أن فلسفته لم تبلغ الشأؤ الذى بلغته فلسفته نده «نيوتن» فإنها كانت ذات أثر فعال في رقى الفكر الأوربي في القرن السابع عشر ونستطيع أن نقول إن «لينز» من أولئك الأفراد القلائل الذين تبخل بهم الطبيعة فيظهرون في فترات مختلفة يقلبون فيها نظام العلوم والفلسفة ويقضون على الأوهام السائدة على العقول

بَيْتُهُ

وقالوا: لنا في (مصر) أكرمُ بيته
وماعرفوا أن العظيم — وإن سما —
وكم من عظيم في شعور ومهجة
يخفُّ به الحساد من كل جانب
فان صدقوا فالصدق في عكس ظنهم
وقد تخلق الأحران إشراً لآل
وك غارق حولي يبحر من الآسى
بمن عليه الأديماء نلحظ لهم
ومادام أهل الراى أنسرى عبادة
فأى رجاء يرتجى من فتونهم
ألا لا دواء قبل نهذيب روحنا
يضجى بأسمى نفيه — وهو منقذ
فبشوا إذن في النشء ديناً قوا به
فيعرف كل أن أكرم عزة
فإن صح هذا فاذكروا بعد أنفسنا
والأ نخلونا بحسرة صاير

إذا ما اعتلى الباني فليست تموقه
فبالرغم منها أن تذل حقوقه
يموت بها موتين: جوعاً وحرقة
ويأتون حتى رؤية المجد ميسة
فقد تدفع الأستقام للبرء أحيانا
كما حرّك الجمود للفكر إنسانا !
وفي الناس من قد عده فيه سايحاً
منه ، فهل لآقى المنية راجحاً ؟ !
لأهوانهم والحقده ، لا المثل العالى
ومن رأيهم بالحقده والخلق الهالى ؟
ولا خير في فن لغير أريب
سواه — لكي يحيا حياة أديب
محبة فن في إخاء وفي جهد
حياة الفتى للكل ، والكل للفرد
نعيش بحق بين أكرم بيته
على ما نلاقي من صروف دينية !

شرح الواجب

وقع الفتى دافيد ليفى ، المتطوع بجمعية الاسعاف شهيدا في ميدان الشرف
عند ما كان يؤدي مهمته الانسانية في انقاذ جريح بالحوامدية فكان باعثا للشاعر
على نظم هذه القصيدة :

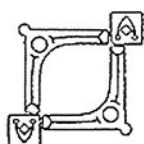
ما اعتيد من جمعية الاسعاف	أثر البطولة فيه ليس يخاف
أندى وجوه البراهم أعضاؤها	هذى صحيفتهم بدون غلاف
يطفون ويرسب ماتراه ، وفعلهم	أبدأ على السطح المشاهد طافى
ياربما شيبت مروءة غيرهم	أما مروءتهم فنبع صافى
للغير قد وقفوا النفوس ولا أرى	شيئا يحل كذه الأوقاف
ما سال جرح من نتيجة حادث	الا له منهم بنان شافى
ومصيبة غشت سماوة أهلها	باليأس زالت منهم بتلافى
يترسمون خطى المصاب كأنما	وقفوا على مآناه من عراف
وكأنما كانت أمام عيونهم	أستاره من جوهر شفاف
لا النار تنهيم ولا أشباهها	مما يضم عناصر الاتلاف
هم جنة الدنيا اذا اشتد اللظى	والماء فى صحراء ذات جفاف
هم رحمة المولى التى أوحى لها	بالعطف فى هذا المحيط الجافى
هذا هو الشرف اللباب وأمله	الناهجون مناهج الأشراف
أحيوا بما استنوه انسانية	شرقت بطائفة من الأجلاف
الطاعينها فى صميم قوادها	بالشح آوثة وبالأشراف
أو بالمسلذات التى جعلتهم	فى حالة أدنى الى الأسفاف
لهم صفاة لا تضن بقطرة	وتسيل فى الشهوات بالآلاف

دافيد ! لا تبعد فان بلادنا محرومة من هذه الأصناف
الدر مثلك ان مضى عنا فما نحتاج بعد الدر للأصداف

أيدى الردى الموتور من اسعافكم سدت عليك منافذ الاسعاف
 ما إن أبالى أن يتقابلنى امرؤ لرثاء دافيد بالاستخفاف
 هذا أبر يدا وأظهر سيرة وأحق من ندبته ذات قوافى
 يكفى الإشارة بالكبير وقدروا رمز البطولة يا أولى الانصاف
 عرى الكبير من المروءة واتنى منها الصغير عليه ثوب ضافى

محمد صادق عرنوس

القاهرة



السهر النسائى المصرى

وشهيرات نجومه

لاغنى عن هذا التأليف الأدبى القيم فى مدارس البنات - سواء فى مصر أو فى غيرها من الأقطار العربية - وهو إلى جانب كونه كتاباً مدرسياً فريداً فى باب جدير كذلك بالمطالعة الأدبية العامة لأنه زبدة دراسات كثيرة و خلاصة مؤلفات أدبية شتى .
 ثمن العدد ثلاثون ملياً وأجرة البريد نصف قرش ، ويطلب فرادى من جميع المكاتب الشهيرة ، وبالجملة من (مكتبة الوفد) ياب اللوق بالقاهرة .

والمكتبة ترسل قائمتها لكل من يطلبها مجاناً

الثقافة والساميون

« لعمور مهبثان رئيسيان : الأولى : تحرير الفكر ، والثانية : العمل على خلق صورة جديدة من الحضارة الشرقية الصاعدة : تخرج من روح الأمم الشرقية مجتمعة ، فالجمع بين مناحي الثقافة المنتشرة في أنحاء العالم العربي ، وأثر مختلف الآراء والتعبير عن مبادئ المنازع التي تقوم في عقلية الشعوب الشرقية ، من الأشياء الجوهرية التي تعنى بها العصور في أول ما تعنى به من الخدمات الأدبية . واليوم نقدم لقراء هذا الفصل الذي أرسل إلينا به أديب مراكمي معروف . وبهذه المناسبة نقبض هيئة تحرير العصور أن تعلن بأنها ترحب بكل الإبداعات والمنتجات الأدبية التي يتقدم بها الأدباء في أنحاء العالم العربي . »

لمحة

لا يعزب عنك أن المسائل المشكلة المتداولة بين أبناء جيلنا الحاضر في فلسفة الاجتماع والتاريخ والسياسة تلخص في الكلمتين المشهورتين ، أي الشرق والغرب . وعندى أن محورها ما تمكن تسميته بالمسألة السامية . ألا ترى أن (Bergson) و (Einstein) وفرويد (Freud) وكوري (Curie) وهرتز (Hertz) وماركس (Marx) ، وهم ساميو أوربا ، هم الألى نسجوا لهيئة حياتنا حلتها الفوضى ، وألقوا بها في زعازع الحرق والقلق ، حاملين ألوية جلائل التصورات للسعادة الانسانية ، نعم إن الأمة السامية لفي دورها العائد نوراً واستيقاظاً ، أنظر الى بيت المقدس فهو زهرها العتيق . وانكفيء الى الأندلس نيرها الأكبر ، تلك الروضة الغناء ، تلك الغزالة العجما ، غرناطة العرب ، التي ملأها الوفاء ، وشعارها الاخلاص . إذ أرواحهم الكريمة تم عنها حتى أيامنا هذه ، مع تفحات الذكر الخالد ، والمجد العائد فهي خليفة بأن تكون أيضاً مقر الانبياء !

واليوم فلنضع — نحن الأندلسيين — ما بين شتى القوى الفكرية المأنوسة لدى المتورين ، ، إمبراطوريتنا ، الأندلسية مازحة بين ضرب من التصوف ونوع من

الهزل الرقيق كي تمثل هكذا (السامية) التي تقيم للحياة وزن العظمة والاجلال ،
متدرة بالقوى ومباينة لمذهب ألوهية الكائنات . فالسامي لا متيامن ولا متشائم ،
بل تائق إلى قضاء ساعاته في الهدوء والطمأنينة ، فهو محب طاهر ، يحب الله تعالى ،
والنوع البشرى بعيداً عن الغيرة الحيوانية .

وهذا الكتاب ، فلذلك موجزة مقدمة لأعمال تأتي متالية ، إنما هو كقانون
تمهيدى لدرس مسألة جديدة ، طريقة تعالج أولاً استخراج أسرار الوثائق الكامن
بين روح الأفكار الحالية وروح (السامية) الحادثة ، التي طالما تألفت بنوع
خاص في الأندلس مع الفيلسوف الاسلامي ابن رشد ، والمفكر الكبير الاسرائيلي
القرطبي موسى بن ميمون (Maimonides) ، وسينكا (Senique) ، وابن حزم ،
وابن العربي ، وأخيراً باخطاء وخفوت مع المفكر الأندلسي كانفاط (Ganivet) (١)
بافتخاره أنه سليل العرب . وثانياً تحاول توحيداً أدبياً بين شبيهة لإيريا الجنوبية وأختها
الناشئة السامية الناضجة اليوم من طنجة إلى فلسطين . ومن لبنان الكاثوليكي إلى
مكة الإسلامية .

ولو سمحت لي بتحكيم مخيلتي . لقلت : إن الذي ضم بين دفتي الكتاب : أشبه باصلاح
عود قبل العزف والاتيان بالنغمة المطربة ، أو كشوب نار القرى بين إخوان في :
أم القرى . أو مثلاً بجواب من إفريقيا الشجاعة إلى رودريغ انقى نعم إن
منهاج الحق لواضح حيث استوت الأندلس قائمة بلسان التوسط والموطوءة إزاء
اضطراب العالم . أعنى انحطاط شعوب أوربا البالية والتهديد المريع الآتي من آسيا
الصفراء ليستمد المسلمون والاسرائيليون والكاثوليك الساميون ، ضد
اللا دينية والهيولية ونفاق المجددين العصريين . إذ الروح السامية ، ابنة التوراة هي
المنقذة الفذة للإنسانية !

(١) أنجيل كانفاط (Angel Ganivet) كاتب غرناطي مبرز وسياسي حاذق . ولد سنة ١٨٦٧ م . في
غرناطة وكانت له شخصية عجيبة وأهتام عظيم بأسلافه وأجداده الأندلسيين حتى ألقى به إلى إنكار جنسيته
الإنسانية قائلاً إنه عربي وأن الأندلسيين عرب أكثر منهم أسبان . عاش في لشبونة دائماً ورسائله مشهورة من
هذا القبيل ، نفس حساسة متأثرة عظيمة ، انتحر وهو ابن ثلاثة وعشرين سنة .

الفصل الاول

1 - ظهور العالم الجنوبي - ما هو الشرق ؟ ما هو الغرب ؟ سؤالان ذوا خطورة مروعة وغموض كابتسام أبي الهول هائل ! تدور حولها وحدانية وعقلية العالم أجمع : سبنغلر (Spengler) ، كيزرلنغ (Keyserling) ، والس (Wells) ، فريرو (Ferrero) ، ميترلنك (Maeterlink) ، رومان رولان (Romain Rolland) ، سوكولوف (Sokolov) ، جابطنسكى (Jabotinsky) ، ويزمان (Weizman) ، طاغور (Tagore) ، غندى (Ghandi) ، محمد على ، شوكت على . حبيب اسطيفانو (Habib Estefano) ، ديستوسكى (Doiestowsky) ، رديارد كبلنج (Rudyard Kipling) ، اينشتاين (Einstein) : أوكا كرا - كاكوزو (Okakura-Kakuzo) ، لينين (Lénine) ، موسوليني (Mussolini) ، مصطفى كمال ، زغلول باشا ، رضاخان . وفي إسبانيا : أرتيكا كاسيط (Ortega Gasset) ، أسورين (Azorin) : ريكاردو ليون (Ricardo Leon)

كل المبرزين فى شعبة من شعاب الحياة النظرية أو العملية يحسون هذه المسألة العويصة . تتردد فى أنفسهم الحصرة المغمومة . على أن الأمر خدعة سراب . تتحقق للرأى عند الاقتراب ، إذ لو كنت باليابان لاعتبرت أمريكا لك شرقاً والصين غرباً ، ولو سافرت إلى صحراء إفريقيا ليمت شرقاً ، أو إلى مستعمرة الكاب فى القارة ذاتها . لأمسيت بالغرب . لكن ما شأن روسيا ؟ ما شأن العنصر الأسود ؟ ما شأن الاسرائيليين ؟ .

فالأمم كما رأيت اعتبارى كفسطة حزبي اليمين واليسار أو حكمى الجمهورية والاستبداد . فما يستلفت همنا إلى تلك القارة الآسيوية العظيمة مع عناصرها ذات العدد القديمة . فأوربا إنما هى تابعة لها وملحمة بها ، أما نحن الناظرون اليوم إلى تأثير الأصل فى الفرع وجذب ذلك لهذا فى حين أخذه لجوار هر دو مزاياد . فآسيامن جهة تحتطف ويبدأ تلك المزاياد لتتقوى بها وتنور ، ومن جهة أخرى تتكون روح شرقية فى طبقات الأوربيين نشاهد منها افتخار بعض الألمان يبوذيتهم وازدهاء اليابانيين

يروميتهم . . . وهاك جل أقسام فسفطائية السياسية فيما يتعلق بالفريقين :

الشرق : محس بمأمورية إنجازها ، الغرب : شاعر بحياة موقوفة على العمل بلا فتور ، الشرق : مطبوع على مذهب المعرفة بالتصور الخيالي ، الغرب : مجبول على مذهب التحقيق الحسى الايجابى . الشرق : عتيق ، يقبل سلطة الآباء الأولين ، الغرب : ميكانيكى ، الشرق : خيالى ، الغرب : عملى . شرق : نوم ، غرب : قلق ، شرق : روح أثرية ، غرب : روح ذكرية ، شرق : على نمط واحد ، غرب : تنوع ، الأول : كتلة ، الثانى : سلطة ، واحد : مقاومة ، آخر : تجدد ، وهذا ، اعتبارات أولى النظر أما أقوال العامة فهى كثيرة منها : الشرقى : لباسه واسع منديل . الغربى : ثيابه لائقة بحيطه بجسمه . الأول : ذولحية كثة وشعر رأسه ضاف . الثانى : مخلوق الثلجية قصير شعر الرأس . واحد زوجته طائفة ، آخر قرينته حرة . منية الواحد : شجرة ، عين ماء ، زريبة . بغية الآخر : التنافس الحيوى . الشرق عناصر ملونة . الغرب عنصر واحد أبيض ! كل هذه أغلاط على أغلاط ، ومنافة على منافاة للصواب والعقل ! وما كنت لأزعم أنى جئت بحل نهائى لأصعب مسألة من المسائل الراهنة ، أو أتصر لأحد الفريقين . لكن أروم إبراز ركن ثالث من طى الخفاء قائماً حقيقة وحياً فعالاً فى ميدان الحياة الاجتماعية ، ألا وهو عالم الجنوب المتوقد الزموع ولو تكروه إنكار اليهود ليسوع !



إن العنصرين الأسمر والأسود مضبوطان بين إفريقيا الجنوبية والساحل الجنوبى للبحر المتوسط الأبيض ، ومن الأندلس إلى بحر الجنس . ويتآلفان من الفرس والساميين والحاميين ، والدب الايروى واليونان والسودان . خلق مولد من الكلدان والأشوريين وأوسع منهما . غاية ما رقيت اليه الثقافة الصحراوية فاجتمعوا حول العالم السحرى (سبغلى) شعباً جنوبية محضة متسلسلة من الاقليم الأندلسى والمغرب الأقصى إلى إيران ، ومتسلسلة من رعايا الخلافة العربية ، تخومها أرخبيل الروم إلى مقدونيا وإيطاليا والأندلس إلى بلنسية وطوليدو ، والأفغان إلى شمال الهندستان ، ولهذا الخلق أيضاً منطقة فى إفريقيا السوداء قابلة للتوسع والنمو ، حيث

المسلمون السودانيون وأدنة السيارات الجزائريون والطائفة السنوسية ، والمصريون والحبشة يتقدمون دائماً بمسيرة الثلاثين مليوناً من المسلمين السود وبمساعدة النخوة الهندية والإسلامية في الأفغان، فدارهم الأيوية ومصدرهم الدولي يجمع الأراضى المعروفة بالامة المختصة بالبحر المتوسط ، تضم أقطاراً عربية ومستعربة ، أغنى بالاولى العراق ، البحرين ، الحجاز ، نجد ، اليمن ، عسير ، حضرموت ، عدن ، الشرق الأدنى ، الشام بمناطقه السياسية . مصر ، السودان ، تونس ، ليبيا . وبالثانية : ألبانيا واليونان وجزيرة قبرس . ثم إن هناك عصيات وطنية بدون مقر ثابت ، تتألف من الاسرائيليين والأرمن وقوقازي كرج وزركش .

هذا هو الشرق الأدنى ، مهد كل ثقافة وكل دين ، تطب الانسانية . معمرة ذات الآلاف من العنين التي يلحقونها بقارة آسيا خطأ ويدعونها كالرجل المهجين شيئاً وسطاً . كلا إنها لأرض شريفة تطالب بحق زعامتها على رأس الجنوب وإفريقيا الجنوبية (عدا الكلب) وشمال غرب الهند وما البارز الحاذ من هذه الكتلة إلا الأندلس التي تنجلي فيها خواص الجنوب ومزايا أهلها وهيئة حياتهم ، وقوة مدافعهم للشرقية والغربية .

والآن يجب على القول بأن هذا الترتيب ليس بالصرف المطابق ، إذ الكلمات الثلاث لا تنفي . عن مجموعة شعوب غسب ، بل هي عبارات عن قوى روحية سائدة في أنحاء العالم مع وجود مناطق المزج والتضاد في شعب أو شعوب ، كافي الدولة الألمانية التي هي بين الشرق والغرب (سياسياً) ، أو كاسبانيا التي هي بين الغرب والجنوب ، أو كالأندلس التي بين جنوبها الإسلامي وشرقها البرهمي .

2 — خواص الأقسام الثلاثة — وتمحيص الحقيقة أن الشرقيين (١) يتصورون السكون تصوراً أجوف ، أي ذا قوة متجهة إلى « داخل » فيرونه إلهاً . ومبدأهم يتلخص في ضمير الغائب ، ضمير المجردات : هو . يخضعون أمام الكائنات ويضعون العيش شيئاً اعتبارياً لا حقيقة له ، شاكين فيه وفي أنفسهم (الانانية الممقوتة عنده البوذ) الطبيعة كعبة عبادتهم أينما وجدوا فيها . فهناك وطن لهم ، يعمل فيهم الماضي .

والفضاء والغريزة . حقيقتهم أن لا يقبلوا حقيقة مطلقاً ، فيقولون ، كل شيء إله ،
أو أنا إله ،

ولهذا المذهب مجريان يلتقيان وية كاملان :

١ . إخماء مع الكون وتغان في محبته (تأمل أديان وفلسفات الصين واليابان)
٢ . ازداء به بكل حياة وبكل طبيعة (نرفانا البوذ وعدمية Nihilisme الروس
والنصار) . يقول الرجل الشرق :

إن خليقتنا إلهية إذ يجتمع فينا الخائق والمخلوق ، البسيط والمركب . المبدأ
والنتيجة . المعنوى والحسى . الحياة خط دائر مسدود سره سرمد البحار وجزرها
دون أن تخرج من مازها أو تنقص ، ليست غايتها عز الحقيقة ولا عن الخير . إذ ليس
المعلل والارادة والوحى الخ . إلا كلمات جوفاء لا طائل تحتها . إن الرجل العارف
بأنه جزء من الاله لا يحتاج إلى حقيقة ، لأنها في نفسه ، وما عليه أن يجد ويكد
في اعمال فكرته . وإمعان نظره ، ليجلب على نفسه بلائيل يستوجب مضضها فيكون
كالباحث عن حقه بظفه ، أو كالجادع مارن أنفه بكفه ... ويقول :

كل حي ميت وكل موجود مفقود ، كل شيء كالأضغاث يلتف بعضها على بعض .
أو يتسرب ليتغلغل في مهادى المبهمات ... إن الحياة عارض غرورى في سلسلة
التكون اللانهائى ، مرحلة من مراحل الاستحالة الحيوية (مذهب التناسخ) نموت
لتنفك مركباتنا وتعود إلى بساط . فتدخل في الله لذى هو الدهر أو البعثة الكونية .
إن الشرق لا يعرف حدوده . تثب نفسه في الفضاء لتتفسخ وتندمج في الطبيعة ..
نغايته كما رأيت هى الاعتراف بأنه لا توجد حقيقة . وأنه — هو — مجموع مركبات
مستحيلات ، لا أحد فيها ، يتصور المادة كتجسم نفوذ غريب غير حائل ؛ يصير
التراب نباتاً ، كذلك ، والنبات حيواناً ، والاسان تراباً الخ ... أنظر رمز التنين
الصينى إلى القوى المسببة الولاجة فى الأشياء ، بطرق شتى مناسبة لأغراضها . دون
أن تبرز لنا فى أوصافها (اللانهائية) . وهى — أى الحياة — فى نظره عارض ألى
مأموف على وجوده ، فيدع نفسه تناء لكل تيار المعيشة . فلا يبدى إرادة . ولا
يهتم بمعاودة .

ثم ينفذ عملياً النظرية الآتية الذكر بتلقين الوسائل الموصلة إلى إفراغ الأدمغة من كل شيء خارجي (نرفانا) وباعتبار نفسه مساوية مثلاً للشجرة أو الكرسي وباعتقاده من جهة أخرى أن العيش ألم والألم يتولد من الطمع ؛ فيميت هذا بقتل الانانية فيه ومطامحها ، ويطرح عنه ملغياً كل ائتلاف معان وكل افعال من خير وشر ، أى الأمور التى تندفع أو تتجاذب كما فى حياة الافراد ، لا مقدس ولا مدنس فى نظره ، لا روحى ولا حسى ، بل كل الكون تقي فارغ . . قل إن حياتنا السرمدية لا تتوقف ولا تتوطد على أعمالنا ولا اجتهدنا ، الامر الذى إن اعتمدنا عليه نظل بعيدين عن إنقاذ أرواحنا . . . العالم يذهب مع ذهاب روح الانسان . . من عرف نفسه عرف العالم . . . إن خير العلم جهل كل علم وضع اهتمامك فى ظفر خنصر ك ، (طولستوى)

هذا هو الشرق أرض الغريزة والتقليد ، والبعثرة والجمهير . وعدم الانانية . هذا هو الشرق بقوته الادبية الثلاثية : روسيا — الهند — الصين ، وأعلامها المتنازرين : غندى — ديسا توفسكى . طاغور — طواسطوى . بوذا — لينين ، شرق البوذ الاحمر والصقلى المضادة للغرب ، ويابانية طاكونوبو - Morobuse وأوكا كراكزو Okakura-Kakuzo .

أما الغرب ، فتصوره للوجود تصور مقبب — أى قوة حركته متجهة إلى « خارج » . — . مذهبه يتلخص فى ضمير المتكلم (أنا) فلا تسيطر عليه الطبيعة ولا الحياة إذ يعتبر نفسه سيدهما بمزية التقدم والارتقاء اللانهائى . هو مطلق العنان ، يذهب حيثما شاء ، وكيفما شاء ، واثقاً بعقله وقوة إدراكه ، فكعبته الانانية المطلقة المغرب ، أراض تختار فيها الاوطان ، ويهتم سكانها بالمستقبل والزمان والادراك العقلى (مقابلة الماضى ، والمكان ، والغريزة فى الشرق)

إن حقيقة الغرب تنافس دائماً بين ما يعتقد فعله وما يفعل حقيقة . ثم شوق مضطرب إلى الوصول الى ما وراء الكون ، ثم ثقافة حائدة عن الاهتمام بالحياة غير إنها لا تكون مفازتها ، ثقافة متقلبة حيث يغلب التصور الذهنى غير مقيد

والذى لا غاية بعده . أعني أن الغربي يجد الحقيقة لنفسها لغرض عملي أو كسبي . شعاره . . . انحلال العلم في منتظم تناسبات نوعية كنغمة موسيقية لا نهائية للفضاء الفلكي ، كل نشوء يقاس على قدر القوة المحدثة له بكمية من العمل المحقق من حيث هو نفوذ مخزون . . . هذا تحديد العلامة سبنغلر (Spengler) في حق الروح الفروسية فطلقة هنا نيل الثقافة الغربية . . . إن كمية مفروضة من قوة نفوذية هي ناموس انتشارى مفعول ومستقل عن كل حاسة اللمس أو البصر . ولا معنى فيه لتصوره أو لفهية . .

يرى في الروح الغربية اهتمامان رئيسيان : ١ — استمداد لطلب في حرص ابتغاء نيل إدارة وقوة . توق الى التفوق والتحول ، ومطابقة الجديد المستحدث يخلل اليهم أن غايتهم تباعدت كلما اقتربوا منها . يطلبون الزيادة ويحتقرونها اذا أدركوها . ربههم علم الجبر . لا تنافس ومناظرة في مسائل العقل والارادة . استشار بالفهم والشهامة والنشاط . طرد كل بسيط وكل لا تنق لأول وهلة ، غاية في العمل . غاية في الضموح غاية في حب القوة والسيطرة .

واذا سمعتم يتحدثون عن عظيم من عظمائهم تنقبت هذه الكلمة : « قد تفوق » لا ينحس ويطرب الغربي إلا للفضاء ولمضى الرجل في اللانهاية إما بسلاح العقل وإما بدرع الخيال . إن روح (Faust) سائدة في الدول الغربية بتثقيفها للضمير الخلقى ونظرها في الماضي وتحليقها في الفضاء . ليبت قوته المطلقة .

هذا هو الغرب بشعوره لأغلاظه وقائضه مع اعتقاده الضميم أن لا حد لقدرة الانسان وعقله .

يشتمل الغرب جغرافياً وتاريخياً على إيطاليا (رومة أم الغرب) وفرنسا وألمانيا (اللويسة خيفة من آسيا القربية منها) والنمسا وروسيا والبروج والعالم الانجلوسكسونى والعالم الأسيرى الأمريكى ، وسويسرا وبلجيكا وهولاندا والبلتان . تخبره ، ومناقضه مناظمتا كطلالونيا وجليقة باسبانيا ، وأميركا الفتاة .

أما الجنوب . فشكل تصوره للحياة منبسط — أى اتجاه قوة حركته مستدير ، أو إهليلجى — مبدأه يتلخص في ضمير المخاطب (أنت) تذب عليه الفكرة

التجريدية الدينية . و الميل الى المواجهة على النمط الاعتقادي ، فروحه مبانة لميكانيكية الغرب الممقوتة وبدعوة الشرق الدليلة ، أنانية فرودية : قصوره للعيش فتنه الحياة سلسلة مراتب مودع في كل منها روح تقوم برأبها ليعد هذا جزءاً مقصياً ومنجزاً من مأمورية عظيمة دائرة .

الجنوب أراض حيث الوطن يتصور ويبنى ، وحيث أهمية (اليوم) غير محدودة ، و الأمل نسبة اليه طاعن في القدم وسابق للآزمنة التاريخية ، وحيث المستقبل مستمر ليه ان الحال الى الامام ، وحيث النشاط له قيمة ، و الادراك البديهي سيادة .

وهنا تسبح الى الشهرة لأني بعجز كل متصد لهذا العمل عن الايمان برمة حقيقة الجنوب في نهارها الجلى بين الفسكات المبددة أثناء هذا الكتاب العديم التظير اللاتق التصانيف الاجتماعية الضافية ، إذ لا غرو أن عملاً كإبراز حقيقة اجتماعية عظيمة يستغرق عمر الانسان ، فتجلبتها وإماطة الستار عنها ، يجعلني إذا مضجياً على في سبيلها طيبة حياتي ، والآن أكتفى بأن أقول إن الجنوب يروم تحقيق المثل الآرى بعمل أبى فأنسج على منواله ، فهو مبان للشرق والغرب باعتقاده أن الله ليس بقوة النواميس (١) الطبيعية ولا هو بالفضاء اللانهائى ، وإنما هو رب العالمين المهيمن الذى يصرف عباده بالخامه الى مقاومة القوى الهوليتو تأثيرها فيهم بافسادها مواهبهم الشريرة السامية . ومن خواص خلقته الرجل الجنوبي أنه لا يملك نفسه إلا حيناً وأحياناً ، تملكه غطرسة حركاته ، وأنه يعلى قيمة السطحيات لمقاومة نفوذ المساذ . ويتأتى لنا كشف سره بتحليل اشاراته وإيمائه ووقنته وطبعه . وقبل أن ألتفت اليه أترم بأن أقول بكل صراحة : لا شرق ولا غرب . فما النور الآتى من الشرق إلا ذاك الذى ينسحب ويتخلص عن أوربا بجناراً بأميركا ومعيداً دورته ، لتقفل السنة والسنون . . أما اذا أردنا ذاك الشرق البعيد ، الشرق الذهبى الموصوف في أقاصيصنا القومية ، فلنطلبه بيو عملة كركطو Cocteau الذى يقترح علينا الفحص عن اللؤلؤة الشرقية في لونها وهيئتها الخ . وإلا فما الشرق سوى هوس في قلوبنا يجعلنا نصير دائماً إلى الأشياء الغريبة السحرية .

الكلام بقية .

الأزهر

« ننشر هذه القصيدة المملوءة بالدعابة . في وصف الأزهر من قبل بمناسبة النهضة
الحالية التي اكتسحت ذلك الجمود الذي طالما خيم على الأزهر القديم . ليعرف الناس
الفرق بين الحالين ،

وسائل « ما الأزهر الشريف وما حديث قومه الطريف
ماذا يقول الوصف في صحراء جدباء لم تطلب الأنداء
أحل فيها كل نجم أزهرأ وضل فيها كل نجم أنورا
وسايرتها رحل بداء عشيم ليس له غداة
ترطمهم دجنة في أخرى ويبلغ الوعر سراهم وعرا
حتى اذا ماسموا كلالا ووزن العى لهم وكالا
ظلوا تجاه الترب واللحود ليعبدوا مراقم الجنود
اذا دعا داعى الهدى لم يسمعوا لا يسمع انصم اذا الصم دعوا
ماذا يفيد الرشد من أقوام لم يعكفوا الا على أصنام
أيستجوبون العمى على الهدى ويحسبون النصح لهوا وولدا
ويتركون داعى المجد سدى ويلبسون بين آل وعدا
تقدم الدهر وهم جمود وانتبه الكون وهم هجود
ياسائل عن القرون الخالية وما بها من الرسوم البالية
وسائل عن جهلها المكنون وموتها المديح المصون
تعرف الأزهر وادرس قومه وادرس — بحق — كتبه وعلمه
أنت إذن من الزمان الأول فاقراً لنا حديثه ورتل
ماذا يفيد العلم من « خبيصى » ومن عقائد ومن تلخيص
ومن يقول الشيخ لكن أعترض ، ومن اذا كان كذا ، ومن « فرض ،

«وعبر الشيخ بيا دون لام وفيه أشكال وما وفي المقام».

يا أيها السائل عنهم وعني ما يفعل الجسم اذا الروح فني
يدخله الأيفع والنضير ويخرج العي والكسير
يقول «قطني قد علمت العلما حتى قتلت كل سفر فهما»
وهل درى ما قاله الحكيم «ان السليم عقله السليم»
ثم يسير فاذا به كبا لأول الخطو فيلوى آيبا
يصدر مثلا «سنار» صدر لكن سنار درى الخير وير
متى يحسون بوخر الداء ويعرفون موطن الداء
ويتركون للتقديم القدا ويصعدون للحياة سلمة
ويشهدون العلم إذ يحيا به من كان قبل اليوم في تراه
أتى الأولى سموهمو كفارا ما انهر الدهر له انهارا
وعلموا الجماد حتى الطفنا وذلوا الآفاق أفقا أفقا
وكلوا — وهم بأعلى — الصين من كان منهم فوق أرض السين
ورفعوا الأرض الى السماء وساقوا الحيتان في الدماء
وفجروا وسجروا البحارا وحيروا العالم حتى حارا
ماذا تفيد الناس من مقام ومن لحى كوبر الأنعام
وعمم كالتبب الفواشي وجبب طويلة الحواشي
وخلق كالحرة الرمضاء ومنطق مرقع الأثناء
وكتب كنصب معبودة وأسم كهم مقودة
ان الحياة بعد خمسة عشر ولا يسجن الجبل من إحدى الكبر
أؤخذ الذكي بالغبي ويترك الغبي للعبي
يارب إن اليوم غير أمس فانتشل العلم لهم من رسمه
وميز الغث من السمين واتشع دجى الوهم عن اليقين.

ما للحياة طعمها مرير وشرها على مستطير
سجنت روحي في الشقاء يدي وصل جدي في الأنام بددي

أسير في الأزهر كالسواني ثم أعد العمر بالثواني
 وأنظر الأسفار بابا بابا فأقرأ العجائب العجبا
 مالى وما للأزهر المعمور وما لحسن الظلل المستور
 أجلس تلقاء تمثيل خوت أقرأ فيهن أساليب عفت
 شقيت حتى ملئ الشقاء وطوحتى للردى أرزاء
 كيف أجثم الزمان الماضيا بدارسيه أن يعود ثانيا
 لاهم بين لى يانا حاسما فى آجلى كيلا أسير هائما
 اللبس لكل زمن لبوساً ولا ترد طاسمه المظموسا
 ودر مع الزمان حيث دارا ولا تقف وتلم الاقدار
 كل امرئ بسعده مفتون وهو بما يكسبه مرهون
 وإنما شعبة الطرائق واختلفت فى نهجها الخلائق
 والعقل إن لم ترعه التجارب ضلت به الأوعار والسباب
 والناس إما ناهج وعقله أو تابع نهج الذين قبله
 ماخلق المرء لى يفسدا ويردى الصلاح والفسادا
 م . ت . ا

العجز

إذا تأملتُ مجهودى وقد طمعت
 سخرتُ منه ومن نفسي متى منعت
 وكدتُ أبكي على عمرٍ مضي تلقاً
 فصرتُ أهلاً به للعجز واللّعز
 صغرتُ عن حشرات كنت أصغرُها
 فليتني من يساوى دودة القز
 أبو شادى

(١) الوعظ القصصى

تلخيص الأستاذ سيد ابراهيم

قال لى صاحبي وهو يحاورنى

«لقد نكبتنا وزارة الأوقاف حين احتكمت علينا أن نؤلف خطباً ونسجلها في الدفاتر»

قلت : «لقد أسدت إليكم معروفاً أى معروف !»

قال : «أنى مقدورى أن أعظ وأن أخطب»

قلت : ولم لآءى

قال : — «إنى لأعجز عن تسجيع جملتين اثنتين فى يوم واحد»

قلت : — «وما شأن هذا بالخطابة»

قال : — «وكيف تكون خطابة بلا سجع»

قلت : — «بل كيف يكون سجع وخطابة»

قال : — «أمر كعجيب !»

قلت : — «أمر كعجيب»

قال : — «دع المزاح جانباً وخذ فى الجدة»

قلت : — «انى لأمزح» وهل تسمى الصدق مزاحاً؟ إنك تصور الخطابة

تصوراً فاسداً خاطئاً، وهذا التصور وحده هو علة عجزك عن القيام بها، إن الوعظ

أيسر مما تظن بكثير

إن كل أمر بالمعروف وكل نهى عن المنكر هو وعظ له قيمته وخطره

فاذا سرت فى الطريق ورأيت حادثاً من الحوادث—خيراً كان أو شراً—فقصصته

على مستمعيك شيئاً على جانب الخير مندداً بالجانب المردول حاثاً الناس على الاقتداء

بالأول محذراً إياهم من الوقوع فى الثانى. فقد أحسنت وأجدت و كنت الخطيب المنفوه

والواعظ المرشد الأمين

(١) خلاصة المحاضرة التى ألقاها الأستاذ كامل كيلانى فيها جمعية مكارم الاخلاق

الاسلامية

وبهذا تكون قد قدمت للناس أمثلة يقتدون بها وأمثلة يحذرون الوقوع فيها ،
ووعظهم بما حدث لسواهم من خير وشر
« والسعيد من وعظ بغيره واشتقى من وعظ بنفسه ،
قال : —

« ما كنت أحسب الوعظ بهذه السهولة ،

قلت : —

« إن سوفهم كثير من الخطباء معنى الوعظ هو علة تخبطهم فيه وعجزهم عن القيام به ،

* *

قالوا : إن مربية أولاد لويس الرابع عشر طلبت إلى أحدهم — وكان صغير السن — أن يكتب كتاباً إلى أبيه — وكان بعيداً عنه

فقال لها مدهوشاً : —

أفنى قدرتي أنا أن أكتب كتاباً

ف قالت له : —

هب أباك حضر فماذا أنت قائل له ؟

قال : —

أقول له لقد أوحشتنا واشتقنا لرؤيتك !

قالت : —

فاكتب له هذا .

ثم قالت له : —

قل له إن البيت يحترق !

فقال لها : —

هذا كذب !

قالت : —

« قل له إذن إن الخادم تنظف غرفة الاستقبال ،

قال : —

« وهذا خبر نافته . »

قالت : —

لقد عرفت الآن كيف تكتب الكتاب ، فليس يكلفك ذلك أكثر من ان
تكتب ما تشعر به مبتعداً عن الكذب وعن الحقائق النافذة !
وهذه أيها السادة هي وظيفة الخطيب تماماً

* *

وفي إحدى روايات «مولير» نرى أحد المولعين بالدرس — على كبر — يشرح
له معلمه النظم والنثر، فيقول له: —

النظم هو الكلام الموزون المقفى

فيسأله : وما النثر ؟ فيقول له : —

هو ما تتكلمه الآن

فيقول : « وا عجباً ، إذن فأنا أتكلم النثرار بعين سنتي وأنا لا أدري ! »

* *

ولعل أكثرهم سيدهش أيضاً حين أقول له إنك كثيراً ما تكون خطيباً — عن
غير قصد منك — وإنك تكون واعظاً بليغاً كلما قصصت على إخوانك أو أهالك أو
طلبتك قصة بليغة ذات مغزى حكيم !

ولعل أيسر وأبلغ طريقة يتبعها الواعظ في بيته وطريقه وعلى منبره ، هي ضرب
الأمثال ورواية القصص .

ولقد فرغ رجال التربية من التدليل على أهمية الأمثال والقصص ، وقد سبقهم القرآن
الكريم إلى ذلك ، فقال :

« وتلك الأمثال نضربها للناس »

وقال « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت

من قبله لمن الغافلين »

ولقد بلغ ولوع بعض الناس بالأسلوب القصصي حداً عجيباً

أذكر لكم ان مدرساً فاضلاً من مدرسى العربية كان يدرس لنا — فى مدرسة أم عبلس الابتدائية — وكانت نتائجه أبهر النتائج وتلاميذه أقوى التلاميذ ، وكان السر فى ذلك هو اسرافه فى حب القصص ، وقد بلغ به ولعه بالأسلوب القصصى حداً مدهشاً جعله يشرح لنا فى قواعد اللغة ، وأثر كان وأخواتها وأثر إن وأخواتها بأسلوب قصصى جذاب يحبب فى النحو أزهى الناس فى النحو .

وكثيراً ما لجأ أبى — فى تربيتى — الى ضرب الامثلة والقصص
أذكر لكم أن بعض أشقياء الصبية أغرانى بتسلى الترام وأنا صغير ، فرآنى أبى وأنا
افعل ذلك ، ولم اره

فلما عاد الى المنزل قال لى — :

لقد حدث اليوم يا ولدى امر عجيب ، فقد هوى ولد شقى تحت عجلات الترام فقطعته
شطرين ، وظل الناس يلعنونه ويلعنون أهله :

« وهنا ذكرت لك يا ولدى فخدمت الله على حسن أدبك وبعذك عن هذه الدنيا ،
اقول لحضراتكم ان الأرض كادت تنغوص فى وكان هذا آخر عهدي بهذا
العمل الممقوت .

وفى ذات يوم قلت له — وكنت طفلاً — :

انى لأخشى العقاريت والحشرات المؤذية حين اصعد سلم البيت فى ظلام الليل .
فقال لى — :

من الذى يحرسك وانت نائم

قلت — : هو الله

قال — : اتظن ان من يحرسك نائماً لا يحرسك وانت يقظان ؟

فكان ذلك آخر عهدي بالخوف ايها السادة

ولقد قرألى أبى كثيراً من القصص فى بخر حياتى ، لا أزال مديناً لها — الى الآن —
بما يظنه فى بعض من يحسنون الظن بى من خيال وأدب

ليست وظيفة الواعظ منحصرة في أن يقول « اتقوا الله واخشوا عذابه واحذروا ناره في كل أسبوع بعبارات مختلفة وأن يقول :
عباد الله .

أوصيكم وإياي بطاعته ، واحذركم وإياي من عصيانه ومخالفة أمره إلى آخر هذه الكليشيات والعبارات المحفوظة حفظاً والجل المرصوفة رصفاً .
ولكن وظيفته تنحصر في أن يحسن التعبير عما يشعر به من خواج وعواطف صادقة . ولو كنت خطيباً في مسجد ، لما صعب على أن أهتدى إلى موضوع صالح — كل يوم — فضلاً عن كل أسبوع

أما الحياة اليومية أقتبس منها ألف مثل مما أراه في النظرات وغيرها .
أما التاريخ الحافل بالعضات والعبر والمثل العليا

موقفه أحد

خذ مثلاً على ذلك موقعة أحد
فهى وحدها تصلح موضوعاً لعدة خطب
(١) عاقبة المخالفة

كان النصر محققاً للمسلمين في بدنها
فلما خالفوا أمر النبي (ص) وانتقلوا من مواضعهم كر عليهم المشركون وقتلوا
منهم عدداً كبيراً فيهم حمزة عم النبي (ص)
واستطاع العدو أن يخلص إلى النبي (ص) فيرميه بالحجارة
قالوا — : ووقع لشقه

فأصيبت رباعيته وشج وجهه وكلبت شفتاه ، ودخلت حلقتان من حلق المغفر
في وجنته وسقط في إحدى الحفر التي حفرها المشركون ليقع فيها المسلمون الخ
ليس هذا موضوعاً جليلاً يبين لنا عاقبة المخالفة !

(٢) وفاء الصحابة

وفي هذه الموقعة يتجلى لنا مثل عال من امثلة الاخلاص والوفاء في الوفاء . إذ يقبل
الصحابة على النبي مستبسلين يمدونه بأرواحهم

يأخذه على يده

ويرفعه طالحة بن عبيد الله

ويحيط به جماعة من الأنصار والمهاجرين ليقوه السوء بنفوسهم .

وتجلى شجاعة المرأة العربية واضحة فلا تقل عن شجاعة جان دارك التي لا يكاد

يخلو من ذكرها كتاب ، والتي ملأوا الدنيا إعجابا بها

تحاز أم أم نسيه بنت كعب إلى النبي (ص) وتغاثي في الذود عنه

— وكانت تسقى الماء في أول النهار فلما رأت هزيمة المسلمين ، أسرعت إلى النبي

تقدته بنفسها ، ضاربة بسيفها مرة ورامية عن قوسها أخرى حتى أنجتها الجروح .

أتريدون أمثلة أخرى من هذه الموقعة؟ لو شئتم لما وفيت الليلة كلها اذا قصرناها

على هذه الموقعة وحدها ، فلنجزئ بذلك ففيه الكفاية . أتريدون أمثلة على فضل الصبر

فضل الصبر

صبر الصحابة

كان (النبي) يذكر يوما مالقى من قومه من الجؤد والشدّة . قال .

لقد مكثت أياما وصاحبي هذا (يشير الى ابو بكر) بضع عشرة ليلة ما لنا فيها

من طعام إلا البرير (ثمر الأراك) في شعب الجبال ،

وكان عتبة بن غزوان يقول — اذا ذكر البلاء والشدّة التي كانوا عليها بمكة —

لقد مكثنا زمانا ، ما لنا من طعام الا ورق البشام . أكلناه حتى تقرحت أشداقنا ،

ولقد وجدت يوما تمرّة ، فجعلتها بيني وبين سعد ، وما منا اليوم الا وهو

مير على كورة

وكانوا يقولون في من وجد تمرّة فقسمها بينه وبين صاحبه : إن أسعد الرجلين

من حصص التواة في قسمه ، ولو كها طرل يومه وليئته من عدم القوت ،

قال (ص) ، لقد رعت غنيمات أهل مكة لهم بالقراريط ،

أتريدون أمثلة على الاعتداد بالنفس !

جاء (ص) يوما ليدخل الكعبة

فدفعه عثمان بن طلحة العبدري ، — :

فقال — : « لا تفعل يا عثمان ، فكأنك بمفتاحها يدي أضعه حيث شئت ، »

فقال — : « لقد ذلت قريش وقلت

قال — : « بل كثرت وعزت ، »

وانظروا الى حواراه (ص) مع قريش حين قالت له تفاخروا — :

« أتباعك من هؤلاء الموالي » كبلال وعمار وصهيب ، خير من قصي بن كلاب

وعبد مناف ، وهاشم ، وعبد شمس ،

فقال — : « نعم ، »

والله لئن كانوا قليلا ليكثرن ، ولئن كانوا ضعفاء ، ليشرفن .

حتى يصيروا نجوما يهتدى بهم ويقبضى فيقال — :

« هذا قول فلان ، »

« وذكر فلان ، »

فلا تفاخروني بأبائكم الذين موتوا في الجاهلية .

فلما يد هذه الجعل بمنخره خير من آبائكم الذين موتوا فيها .

فاتبعوني أجعلكم أنسابا

والذى نفسى بيده ، لتقتسمن كنوز كسرى وقيصر ! ،

فقال له عمه أبو طالب — :

« أبق على وعلى نفسك ! ، »

فظن النبي أنه خاذله فقال :

« يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر

حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته ، ثم استعبر بأكيا ، ثم قام .

فلما ولي ناداه

أقبل يا ابن أخي

فأقبل

فقال : « اذهب وقل ماشئت ، فوالله لأسلبتك لسوء أبدا ! »

أرايتم خيرا من هذه الامثلة يسوقها الخطيب يعظ بها قومه ويضرب لهم بها
أعلى الامثال ؟

زعموا أنه كان أسد في أجمة ، وكان معه ابن آوى يأكل من غواضل طعامه . فأصاب
الأسد جرب ، وضعف شديد وجهه ، فلم يستطع الصيد . فقال له ابن آوى : « ما بالك
ياسيد السباع ، قد تغيرت أحوالك ؟ » قال : « هذا الجرب الذى قد أجهدنى وليس له دواء
إلا قلب حمار وأذناه » قال ابن آوى : « ما أيسر هذا وقد عرفت بمكان كذا حماراً
لقصار يحمل عليه ثيابه ، وأنا آتيك به » ثم دلف إلى الحمار فأثناه وسلم عليه فقال له : « مالى
أراك مهزولاً ؟ قال : « ما يطعمنى صاحبي شيئاً فقال له : وكيف ترضى المقام معه على هذا ؟
قال فإلى حيلة فى الحرب منه كلما أتوجه إلى جهة أضربى انسان فكسدتى وأجاعنى قال
ابن آوى : فأنا أدلك على مكان معزول عن الناس لا يمر به انسان ، خصيب المرعى ، فيه
قطع من الحمر لم تر عين مثلها حسناً وسمناً ، قال الحمار : وما يحبسنا عنها ؟ فأنطلق بابن
آوى نحو الأسد وتقدم ابن آوى ودخل الغابة على الأسد فأخبره بمكان الحمار فخرج
إليه وأراد أن يثب عليه فلم يستطع لضعفه وتخلص الحمار منه فافلت هلعاً على وجهه ،
فلما رأى ابن آوى أن الأسد لم يقدر على الحمار قال له : « عجزت ياسيد السباع إلى هذه الغاية ؟
فقال له : إن جئتني به مرة أخرى . فلن ينجو مني أبداً . فغضى ابن آوى إلى الحمار فقال
له : « ما الذى جرى عليك ؟ إن أحد الحمر رآك غريباً فخرج يتلقاتك مرحباً بك ولو
ثبت له لآسك ومضى بك إلى أصحابه ؟ فلما سمع الحمار كلام ابن آوى — ولم يكن رأى
أسداً قط — صدقه وأخذ طريقه إلى الأسد فسبقه ابن آوى إلى الأسد وأعلمه بمكانه
وقال له استعد له فقد خدعته لك فلا يدركك الضعف فى هذه الثوبة فإنه إن أفلت فلن
يعود معي أبداً . فجأش الجأش الأسد لتحريض ابن آوى وخرج إلى موضع الحمار فلما
بصر به عاجله بوثة افترسه بها ثم قال

« قد ذكر الأطباء أنه لا يؤكل إلا بعد الغسل والطهور ، فاحتفظ به حتى أعود

فأكل قلبه وأذنيه وأترك ما سوى ذلك لك قوتا فلما ذهب الأسد ليغتسل ، عمد ابن آوى إلى الحمار فأكل قلبه وأذنيه رجاء أن يتطير الأسد منه فلا يأكل منه شيئا ثم إن الأسد رجع إلى مكانه فقال لابن آوى :-
 أين قلبه وأذناه ؟ فقال له :-
 ألم تعلم أنه لو كان له قلب يفتقه به وأذنان يسمع بهما ، لم يرجع إليك بعدما
 نجا من الهلكة (١)

أليست هذه مصداق الحديث لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »

ثم ذكر المحاضر امثلة أخرى كثيرة ثم ختم محاضراته بقوله :
 فإذا أردت مثل العقوق ومثل الوفاء فأما ملك حكاية « أبي صير » وابن قير « وهي في ألف ليلة
 وإذا أردت مثل القضاء والقدر ، فأما ملك حكاية الملك عجيب وهي فيها أيضا
 وإذا أردت مثلا على أن لكل مقام مقالا فاقرا حكاية العم « عمارة » وهي مشهورة
 لا حاجة بذلك كرها
 وجماع القول أن القصص وضرب الأمثلة محييان إلى نفوس الكبار والصغار معا
 وهما من خير الوسائل التي يلجأ إليها الخطيب لتقرير فكرة أو مبدأ في أذهان سامعيه ..
 سيد ابراهيم

قَصَصُ الرُّطَفَاءِ

بِقِسْمِ
 كَامِلِ كَيْسَ لَدَانِي

أسلوب جديد في التربية — به أكثر من ٣٥ صورة مشوقة ثم ٣ قروش تطاب
 من جميع المسكاتب المشهورة ومن عباس افندي عبدالرحمن بشارع خيرت بالقاهرة

أبو دهبيل

الجمحي

أخبرنا التوزي عن أبي عبيدة ، قال : كان أبو دهبيل الجمحي جميلاً وضيئاً وكان عفيفاً فخرج إلى الشام فنزل جيرون فجاءته عجوز فقالت له : إن ابنة لي وردها كتاب من حميم لها وليس عندها أحد يقرأه فتدخل إليها في هذا القصر فتقرأه فتحسب الأجر فيها ، ففعل فدخل فأغلق الباب دونه ، وإذا امرأة في القصر رآته فأعجبها فدعته إلى نفسها فأبى فأمرت حشمتها فسجنوه في منزل من الدار ومنع من الطعام والشراب حتى كاد يموت ثم أمرت به فأخرج ودعته إلى نفسها فأبى وقال : أما الحرام فلا ، ولكن إن أردت أن أتزوجك فعات ، فقالت نعم وأحسنن إليه حتى ردت له روحه فزوجته ومنعته من الخروج حتى طال ذلك عليه ثم قال لها ذات يوم قد أتممت في ولدي وأهلي فأذني لي أن أطالعه وأرجع إليك فقالت : لا أستطيع فراقك فعادها ألا يئيب عنها أكثر من ستة أشهر وأعطته مالا كثيراً وغير ذلك ، فخرج حتى قدم على أهله بمكة فوجدهم قد نعي لهم واقسم ولده ماله وزوجوا بناته ووجد زوجته لم تأخذ من ماله شيئاً وبكت عليه حتى غمضت ، فقال لبيته : أما أتمم فحظكم ما أخذتم من مالي وقال لزوجته هذا المال لك فاصنعي به ما شئت وأقام عندها حتى قربت المدة ثم مضى إلى الشام فوجد زوجته الثانية قد ماتت حزناً عليه وأسفاً ففراقه فقال فيها :

صاح حيا الآله حياً ودوداً	عند أصل الفتاة من جيرون
عن يساري إذا دخلت إلى الدار	ر وان كنت خارجاً فيميني
ثبتك اغتربت في الشام حتى	ظن أهلي مرجعات الظنون
وهي زهراء مثل لؤلؤة الغو	اص ميزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبته لم تجدها	في سناء من المسكارم دون
تجعل المسك واللينجوج واند	صلاه لها على الكائون

ثم ماشيتها إلى القبة الخضر
 قبة من مراجل ضربتها قبل حد الشتاء في قيطون
 ثم فارقتها على خير ما كان
 فبكت خشية التفرق للبين بكاء الحزين أثر الحزين
 فسلى عن تذكرى واطمئنى بآبائى وإن هم غفلونى



دار العصور للطبع والنشر

بشارع الخليج المصرى بالظاهر بمصر

على استعداد كامل

لطبوع الكتب العربية وافرنجية

والمجلات فى احسن ثوب مع المحافظة على المواعيد والاتقان التام

وبها جميع الاستعدادات التى تمكنها من تلبية كل الطلبات التى

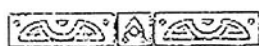
تطلب منها فى اقرب وقت

ألقاب المشهورين

لكثير من كتابنا المشهورين وشعرائنا الممتازين وغيرهم ممن له ذكر وخطر عندنا ولع شديد بألقاب خاصة إذا لقيت أكثرهم بغيرها امتعض ولم يعجبه منك ذلك وربما غضب أحيانا لأنك أغفلت تلقيبه باللقب الذي يحرص عليه أشد الحرص ، فاذا شئت ارضاء أحد منهم فليس عليك الا ذكر هذا اللقب الحبيب الى نفوسهم ، والا فكن على يقين من أنك لوملائم لعدة صفحات في مدحهم والثناء عليهم لما استطعت أن ترضيهم مادمت قد أغفلت ذكر هذا اللقب . ولن يحمد لك أكثرهم الا أن تلقيه بتلك « اللازمة » التي يحبها جهده . والى القارئ اسماءهم — مجردة عن الالقاب — وكلهم أساتذة أفاضل ولنسنا نقصد بهذه الكلمة الا المداعبة البريئة وحدها

داود بركات	شيخ الصحافة	محمد فريد و جدى	المصلح الكبير
أصحاب المقطم	حضرات الدكاترة الأفاضل	محمد الهياوى	الشاعر اياه
ظه حسين	زعيم التجديد	مى	الآنسة الزبينة
شوقى	أمير الشعراء	سلامة موسى	الكاتب الجرى
خليل مطران	شاعر القطرين وحامل اللوائين	صاحب الاخاء	صديق تولستوى
حافظ ابراهيم	شاعر النيل	صاحب المصور	صديق دارون
احمد زكى أبو شادى	شاعر التجديد	كامل كيلانى	صديق أبى العلاء
عباس محمود العقاد	العبقرى الجبار الذهن	محمود أبو العيون	المصلح الاجتماعى
صادق غنبر	العالم المعنوى الكبير	حسن الغناياتى	الشاعر اللبى
محمد انصاروى	شاعر الطفل	محمد محمود صادق	شاعر الشباب
مصطفى صادق الرافعى	نثر البيان وحارس	أحمد رامى	« « »
شكيب أرسلان	لغة القرآن	سيد ابراهيم	زعيم الخط العربى
	صاحب العظوة أمير البيان	فاطمة رشدى	صديقة الطلبة

« عن مجلة الاخاء »



(١)

قصيدة ابن زيدون

ما للندام تديرها عينك فيميل في سكر الصبا عطفك
هلا مزجت لعاشقك سلافها ببرود ظلمك ، أو بعذب لمك
بل ما عليك — وقد عصفت لك الهوى — في أن أفوز بحظوة المسواك
ناهيك ظلماً أن أضرب في الهوى برحاً ، ونال الأبر ، عود أراك

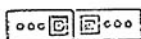
وأما لعطفك والزمان كأنما صبغت غضارته ببرد صباك
والليل — مهما طال — قصر طوله هاتى — وقد غفل الرقيب — وهناك
ولطالما اعتل التسميم فخلة شكوى رقت ، فاقضت شكواك
إن تألفى سنة النوم خلة فلطالما نافرت في كراك
أو تحتى بالهجر في نار القلى فلكم حلت إلى الوصال حباك

أما منى نفسى ، فأنت جميعها يا ليتنى أصبحت بعض منك
يدنو بوصلك — حين شط مزارع — وهم أكاد به أقبل فاك
ولئن تجنبت الرشاد بغدرة ثم يهوى فى السعي غير هواك
للجهورى أنى الوليد خلائى كالروض أضحك الغرام الباكي
ملك يسوس الدهر منه مهذب تديره لك خير ملاك
جارى أباه — بعد ما فات المدى — فسله بين الفوت والادراك
شمس النهار وبدره ونجومه أبناءه من فرقد وسماك

(١) طلب إلينا أديب كبير أن ندله على قصيدة ابن زيدون التى فيها قوله
أما منى نفسى فأنت جميعها يا ليتنى أصبحت بعض منك
يدنو بوصلك حين شط مزارع وهم أكاد به أقبل فاك
ونحن نشرها له ولفائدة القراء

يستوضح السارون زهر كواكب
بشراك يا دنيا، وبشرانا معا
صنع الضمير إذا أجال بمهرق
نظم البلاغة في خلال سطوره
نادى مساعيه الزمان منافسا:
ما الورق بجناه سامره الندى
كلا ولا المسك النجوم أريجحه
اللهو ذكر ك ، لا غناء مرجع
طارت اليك بأوليائك هزة
يا أيها القمر الذي لسنائه
فرح الرياسة إذ ملكت عنانها -
من قل إنك لست أوحده في النهى
والصالحات فذان في الاشرار

قلدى رأى الجليل فانه حسي ليوى زينة وعراك
وإذا تحدثت الحوادث بالمدنا سرراً إلي، فقل لها : إياك



الشفق الباكى

للدكتور أبى شكايدى

شعر، ونقد، وأدب عام

يقع هذا الديوان العصري الحافل في ١٣٣٦ صفحة جامعة
لثبات القصائد والمقطوعات المتنوعة. وهو مطبوع بالشكل
أفخر طبع ومزدان بطائفة من الصور والدراسات القيمة،
ومجلد بالفن الأشرف تجلياً نفيساً. ويطلب من المطبعة السلفية
بالقاهرة، ومن جميع الكنائس الشهيرة في مصر والعالم العربي، ومن مكتبة
لوزا في لندن. « ثمة عدد عرود قرأه في مصر في شهر »

تيوسيديد

المؤرخ العظيم

بقلم الأستاذ أبي «مصطفى»

ولد «تيوسيديد» سنة ٤٦٠، وتوفي سنة ٣٩٥ ق. م. وهو من أسرة موسرة متصلة
ببيت الملك في تراقا وقد ورث عن أبيه أملاكاً واسعة ومناجم للذهب في هذا الأقليم
وانتخب قائداً في ٤٢٤ ق. م. وكلف بحماية سواحل تراقا بأسطوله، ولكنه وصل
متأخراً فسقطت في يد الفاند الاسبرطى

فاتهموه بالحياة فاعتزل عمله وهجر البلاد ومكث بعيداً عنها نحو عشرين سنة كتب
غرضها تاريخ حرب البلوبونيز، وزار بنفسه البلدان التي حدثت فيها الوقائع الهامة
وعاد إلى أثينا سنة ٤٤٠ ق. م. بعد أن استولى عليها الاسبرطيون، ومات سنة ٣٩٥ ق. م.
موتاً جنائياً، وقد يقال بأن جماعة من اللصوص فتكروا به وهو عائد إلى تراقا

أما مؤلفه التاريخي فقد نهج فيه منهجاً فلسفياً لا اعتقاده أن للتاريخ قوانين لا يحد
عنها، فبحث في أسباب الحوادث وتعرف أخلاق الأفراد والشعوب وتكلم في المواضيع
الجغرافية ونظام الحكومات وقوة البلاد الحرية وحالتها المالية وفي العلاقة بين ذلك
وبين الحوادث التاريخية

واستنتج أن المنفعة كثيراً ما تحدد الناس إلى تخلى الحق وانتهاك حرمة الفضيلة
وكان خبيراً بالسياسة عالماً بالحروب، ويمتاز عن غيره بأنه كان لا يكتب شيئاً إلا بعد
أن تثبت منه مناقشه، بعدل ونزاهة مناقشة خالية من الغرض، فجاء تاريخه موثق الأخبار
صادق الرواية حسن الترتيب

وإذا كان «أكاتيه» أول من فكر بعض التفكير في أن يناقش بعض الحوادث
التاريخية فإن «تيوسيديد» أول من عرف كيف يضع لمناقشة الحوادث وتمحيصها
قوانين لم يحد عنها قيد شعرة كما أسلفنا، ووصل يحثه إلى درجة يشكره عليها كل

مؤرخ منصف، ويرى القارىء - خلال حوادثه - الطبيعة مرتسمة خالية من كل تكلف عارية عن كل صقال وزينة، ثم إنك لتجد الأشخاص الذين يسردهم لك فى التاريخ يفصحون عن خواجهم بوضوح تام فتأثر بأقوالهم كما لو كنت معاصريهم، وتراه يشرح لك بعض الخواج النفسية كالنفاق مثلاً شرحاً بيّنه لك مجانساً لما تشاهده فى أخلاق معاصرينا، وهو فضلاً عن ذلك يتدفق يراعه حكمة وانصاف حين يقص عليك نبأ من الأبناء فتلح فيه الصدق وصفاء الذهن الفياض مما يجعل أعظم المؤرخين العصريين حقيقاً بدرسه والاستفادة منه !

وإذا شئت فأتى أحيلكم على وصفه للطاعون فى أثينا فيما لا يتعدى الخمس صفحات وما أوضحه فيه من اضطراب النظام وتحليله الفسيولوجى الدقيق الذى يحسده عليه الطبيب الماهر بأسلوب يعلننا كيف تؤثر الصدق والبساطة فى التعبير على غيرهما، ولقد ترى فى كثير من أوصافه كيف أن طبع الإنسان واحد لم يتغير - رغم اختلاف الأزمان والبقاع والظروف - وكيف أن طباع وغرائز الآتينين فى ذلك الوقت شديدة القرب جداً من طباع ساكنى لندن وباريس اليوم

ويقولون إن « تيوسيديد » سمع « هيرودوت » المؤرخ الشهير يشرح بعض حوادث التاريخ وكان الأول غلاماً فبكى شغفاً بما سمع وهام بالتاريخ هياماً، وقد أخبر « هيرودت » أباً « تيوسيديد » أن ابنه سيكون مؤرخاً ذاشأن، وقد صدقت نبوءته، وكان شغوفاً جداً بهيرودوت المؤرخ

ولقد يذكرنا ذلك بالشاعر « أبى نواس » حين كان صغيراً وكان جد شغوف برؤية « والبة ابن الحباب » الشاعر الذى كان ذائع الصيت فى عصره، حدث أن أباً نواس اضطرت به الحال بعد موت أبيه وهو صغير أن أسلمته أمه إلى عطار، واتفق أن والبة ابن الحباب تدم الأهواز فمر بذلك العطار فلقي أباً نواس فتوسم فيه التباهة لصباحة وجهه، ولما جالسه أنس فيه قريحة وقادة، فقال له: إن فىك مخايل أرى ألا تضيعها وستقول الشعر، وعرفه بنفسه ففرح بمعرفته أبى نواس وكان ما قال والبة

نرى أمثال هذه الحكايات غالباً فى تاريخ حياة النوايع والعظماء، وعندى أن هذا الشغف الذى يلزم الصبي - منذ نشأته - بأى فن من الفنون، هو وحده آية نبوغه

في مستقبل حياته، وأنت تجد النابغ يميل من صغره إلى سماع أقوال العظماء وتقدير أعمال النوابغ أمثاله، ولكنه يفرد بالاجلال والا كبار النوابغ في الفن الذي شغف به

وهذا الشغف الذي بدا على «تيوسيديد» وأبي نواس بما نبغا فيه، هو وحده الدليل الذي استدل به هيرودوت وابن الجباب على مستقبل كل منهما من تليديهما !

لقد ملا هيردوت أسفاره بكثير من الأحاديث والكلمات الخالدة التي فاه بها أبطاله فوق مسرح التاريخ أما «تيوسيديد» فكان أول مبتكر لسلاسل الخطب الطويلة الشأن التي عابه عليها المعاصرون ولم يقره عليه بعض القدماء — منذ خضعت أثينا لسلطان روم — فالشأن في الأمم المستعبدة أنها رهن إرادة السيد الأمر، على أن الأمر في الأمم الحرة يرجع إلى قوة الحجية ونصاعة البرهان وأثرهما في أقناع الناس

كانت الخطب البقية الشؤون بعصر تيوسيديد، فيها استطاع الزعماء أن يسوقوا جوع الأمة إلى أقرارهم على إعلان الحرب وعقد السلم ومد يد المخالفة

وكان لها الأثر الأكبر في إحلال العقاب بالمجرم الأثيم وتسريح المتهم البريء، أما رنينها في مسامع الجند حين يخطبهم قوادهم فكان الأثر الدافع لهم على خوض غمار الحرب، غير هيايين، وكانت أكبر مؤثر في التاريخ، وأنه لحق أن «تيوسيديد» لم ينقل الخطب كاملة كما قيلت، بل نقل ما حصل عليه منها أو على الأقل ما فيها من النقط الهامة، على أنه حين تعذر عليه سماعها ضن بكرامة فنه أن يقررها في كتابه !

وأنه لجليل ما اهتدى اليه (بيرو اليانكور) خلال بحثه وملاحظته الصادقين : من بعد نظر «تيوسيديد» في إدخال هذه الشؤون البديعة في تاريخه فقد رفعت قدره ولقد أصاب إذ رأى أن المحاضر يستطيع أن يتبع الفكرة ولا يخطئها لطول الحديث وتعدد مناحيه وكثرة الأفكار، وعجيب أن تعلم رأيته في الحوادث الهامة وفي أبطال تاريخه فقد استشف برأيه الثاقب حقائق كثير من المسائل السياسية الشأن وهذا هو الذي ميزه على كثير من المؤرخين، ولقد اعتبرت خطابات «تيوسيديد» شيئاً تكملياً لعمله التاريخي أطولها ولا مراما وسعت كثير من الأشياء التي لا حاجة بها فان رغبته في أن يدون كل الآراء التي علم بها قد أرهقت أسلو به ولم تسع كلماته معانيه

هذه الخطابات الغنية بمعانيها الفقيرة بالفاظها ومبانيها كانت في خفاؤها وغوضها

يحيث تعذر على كثير تتبع أفكار تيو سيديد واقفاء أثرها، ولذا لم يكن عجيبا أن شيترون رأى فيها كثيرا من الآراء التي عجز عن ادراكها وتفهمها
وليس السبب في خفاء آرائه راجعا الى الالفاظ غسب، ولكن للاضطراب في
الوضع أيضاً، فقد ألع بالمجاز الذي أباه كثير من متقبي اللغة في اليونان والذي ذهب بهاء
معانيه، ولطالما ألع باستعمال الأساليب الشعرية الغنائية فتعذر على القارئ أن يتبع
رأيه. ولقد تملكه حب استعمال كثير من الكلمات الدفينة واستحداث كثير من التي لم
تعرف وادخاله في النثر أساليب الشعر

وان اقتناعه بعظمة الموضوع الذي يكتب فيه قد قاده الى الاغراق في استعمال كثير
من الأساليب والنثر اكب الغامضة، معتقدا أن جمال الشعر ورفعه بما يلائم تمام الملاءمة
فخامة موضوع كتابه (صفة لصقة، بنفسه فعلقت بكتابته)
وأنه ليرأى في أسلوبه جافا لشدة رغبته في أن يلقى في روع سامعه المعنى الذي
يريد، فهو جد مكث من الكلمات الدالة على النغم، وهو لا يرضى أن يغفل في كتابته
رنين الأسلحة وصراخ الجند وعجيج الجموع الهائلة!

« المقارنة بينه وبين هيردوت »

وان هيردوت لم ينل ذلك التفضيل من نفوس كثيرين إلا لأنه يجهد نفسه في امتناع
القارئ، على أن الراغبين في اجتهاد رؤسهم في التفكير لا يحجمون عن تفضيل تيو سيديد
وان غرامديموستين بتيو سيديد قد دفعه الى نسخ تاريخه ثمانى مرات بيده اذ رأى
أكبر مقتدر على الابانة عما في نفسه فصاحة عجز الكثيرون عنها
كتب بعضهم في عام ذكره « ليست فصاحة تيو سيديد كما ذهب اليها شيترون في
كتابته عنه، جد ملائمة لفضاء دور القضاء ولم تكن لتنال الاثر الكبير في
الجمامع العامة، ولكنها قدر الخطيب الذي يجد الوسائل المتعددة التي تستهض الفكر
وتعين على تحسين قواعد الفن! »

وان تيو سيديد بين جميع المؤرخين - الرجل المطاع بين رجال الامة الواحدة التي
يطمع كل رجل منها أن يكون يوما مديرا لدفة حكومته»
وان مندوبان كبار نواب الانكليز لم يتردد أن اعلن في غرفة البرلمان أن من العسير

جدا أن يلقي سؤال أو يعرض مشروع على هيئة التشريع لا لترسم فيه شعاعا من نور تيوسيديد

وان شار لكان — أكبر سياسي في عصره — قد درس ترجمة تيوسيديد الفرنسية (لبيسيل) واصطاحبه معه في كل رحلاته الحربية ، شأن الاسكندر في اصطحابه ديوان هو ميروس في معامع فتوحاته

ولم يضع مجهود تيوسيديد ولم يعجز معاصروه عن الحصول على مسودة كتبه التي سقطت مصادفة في يد فرد كفء قدير هو (زينوفون) المؤرخ والكاتب الحلو الحديث وان كان يشوبه شئ من الضعف، على خلاف تيوسيديد ذلك المنافس الخفيف والمناظر المتصغر ولقد كان في وسعه أن يخفي اسم تيوسيديد الى الابد ولكن شيئا من هذه الهواجس لم يدخل نفس (زينوفون) فلقد قنع ان يشيد بناء مجده على نشر قطعة من التاريخ خالدة عجز عن محاکمتها غير أنه رضى بنشرها وتخليدها



واذا نظرنا الى العصر الذي نشأ فيه تيوسيديد عرفنا السبب الذي جعل له هذه المكانة وادركنا ان الجو الذي نشأ فيه كان جو قادة ومفكرين وأن عصره كان عصر نوابغ، وحسبنا ان نقول انه هو ومن عاصره من النوابغ والعظماء كانوا نتيجة طبيعية لازمة لعصر زاهر كعصر بركليس الذي وصلت فيه ائينا الى ذروة المجد وعلا كعبها في العلوم والمعارف بعد انتصارها الباهر على الامة الفارسية ، وأشهر معاصري تيوسيديد من العظماء هم : اسخيلوس وسوفوكليس وافريبيدس من الشعراء، وسقراط الفيلسوف وبقرات الطيب واريستوفانس الكاتب وليسياس الخطيب، ولكل واحد من هؤلاء أثر في فنه شبيه بآثار الآخر. ويمكن ان يقال عنهم بالاختصار: ان كل واحد منهم قد ابتكر نوعا هاما في فنه وجاء فيه بشئ جديد لم يكن من قبل وإني أفتكم بإسادة الى أن سقراط هو أول من قلب نظام التفكير والفلسفة في اليونان وأوجد طريقة التفكير فيما يكفل الانسان سعادته الحقة ، طارحا كل ماعى به متقدموه من الترهات

وتيوسيديد هو أول من ابتكر نظاما وقوانين خاصة بالبحث في التاريخ وجعله

خاضعا للنقد والبحث والتحصيل — كما أسلفنا — وهو يمتاز عن هيردوت بأن الثاني يكثر من قصص الحوادث عليك بأسهاب، بينما نجد تيوسيديد يوجز الإيجاز كله فيما يقول دون أن تفلت منه نقطة هامة وهو يفكر أكثر مما يقول، فيضطر المطلع على تاريخه الى التفكير أكثر مما يقرأ

وقد كان بودنا ان نعقد مقارنة شاملة بين هيردوت و تيوسيديد، ولأأس من تركها الآن ولقد عاب بعض المؤرخين المحدثين على المؤرخ تيوسيديد شيئا واحدا وشاركهم في رأيهم بعض المؤرخين القدماء، وهو ذكره الخطب أثناء سرد حوادث التاريخ كما أسلفنا، ويمكن أن يدفع عنه هذا الانتقاد بأن ذكر الخطب التي تقال في عصور الاستبداد والظلم ليس فيه فائدة لأن كلمة واحدة يقولها الحاكم في تلك العصور كقيلة أن ينفذها الشعب المستعبدون تردد أو مقاومة، فاما في عصور الحرية فان الرأي العام، رأى الشعب، يكون دائما صاحب الكلمة النافذة المسموعة، فلا يمكن أى قائد أو حاكم أن يحرك دقة الشعب أو يهيم على الجمهور إلا بالخطب البلاغية الملائم بالتأثير الخطابي والسحر، لذلك كانت أمثال هذه الخطب قيمة باعثة في القارىء نشاطا، ولا شك أن الخطب التي نقلها الينا تيوسيديد في مؤلفه جاءت مختصرة ملائمة بالمعاني الجلية والأغراض السامية وهو لم يدونها بحذافيرها كما قد يتوهم بعض الناس، ولكنه كان يعرف خواها ثم يعمل على تلخيصها والبيان بأهم النقاط التي يركز عليها الكلام، ولم يشأ أن يقطع على القارىء سلسلة الحوادث بملاحظاته لعله بأن تتبع الحوادث التاريخية المرتبطة ببعضها أمر طبيعي أسباب الحرب البلوبونيزية (بأيجاز)

أولا: دسائس الفرس للتفريق بين اليونانيين

ثانيا: غيرة اسبرطة من نهضة اثينا الأدبية والسياسية

ثالثا: نفور مدن التحالف من اثينا لمعاملتها معاملة السيد للسود

رابعا: تذمر النوريين أهل ميغارا وكورنثة من تعطيل تجارتهم بمنافسة أثينا

هذا وإذا عرفنا طبيعة الأمة اليونانية الجلية المبالة إلى الشغب وعلمنا أن السبب القوي

الذي كان يدعوهم إلى التكاثر — وهو حربيهم مع الفرس — قد زال، سهل علينا ادراك

أن شوب تلك الحرب كانت نتيجة طبيعية لهذه المقدمات، ولا بأس من الكلام قليلا

على النقطة الثانية، وهى غير اسبرطة من نهضة أثينا الأدبية والمناقشة السياسية بينهما التى بدأت من سنة ٤٣١ إلى ٤٠٤ ق م

وكان كلاهما يطمح فى أن ينفرد برعامة الأمم الأغريقية، وكان ثمة عدو ثالث شديد الخطر على أثينا، وهو كورثه التى رأت أن مصالح أثينا واتساع تجارتها كانت مرتكزة عليها وعلمت أنها تضحي بثروتها فى سبيل انماء ثروة أثينا — وهى لا تنتفع نفسها بهذه التضحية — بينما تجد أثينا نفورة تياهة متعطسة عليها، وكان أهل طيبة يكرهون الاثينيين أشد الكره ويتحينون كل فرصة للانتفاخ بها فى القضاء على أثينا التى كان لها اعداء آخرون عديدون ينفسون عليها قوتها ويودون لوسخوها سحقاً

وأول شرارة بدأت فى شبوب هذه الحرب هي المنازعة التى قامت بين أثينا وكورثه وأفضت إلى إرهاب الثانية وتدهورها فتظلم الكورثيون إلى اسبرطة وعصدا الأخيرة كثير من البلويون يزيين الذين أسرعوا إلى مخالفتها وشنوا جميعاً الغارة على أثينا وكان سبب هذه الشرارة الأولى هو أن كورثه لما همت بتأديب جزيرة كورسيرا مستعمرتها التجأت هذه إلى أثينا لما علمت من قوة كورثه وأدركت أنها لا تستطيع مقاومتها، وأرسلت وفداً يستجد بأثينا، وخشى الكورثيون أن تحالفها أثينا فبعثوا وفداً آخر ليعارض أقوال وفد كورسيرا

وارتجل كل منهما خطبة — غاية فى السلاغة — وعقدت أثينا بعد ذلك جلسيتين للتحكيم والنظر فى ماقاله كل من الفريقين، تخمكت لكورثه فى الجلسة الأولى، ثم نقضت حكمها فى الجلسة الثانية، ورفضت مخالفتها وأعلنت قبولها محاكمة كورسيرا، فاضطرت الثانية للالتجاء إلى اسبرطة التى شدت أزرها وبدأت تلك الحروب الطاحنة التى انتهت بأنهاء قوة الاغريق والتى لم تسكد ننتهى حتى أغار على بلاد الاغريق الملك النادض فيليب ملك مقدونيا الناهضة وأبو الاسكند المقدونى

وانى أتقل الآن إلى هاتين الخطبتين النفيسين، وسترون صدق ذلك حين تسمعونهما وتجدون كيف كانوا يؤدون المعنى بأسلوب سياسى خلاب يصعب على الناقد البصير أن يجد فرقاً كبيراً بينه وبين الأساليب السياسية المحاضرة وما يسمونه لغة السياسة

اليوم، وهما حافلتان بالنقط الهامة، وإنى أجتزئ. الكلام اجتزاءاً وألفتكم إلى تذكير كورتة لاتينا في خطابتهما أدته اليها من الخدمات الجليلة في معاومتها في كثير من الأحيان. على اخضاع مستعمراتها واختادشكواهم وتسألها في نظير ذلك أن تطلق لها الحرية في تأديب مستعمرتها كورسيرا كما أطلقت لها الحرية في تأديب مستعمراتها النائرة من قبل. وإنى أسألكم: اليس هذا هو ما تتبعه الدول القوية دائماً في إخماد شكوى مستعمراتها — تنافى كل واحدة منها عن أعمال الأخرى في نظير أن تنافى الثانية عما تأتيه الأولى من الجور والعسف

وهكذا كان يقسم الأقدمون البلاد بنفس الطريقة التي لا يزال يتبعها المتمدنون المعاصرون، ولا غرو فإن الطابع البشرية لم تختلف عما كانت عليه منذ آلاف السنين وهي لا تزال كما كانت خاضعة للطمع والجشع

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم واليكم مثلاً ما فعله الرومان مع قرطاجنة فيما قاله العلامة مونتسكيو في كتابه «عظمة الرومان» وهو لا يختلف عما نجده الآن

وسترون في خطابتها أيضاً نغمة بين كلاهما لا تقل عن هذه أهمية في الدفاع عن نفسها فيما اتبعتها به الكورسيريون من العسف والظلم، إذ تشهد أولاً على حسن سلوكها وسوء سلوك كورسيرا بأن جميع مستعمراتها على وفاق تام معها، وأنهم يحبسها ولم يندعن ذلك إلا كورسيرا وذلك يدل على سوء سلوكها الشاذ

و تعتذر عن استعمالها القوة مع كورسيرا بأنها وجدت من غطرتها واعتدائها المتواليما اضطرها إلى ذلك، ثم تقول: «ولو كنا بادئهم ألم يكونوا جديرين بأن يرشدونا بالحسن والأناة؟ إنهم لو فعلوا ذلك إذن لاضطررنا إلى الاعتذار عن خطئنا» وهاتان النقطتان نجد ههما واضحتين في أعمال الأمم القوية دائماً

أولاً: إذا ثارت مستعمرة على حاميتها تطالب منها الحرية برفق وأناة فإنها لا تصيخ اليها وتستعمل القوة في إخمادها

فإذا اضطرت المستعمرة أيضاً إلى استعمال القوة مع حاميتها وجدت من الأمة الحامية مثل هذا الجواب وهو «لقد كانوا جديرين أن يرشدونا بالحسن والأناة لا بالعنف والغطرسة

ثانياً حينما تناقشتها الأمة المحمية الحساب أمام آخرين تجد الأمة الحامية تستشهد على حسن سلوكها معها برضاء جميع الأمم الأخرى عنها وحبها إياها وتقول أن هذه شاذة عن بقية المستعمرات ولو ثار سواها من تلك المستعمرات التي تزعم الأمة الحامية أنها بمن يحببها لكان اعتذارها واحداً لا يتغير وهو أن هذه مستعمرة شاذة وهكذا كان شأن كورنثي قديماً ، شأن كل قوى في الماضي والحاضر

واليكم خطبة الكورسيريين

أيها الأثينيون : إن أمة لم تسد إلى جاراتها خدمة ولم تمنحهم يد المساعدة في الماضي ولم تحالف أحداً منهم قط ولم تسد اليهن صنيعاً يمكن أن تذكرهن به حين تستصرخن وتسألن مساعدتها فيرددن إليها الاحسان بالاحسان ، إن أمة لم تفعل شيئاً من ذلك جديرة ، إذا هي وقفت أمام أحد هؤلاء المستمرخين كما تقف نحن أمامكم الآن نطلب منكم النجدة والمساعدة أن تبرهن لهم أمرين أساسيين : الأول أن تثبت لهم أن مساعدتهم إياها نافعة ومجدية أو على الأقل غير ضارة بمصالحهم والثاني : أنها ستحتفظ لهم بعرفان جميلهم وأنها لن تساهلهم مادام فيها عرق نبض فإذا أخفقت الأمة المستجدة في تقرير هاتين النقطتين وإثباتهما فلا تحزن إذا خاب ملتمسها ورجعت بالفشل

وقد عرف الكورسيريون أنهم — حين يطلبون منكم المساعدة — قادرين على تقرير هاتين النقطتين تقريراً ، وبهذه الثقة أوفدونا إليكم — فنحن نشعر أن سلوكنا في الماضي يجب أن يبدو لكم أنه كان منافياً للعزم ويجب أن نحسن أن هذه الأزمة الحالية قد جعلته مضاداً لمصالحنا ، فنحن الذين ضنا بمحالفتنا على كل الناس ولما منحنا أحياناً في الآن وقف أمام غيرنا طالبين منهم المحالفة .

لقد كان ذلك المذهب السياسي الأول الذي كنا تتبعه هو سبب عزلتنا عن الناس في هذه الحرب الحالية ضد كورنثي ، وقد بدا لنا جلياً أن إحجامنا عن مشاركتهم في حروبهم التي اقتحموها ومساعدتهم في خوض وقائع لاعلاقة لنا بها ولا فائدة لنا منها كان رأياً مأفوناً ملؤه الخطل وضعف الرأي

ونحن وإن كنا - منفردين - قد قهرنا الكورثيين بقوانا لحسب ، فأتانا فزاهم
يزدادون زيادة مروعة ويجمعون قوى عديدة مختلفة من أرجاء يلوبونيزيا وباقي
البلاد الاغريقية بحيث لا نستطيع مقاومتهم بقوانا وحدها ، وأنها ستكون الطامة
الكبرى إذا فازوا باخضاعنا فاضطرتنا الحاجة الشديدة إلى استصراخهم واستصراخ
كل أمة يونانية أخرى مؤلمين منكم الصفح الجميل عن ذلك السلوك الأول المضاد
لسلو كونا الحال والذى نشأ عن خطأ فى الحكم وليس عن سوء نية

فاذا اقتنعتم بوجوب مساعدتنا فانكم بلا ريب مهترو بعضهم بعضاً للأسباب الآتية
أولاً : أنكم تمدون يد المساعدة لأمة ترزح تحت أعباء الظلم دون ان تقرتف إثماً
ثانياً : ان كل ما تملك الآن من قوة وبأس قد اصبح تحت خطر هذه الحرب الحالية
وإنكم إذ اصرختمونا فى مثل هذه الأحوال العصبية مكنتم لكم فى قلوبنا شكراً
يبقى أبدي الدهر

ثالثاً : اننا إذا استثنينا قوتكم وجدنا ان قوتنا هى الأولى بعدكم فى «هيلات»
قدروا ذلك منصفين ، ألا ترون كم تكون هذه الفرصة قيمة ونادرة الوقوع
وهل ترون أنكم لعدوكم من أن يرى قوتنا الحرية العظيمة النادرة تقدم نفسها
لكم بلا اجر وبدون مقابل طائعة مختارة - ولها مثل هذه العدد الحرية العديدة المروعة ،
وتجعلكم تظهرون امام العالم اجمع بمظهر المنتصر لأمة مهضومة الحق ، والقوى من فاز
فى حرب عظيمة كهذه

تقبوا كل حوادث من مضى بانعام واثارة ، تقبوا فان صفحات التاريخ امامكم وانا
الكفيل بانكم لن تستطيعوا العثور على مثل هذه المعاهدة الفائزة التى يكتسب منها
المحالف المساعد من المستنصر به كل هذه المزايا والفخر دون ان يعرض نفسه لخطر
او ينفق شيئاً

ولكن قد يحسب احدكم أن تقع هذه الحرب مقتصر علينا فاذا اعتقد أحدكم ذلك فهو
جاهل لا ينظر إلى ابعده من انفه وهو غافل عن ان لسيد من La cedemon ينظر إليكم
بعين ملؤها الحقد والغيرة ، وأن كورثة القوية تطلع اليكم وهى عدوة لدودة وتحاول
لخضاعنا اولاً ليكون ذلك سبيلاً يهد لها اخضاعكم فيما بعد وهى تسعى لذلك

جهدها وتتخذ طريقة إيقاع العداوة يتناوينكم حتى لا تنضم اليكم ثم هي بعد ذلك
شارعة في احد امرين

إما أن تسحق قوتنا سحقاً ثم تشرع في سحق قوتكم بعد ، وإما أن تضمنا
اليها للقضاء عليكم

فواجبنا حينئذ أن تكاتف معاً وأن نرسم الخطط التي يجب علينا اتباعها
أزاء ذلك ، ثم نبدأ بمهاجمتها قبل أن تبدأ هي بمهاجمتنا أولاً ، فنشتغل بالدفاع عن أنفسنا
مضطرين ، فإذا احتجت على تحالفكم معنا بأننا مستعمرة من مستعمراتها وأن ليس لكم
حق التدخل والمخالفة فلتعلم كورته ان كل مستعمرة تعامل معاملة عادلة تخدم حاميتها
التي تنتمي اليها ، ولكنها إذا عوملت معاملة سيئة فإنها بلاريب تصبح غريبة عنها لعسفاً .
فان المستعمرة لم تخلق لتعبد بل لتعامل معاملة الند للند والقرين للقرين وغنى عن البيان ان
كورثة قد أرهقت ارهاقاً فأنهم وضعوا أهل أيديمنس تحت الأحكام العرفية عاملين
على إخماد شكواهم بالحرب بدلاً من إخمادها بوضع مخالفة عادلة

ألا وليكن سلوككم معنا على ما يتناوينهم من قرابة — مثلاً طيباً لكم يمنعكم من
الوثوق بهم والانخداع بكلامهم اللين ، ولتعلموا أنكم كلما ازددتم عنهم بعدا كلما كنتم أقرب
إلى السلامه والامن ، فإذا اعترض عليكم بأن قبولكم مخالفتنا بعد خرقاً للمعاهدة التي
بينكم وبين لسيد من Lacedaemon فانا نجيب على هذا بأننا أمة محايدة والمعاهدة صريحة
النص على أن لاى أمة محايدة حق الانضمام إلى أى جانب تشاء

وانه لمن الأشياء التي لا تطاق أن يسمح لكورثة ان تضم اليها ما تشاء من قوى
عديدة دون أن تقتصر على قوى حليفاتها فحسب ، بل تتعداها إلى جميع قوى « هيلاس »
فتجمع منهم عدداً عظيماً بينما أنتم تحرمون من ضمنا اليكم والارتفاع بقوتنا مع أن نص
المساعدة صريح في جواز تمتعكم بانضمامنا اليكم وانضمام قوى أخرى غيرنا

ولئن رفضتم مخالفتنا — نحن المخلصين لكم — وساعدتم الكورثيين أعداءكم الذين يتمنون
تدميركم في أقرب فرصة فميكرون ثم مجال واسع لتألمنا منكم ولنا الحق في ذلك
كيف ؟؟ أتحالفونهم ثم لا تتصرفون بعد ذلك على منحهم المخالفة بل تتعدون ذلك إلى

اعطائهم ما يلزمهم من العدد والذخائر التي يطلبونها منكم - وهم أعداؤكم ومحالفو أعدائكم -
وتخلون عنا نحن الذين لم يسيئوا اليكم قط

لكم منا أن نقسم وأن نثبت لكم محالفتنا إياكم إثباتاً لا يجعل مجالاً لاحتمال الشك.
وإذ بينت لكم الفوائد العديدة التي تكتسبونها بمحالفتنا في أول خطبتنا فاني أزيدكم
وثوقاً بما قلت فأقول: هل تثقون بشيء أكثر من أن نحالفكم بحالفة تمحو كل فرق
بيننا فيصبح عدو آئينا عدونا وتصبح قوتانا على أهبة واستعداد لمحاربة كل خائن ومعاقبة
كل معتمد، إذن فتعلموا على أن لا تبقوا أية قوة بحرية خلافاً لقوتكم وقوة من يحالفكم.
فاذا فعلتم ذلك أحرزتم صداقة القوى البحرية العظيمة التي ترغب حينئذ في الانضمام
اليكم حتى لا تمنع من وجودها في البحر - إذا أقررتم ذلك وخاف أحدكم أن يكون
في ذلك خرق للمعاهدة فاني يجيبه على هذه النقطة

تقرير مبدأ الحق للقوة

فلأن تخرقوا المعاهدة واتم اقوياء مرهوبو الجانب والسطوة تحالفاكم جميع القوى
خوفاً ورعباً خير لكم من أن تتبعوا نصوص المعاهدة دون أن تحيدوا عنها قيد
شعرة واحدة وأنتم ضعفاء لينوا الجانب تطمع فيكم القوى العديدة فيجر ذلك الظلم
إلى حربكم وقهركم

ومتي كنا معكم فانكم تكونون اقوياء مرهوبو السطوة، فاذا فقدتمونا فقدتم قوة
عظيمة تجر إلى وهنكم، ولا تسوا ان مصلحتكم في محالفتنا لا تقل عن مصلحة كورسيرا
في محالفتكم، وانكم لن تكونوا قد قتم لآئينا بفروض الخدمة والوطن التي يحتتمهما عليكم
واجبكم إذا لم تتخذونا عدة لكم وعوناً تدروون به حرباً منتظرة قريباً شوبها وليس
فيكم احد يجهل ولا منا وقوتنا وكفائتنا واستعدادنا لخوض غمار تلك الحرب
معكم، واني مختصر خطابي بالكلمة النهائية الموجزة لأريكم فيها شدة ما يصل إليه
حق وجهل من يضجى منكم كورسيرا في هذه الحرب الحالية، دون أن يستفيع بقوتها.

فتعلموا علم اليقين ان في هيلاس ثلاث قوى عظيمة وهي آئينا و كورسيرا
وكورثة فاذا سمحتم لتستين من هذه القوى ان تجتمعا وضمتم كورثة اليها فانكم

ستواجهون اساطيل عديدة لكورسيرا ويوليو نيزيا ، اما اذا حالقتمونا فستكون معكم سفنتا تعززكم في المعركة وتصركم على اعدائكم

خطبة الكورثيين

أما والكورسيرون لم يقتصروا على طلب محالقتهم فحسب، بل تعدوا ذلك إلى اتهامنا بالظلم والعسف، وأبدوا لكم أننا أرهقناهم في حرب طاغية بحجة لاحظ لهم فيها، فإن علينا أن نبدأ في مناقشة هذه التهم بادی. بدء ثم نتطرق إلى ما جئنا بصدده ونوضحه لكم توضيحا حتى تثق من أننا قد كونا لكم فكرة صحيحة وعقيدة ثابتة عنا وعنهم، بحيث لا ترددون لحظة في تخييب ملتئمهم ولكي تكون لكم مندوحة لرفض ماسألوكم فيه — محققين فيما تعملون عادلين في ردهم خائبين — ذلك واجبنا الاول الذي نبدأ بشرحه وتبينه . واليكم برهاننا

أما عن اعتذارهم عن سياستهم الاولى القديمة التي اختطوها لأنفسهم من ميلهم لرفض كل تحالف مع غيرهم من الامم فانها كانت سياسية ظاهرها الاعتدال والحزم وباطنها الخبث وسوء النية ، وذلك لانهم كانوا لا يعربون عن مخالفة سواهم إلا خشية ان يطالع على ما يرتكبونه من عسف وإرهاق واستبداد مع غيرهم من الامم المرهقة وحتى لا يتجلبهم حلفاؤهم اذارأوا منهم أمثال تلك الافعال المخزية. والكورسيرون — على منعة موقعهم وحسن مركزهم الذي يكفل لهم الاستقلال بانفسهم عن مساعدة الآخرين ويساعدهم على أن يكونوا الخصم والحكم للأمم المجاورة التي تضطر إلى تحكيمهم في شئونهم إضطراراً — تجدهم قلما يبحرون إلى سواهم من الامم، بينما تدفع الحاجة غيرهم من الامم بحكم المصادقات ان تعرج عليهم فيزورهم كثيرا من الامم القريبة عنهم، والآن وقد انتهينا من تقرير أسباب تألمنا وجشع خصومنا وسوء نيتهم وأثبتنا ذلك بالحجة والبرهان ، فإن علينا أن نوضح لكم نقطة تعتمد الكورسيرون أن يخطوكم في فهمها مؤولين المعاهدة حسب أهوائهم، نعم إن في إحدى نصوصها ان لكل امة لم يد رج اسمها في القائمة ان تحالف من تشاء وتنضم إلى جانب من تريد، ولكن لا يفهم من ذلك أن تقبلوا مخالفة امة رعى بانضمامكم اليها الاضرار بأخرى — ذلك شرط خاص بمخالفة لا تؤدي إلى إيذاء الغير وتحدو الامة التي

يبلغ بها الهوس والحق إلى حد أن تقبل حياية امة مجرمة الى الهلاك وتوقعها في حرب
مناخنة ، ذلك مايؤول اليه أمركم اذا قبلتم معاهدتهم ولم تصيخوا الينا ، فلن تستطيعوا
مخالفتهم دون ان تجلبوا على أنفسكم عداوتنا وشر كوههم في جرائمهم وتقع عليكم
طائلة العقاب القريب — كونوا محايدين إن شئتم ، او لا فكونوا مخالفينا ضد
الكو رسيرين . فأتنا لا نزال حلفاءكم في حين أنهم لم يحالفوكم قط

واحذروا الحذر كله أن تقرروا مبدأ جديدا هو تعضيد الخاطيء ونصر الباطل
وتذكروا أننا لم نترض لكم ولم نقف في وجوهكم حين أردتم تأديب السامانيين
على خطئهم ، وقد كانت آراء البلويونيز متشعبة بما يجب عمله ، فأقنعناهم بوجوب الحيدة
حتى تؤد بوجههم وتمسكنا بمبدأ ان لكل امة الحق في تأديب مخالفيها (مستعمراتها)
وقلنا ذلك أمام أعينهم وأنتم تشهدون

فهل تريدون أن تقرروا مبدأ آخر ، هو تعضيد الخاطيء ؟؟؟
لقد صدرت منهم أهانات متعددة واغاضات متوالية لا تطاق ، وفضلا عن ذلك فانهم كانوا
جديرين إذا رأوا منا سوءاً في معاملتنا أن يترفقوا في أرشادنا بالحسنى والائانة والتفاهم
معا ، لا بأسلوب المتفطرس بل بأسلوب رفيق مخلص — لو أنهم افعلوا ذلك معنا إذن
لأرغمونا على احترامهم والازول على إرادتهم ولحفظنا لهم ولاهمهم ونبل فعلهم
ولما كان في قدرتنا أن نستمر على عنادنا ومناوأنا إياهم ، ولكن ماذا نعمل وقد
أبوا حسن التفاهم كل الأباء ولم يشاؤا إلا أن يعاملونا باحتقار مفض حتى جرهم
احتقارهم إيانا وإساءتنا التي لم تقف عند حد الى ان تدخلوا في ولايتنا (منميس)
واستخلصوها عنوة ، ولما أدركوا أننا لن نعتفر لهم هذه الأهانة ورأوا من قوتنا وبطشنا
ماهانهم وهلمت له قلوبهم ، لجأوا الى طلب التحكيم

متى يطلبون التحكيم ؟؟؟ الآن وفي هذا الوقت الذي رأوا فيه أن التصاص
حائق بهم والعقاب منزل عليهم ؟ كلا لن يكون ذلك بعد فوات الفرصة وقد كان أخرى
بهم أن يلتجئوا اليكم قبل أن يقترفوا الآثام ، لا بعد أن عرفوا أننا محاسبوهم على ما جروه
حساباً عسيراً ، فلاذوا بأكتافكم غير مكشفين بما اقترفوا من الآثام ، بل تعدوا ذلك
لا الى طلب مخالفتكم فحسب ، بل لتشركوهم في جرائمهم وتقبلوهم . بالرغم من اننا معهم

في حال عدا، وحرب — لقد كانوا جديرين بذلك وقت ان كانوا بآمن من الخطر. لافى هذه الظروف العصية التي يسألونكم فيها ان تمنحهم محالفة كانوا يضمنون بمنحها لآيقامة والتي لم يمنحوكم إياها من قبل حين كانوا آمنين

إنهم كما ترون أحوج ما يكونون الى أن لا يحالفوا أحداً يشهد ما يرتكبونه من الآثام والجرائم التي يساعدهم على اقترافها حسن موقعهم ومنعة بلادهم، وهم كما ترون في حاجة الى أن يكونوا في عزلة تامة تبعدهم عن المهيمن والرقيب، وهي سياسة لوم وتفاق وخبث لا يستطيعون التخلص من مغبتها مهما اتحلوا من الأسباب والاعتبارات.

إنهم هنا يدعون الامانة والصالح والاستقامة وينادون بالعدل ويطلبون التحكيم، ولو أنهم كما يصفون أنفسهم حقيقة لظهرت منهم بوادر ذلك في وقت ان كانوا بنجوة من الخطر. وبآمن من المهاجمة، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن لافى معاملة سوانا ولا في معاملةنا.

يقولون اننا لم نستعمر لنستعبد ونعامل معاملة سيئة ونحن نجيبهم باننا أيضاً لم نستعمرهم لتصلنا منهم امانات متعددة واغاثات متوالية لانستطيع احتلالها، بل لتكون لهم بمنزلة أذ أس المدير المحترم، وتقبل منهم ما يبدو لنا من — اشارات الاحترام والولاء. وأكبر دليل على ما نقول أن غيرهم من مستعمراتنا العديدة يحلوننا بل هم يحجوننا حباً جما، وطبيعي انه اذا أحببتنا جميع مستعمراتنا وشدت واحدة منها مثل كورسيرا، فان أسباب شدوذا تكون غير معقولة وتكون ناشئة عن سلوكها الخاص لا غير، لأن أهلها هم المنفردون — دون سواهم — بالشكرى من معاملتنا. ويدعى أنه ليس هناك سبب يحملنا على افرادهم بمعاملة خاصة —

وأي شيء يدعوننا الى أن نخضعهم بالحرب دون سواهم لو لم تصلنا اماناتهم؟ كيف؟؟ انكم لو قررتم مبدأ تفضيد التأثير المذنب لوجدتم ان الكثيرين من مستعمراتكم قد لجؤا الينا وقت ان تشرعوا في تأديبهم على عصيانهم، وسيلحق بكم ذلك المبدأ الجديد من الضرر اكثر مما يلحق بنا، ذلك ما يقوله قانون المعاهدة ونحن ننصح لكم ان تظاولوا على ولائكم معنا وتظاولوا على تقديركم لصنيعنا اذ

ليس عليكم من خطر من جهتنا، فليس بينكم وبيننا شيء من العداء ولا تزال اواصر
حُبِّتنا وولائنا لكم متينة الاسباب والعرى فاحذروا ان تنصموها في هذه الظروف
ولا تنسوا ان كورثة قد امرت لكم بعشرين سفينة حربية لمساعدتكم في الحرب
قبل الفتح الفارسي، فاذا اضفتم هذا الصنيع الى ما عملناه مع البلوبونيزيين في مسألة
الساميانيين اذ حملناهم على عدم التدخل في شأنكم معهم وعدم ابداء أية مساعدة لهم،
حتى يمكننا من فتح اجنايا ومعاقة سامس (Samos) وعلمتم ان هذا كان شأننا
معكم دائما قدرتم اقوالنا وعرفتم ولائنا

ولا تنسوا اننا اسدينا لكم تلك الخدمات في الوقت الذي كنتم جد مشغولين
بمناوأة أعدائكم في تلك الظروف العصية التي يشتغل الانسان بها عن كل شيء،
وينسى كل شيء في سبيل الانتصار على العدو وانتم تعلمون ان في تلك الاوقات يعتبر عدوا
خطرا كل من يعترض ضلكم في سبيلكم، ولو كان اصدق ولي لكم مخلص فيما مضى
ويعتبر صديقا كل من ادى لكم خدمة ما ولو كان ألد أعدائكم فيما مضى. قدروا كل هذه
النتائج منصفين ولنقل شبانكم عن شيو خكم انه هـل جزاء الاحسان إلا الاحسان،
وأضيفوا إلى ذلك ان ما نشير به عليكم ليس هو الأحكم فقط، بل أن الحرب
التي يجعل الكورسيرون منها شجراً مرعباً يخيفونكم به حتى تحالفوهم، ليس لها أصل ما
ولئن كانت، فانها لا تجشمكم أن تحملوا عداوة كورثة القوية المخلصة

فلا تسيثوا إلينا فاننا لم نسيء إليكم، ولا تنسوا كما قلنا من قبل اننا ساعدناكم في تلك
الظروف التي يتسكب فيها الاخ عن مساعدة أخيه، ونحن الآن في هذا الطرف العصيب
وفي تلك الأزمات التي تجعلنا نعد من يقف في سبيل تحقيق رغباتنا عدواً ولو كان
أوفى الناس لنا في الماضي . وختاماً أحذركم التحذير الأخير أن تكونوا حلفاء
الكورسيريين في إجرامهم وآثامهم

فاعلموا، وفقكم الله إلى الرأي الأسد وأهملكم الصواب
اعملوا. فان أملنا فيكم عظيم، ولا تنسوا أن تقرروا ما فيه مصلحتكم ومصلحة
بلادكم والسلام

أنشتين المفهوم

في هذا المقال من المغالطات ما لا يصح السكوت عليه فقد ذكر كاتبه أن العلامة آينشتين لا يفهم « فروض » نظريته التي تحققت بوجوه عديدة وأثبتتها امتحانات أكابر العلماء وهي الآن في نفس الموضوع الذي أرادها به معلنها ولا يمكن أن تنقض لأنها لا تركز على فروض الغيبيات كما ظن حضرة الكاتب، بل على المعادلات الرياضية الصرفة التي لا تقبل الشك، وكيف يكون آينشتين نفسه مععلن نظرية النسبية غير فاهم نظريته بينما يقره عليها، ليس اثنا عشر من العلماء كما توهم، بل جمهور كبير منهم وقد أخذت الجامعات الجرمانية تدرس مذهبه بدلا من مذهبي نيوتن وليبنز؟؟

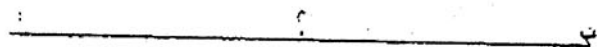
إن ظن حضرة كاتب هذا المقال فاسد من هذه الجهة فسادا لا يخفى على اللبيب . لأن الفروض الرياضية التي يقول عنها إنها تشبه الايمان الديني لا محل لها في نظرية آينشتين، وقد يرجع إلى نفسه ويحاسبها على هذه الهفوة لو قرأ كتاب « النسبية مستقلة عن فروض الغيبيات » للأستاذ فاركوليه وكتاب « المادة والنشاط حسب نظرية النسبية ونظرية الكم » للأستاذ لويس روجيه، وكتاب « مرمى نظرية النسبية » للورد هوالدين، وكتاب « مبادئ النسبية » وناموس الاثقال للأستاذ بكرل وغيرها من عشرات الكتب التي تبحث النسبية وتثبتها ولا حاجة لذكر اسمائها هنا : أما إذا كان حضرة لا يقدر أن يحل هذا العمل الرياضي فكيف يحل له أن يكتب عن نظرية أبسط معادلاتها هذه المعادلة:

$$\left\{ \begin{array}{l} X_1 = \frac{X - vT}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}} \\ T_1 = \frac{T - \frac{v}{c^2} X}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}} \end{array} \right.$$

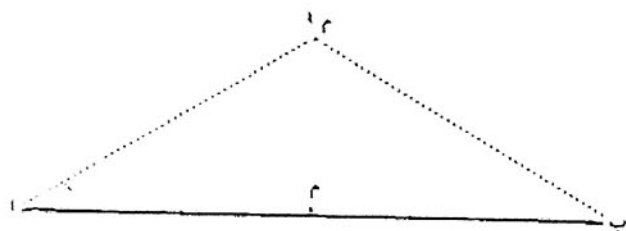
بل كيف يستمرى القول انه يلوح له أن مذهب النسبية أصعب من مذهب الجاذبية الذي ينقضه ويفسر الحركات السماوية بتفسير غير تفسيره؟؟ ومن قال له إن نظرية

النسبية تنقض مذهب الجاذبية؟؟ .. إن نظرية النسبية لا تنقض مذهب الجاذبية

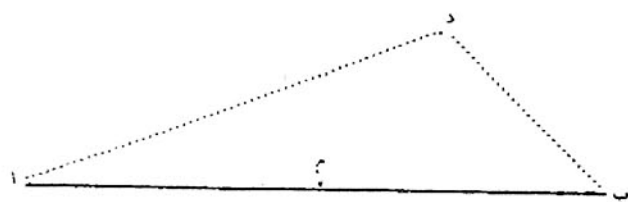
شکل ۱



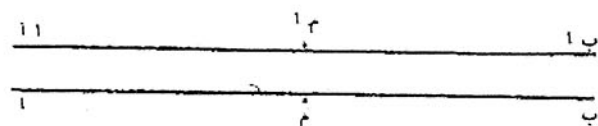
شکل ۲



شکل ۳



شکل ۴

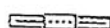


بل تحوره والنقض شيء والتحويل شيء آخر ، فنيوتن قال ان الاجرام تنجذب من بعضها بنسبة أحجامها، ولكنه لم يعرف مصدر الجذب. وآينشتاين أكل ما كان قد ابتدأ بعمله نيوتن وبين أن الجذب يكون حسب الأحجام من حيث أن الحجم تحنى الفضاء ويوجد مجال الجذب، فالأجرام الصغيرة تنجذب من الكبيرة لأن الكبيرة تحنى الفضاء أكثر من الصغيرة وعندما يقترب جسم صغير من حدود مجال جذب جسم كبير ينجذب الى الكبير من جراء احديداب الفضاء الناتج من وجود هذا الجسم. ولما كان سقوطه مقررأ على سطح هذا الأخير، فإن حركة تنتج توجد السرعة التي هي القوة فيبتديء الجرم الصغير في الدوران حول الجرم الكبير .

أما البعد الرابع الذى قال عنه إنه من المجهولات وإن الناس سيألفونه كما ألفوا الجاذبية بدون أن يتعرفوا أسرارها ، فلا دخل له بالجذب مباشرة لأنه يختص بالوقت. فالمحسوسات الطبيعية ليست سوى مظهر من مظاهر اعلال الزمان، والزمان مع الفسحة لا وجود لها، لأنهما من صفات المادة فملايين السنين النورية التي يقطعها النور كما يصل الينا مع عظمة المكان الذي تتطلبه، لا وجود لها لو لم تجد المادة وما يتفاعل على على سطح هذه الكرة بملايين السنين لا، بحسب شيئاً بالنسبة إلى البعد التاسع في الكون. وما يتطلب من الوقت.

ابراهيم حداد

بيروت في ٥ يونيو سنة ١٩٢٩



أطلب من دار العصور للطبع والنشر

بشارع الخليج المصرى : بالظاهر بمصر

الاشتراكية

أقوم بمحت في حقيقة الاشتراكية ومناقشة مبادئها

الوضع العلمى

فى عصر التجديد

لا يعنى الذين يرددون كلمة التجديد فى هذه الايام بأن يبحثوا صور التجديد فى العلم ولا صور التجديد فى الفلسفة ولا صور التجديد فى الفن . هذه ظاهرة لا تقوت كل مطلع على حركة الآداب الحديثة ، مساهماتياها فى العقدين الفارطين من السنين . فاذا قيل تجديد انصرفت الازهان الى الآداب واذا قيل نهضة انصرفت الازهان كذلك الى الآداب ، كأن مرافق الحياة العقلية فى مصر خاصة والشرق عامة ، عبارة عن بناء قائم على الآداب وحده ، وأنه ليس لشرق من علاقة ذهنية بغير الآداب وصور الآداب .

على أنى لم أجد بجانب هذا أدياً واحداً صرف ذهنه إلى التفكير فى هذه الناحية ، بل انصرف الجميع يقولون التجديد ويشيدون بالتجديد ، وهم فى كل هذا لا يعنون منه إلا حركة الآداب ، كأنه ليس وراء العالم العربى من ماضٍ إلا الآداب . وأن ليس له فى التاريخ من رجعى يرجع إليها فى الفلسفة أو العلم أو الفن . على أن السبب فى ذلك ظاهر كل الظهور . فإن الآداب وفنونها أرواح على النفس واسبق ظهوراً فى نهضات الأمم التى انقطع ما بين حاضرها وماضئها وفصل بين سلفها وخلفها بقرون من الانحطاط ودهور من الجمود الذهنى

لم ينصرف الناس فيما يعنون بالتجديد لسوى الآداب . هذه حقيقة يجب أن نعيها دائماً إذا أردنا أن نكتب فى حركة التجديد الحديثة . ولعل السبب فى هذا راجع إلى أن الحضارة العربية قامت على الآداب وعلى الفن وعلى اللاهوت ، دون العلم والفلسفة . نعم كان للأسلاف فلسفة وقام منهم فلاسفة وكان لهم علم وكان منهم علماء ، ولكن الحقيقة أن الآداب واللاهوت والفن ، وفى البناء على التخصص ، كانت الدعائم التى قامت عليها المدنية التى ورثنا عنها آدابنا العربية الواضحة

هذا وجه خطر من أوجه التفكير فى حركة التجديد لأن الأدباء والمتأدبين إذا انصرفوا أذهانهم إلى التفكير فى التجديد على أنه أدب أولاً وأنه فن ولاهوت ثانياً وأنه

علم وفلسفة ثالثاً اصطبحت الحضارة التي نقيم أساسها الآن بصبغة لانرضاهما . ذلك لأنى اعتقد أن الأدب إن كان من الاسس الأدبية فى خلق صورة غير كاملة على كل حال من صفات كل شعب من الشعوب الشرقية فأنى اعتقد أن صور التأمل الفلسفى والانتاج العلى هى لدى الحقيقة الصورة الكاملة التى تصور حقيقة كل شعب من الشعوب وتكون لدى البحث فكرة عامة عن مبلغه من الحضارة الصحيحة

وليس الخطر الحقيقى فى الانصراف الى الادب وإلى فكرة أن التجديد محصور فى الأدب — بل الخطر فى أن نعتقد بأن الأدب — على عجزه عن التعبير عن مبلغ الشعوب من الرقى — كاف وحده لأن يقيم حضارة تعبر عن حقيقة مؤهلاتنا المدنية . لهذا يجب أن نوازن بين الخطوات التى نخطوها فى هذه السيل، وان نجعل للتأمل الفلسفى والانتاج العلى أوسع مجال فى تكوين صورة حقة من الحضارة التى نرمى الى تشييدها على اساس ثابت أمين .

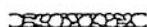
ولدى على أن الأدب لا يميز تعبيراً صحيحاً عن حقيقة الامم ومؤهلاتها برهان ينحصر فى ان الادب اكثر ما يكون مقروءاً اذا كان قصة شعبية أو صوراً من صور الصحف الصفراء التى تعنى بجمع اخبار الجرائم والحوادث اليومية . فى حين ان الادب المنتج ، أى الادب العلى الفلسفى ، لم يمد من الرواج حتى فى أوربا وأمريكا ، ميدانا واسعا أو رواجاً يمكن أن يتخذ اساساً تقاس به درجة الامم من الرقى . فان الادب الراقى لا يزال منحصرأ أثره فى طبقات قليلة لا تزيد على الطبقات التى تعنى بالعلم والفلسفة الا قليلا

والناس يخطئون كل الخطأ اذ يقيسون النهضة بمقياس العدد الذى تخرجه المطابع من المطبوعات أو العدد الذى تصدره الصحف . ذلك لأن الحكم على هذه الاشياء لا يرجع الى الكمية بل الى الكيفية . فخريدة تطبع عشرين ألفاً فيها صور بمض المجرمين وطريقتهم فى الاجرام وأساليبهم فى الساب والنهب لا يمكن ان تعد قياساً تقاس به درجة الامة من الرقى ، بل على الضد اعتقد انه أصبح مقياس تقاس به درجتها من الانحطاط وفساد الطبع والانصراف عن الجد الى الهزل وعن الانتاج الى الاسراف وعن الفضيلة الى الاسفاف

هذا رأينا الصريح. أما الانصراف عن الادب؛ وعن الادب الاصغر على الاخص،
الى العلم والتأمل الفلسفى، فلا يمكن أن نكون مجددين فيه بحق، الا اذا قام شعور تام
بأن العلم والفلسفة من الضروريات لامن الكماليات
فأن هذا المعتقد وحده كفى لى بان يخرجنا بنهضة صحيحة وتجديد صحيح تتوازن
فيه القوى وتتسق الخطا .

وهذا الاصلاح الصحيح مطلوب رأساً من هياتين . أولاهما هيئة الجامعة والثانية
هيئة الازهر . فاذا استطعنا ان نخلص من مجهود هاتين الهياتين بهذه النتيجة ، استطعنا
أن نقول بحق اننا فرنا بنهضة واننا نجدد تجديداً قيماً صحيحاً .

وفلان،



التعاون طبعه في الخلق

أفلت منا هذا المقال الى آلة الطبع وقد سهى على المصحح أن يقرأه، فوقعت
فيه بعض اغلاط مطبعية لا تغير المعنى؛ نعتذر عنها لحضرات القراء ولحضرة كاتبه
الأستاذ الجليل.



اطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن جميع المكتاتب المعروفة

تاريخ الفكر العربى

فى نسوة وطروره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

(١) ساعري ربي نفس

هل للفتى من بنات الدهر من واق؟ أم هل له من حمام الموت من راق؟

قد رجلوني وما بالشعر من شعث وألبسوني ثيابا غير أخلاق
وطيوني ، وقالوا أيما رجل وأدر كوني كائن طي مخراق
وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا ليسندوا في ضريح القبر أطباق
وقسموا المال ، وارفضت عواندكم وقال قائلهم : « مات ابن خرق ،

هون عليك ، ولا تولع باشفاق فأنما مالنا للوارث الباقي

~~~~~

## (٢) بغض متبادل

مهلا بني عننا ، مهلا موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا  
لا تطعموا أن تهنونا ونكرمكم وأن تكف الأذى عنكم وتؤذونا  
مهلا بني عننا عن نحت أثلتنا (٣) سيروا رويداً ، كما كنتم تسيرونا  
الله يعلم أنا لا نحجكم ولا تلومكم إن لم تحبونا  
كل له نية في بغض صاحبه بنعمة الله ثقليكم وتقلونا (٤)

(١) قالها يزيد بن خرقا ذا كرا الموت وراثيا نفسه بها.

(٢) قالها الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب أحد شعراء بني هاشم في عهد بني أمية

(٣) واحدة الأثل وهو من شجر العضاء يعني كفوا عن إظهار مثالنا ، قال

الأعشى وقد سار مسير المثل

ألست منتها عن نحت أثلتنا ولست ضاثرها ما أظت الابل

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(٤) نبغضكم وتبغضونا

## قصص الأطفال

فليت ألف ليلة بحياة .. رجعتها له الجهود العنيفة  
 « قصة السندباد » دلت تماماً أن باكورة الجهود لطيفة  
 كنت قبل اجتلائها لا أسمى مثل تيك الأشياء الاسخيفه  
 رغم تقيظ ألف ليلة كانت في اصطلاحى سقيمة وضعيفة  
 ملكتنى - ولم أسرفى ضياها فكرة نحوها لدى مخيفه  
 غير أنى قرأت شيئاً جديداً رد زعمى ولم أتم صحيفه !  
 كان من فوقها الجفاف ستاراً تختفى تحته المعانى الطريفه  
 سطحها آسن وما هو إلا قشرة تحتها المياه النظيفه  
 أى عقل أحال جسماً سوياً بعد طول الفساد تلك الجيفه  
 لم أجد مثل « كامل » عبقرياً فى يديه الكتان صار قطيفه !  
 هذه اللقطة الثمينه كانت قبل وجدانها لقى فى تنوفه  
 ما عهدنا من قبل هذا لطفل لغه فى خطابه معروفه  
 بل رأينا الكثير منا أرادوا عبثاً عن مرادهم تعريفه  
 إن ما كان للرجال غريباً صار للطفل عادة مألوفه  
 يا أبا مصطفى بأى جهاد أصبحت فى السمان تلك النحيفه ؟!  
 هات أشباهها فان فعلاء الدين يرجو من فضلكم تثقيفه  
 ثم أمطره لنا الكتاب تباعاً نجتليها أطروفة أطروفه

## فهرست العدد

| ص   |                                              |
|-----|----------------------------------------------|
| ١   | — العصور في سنتها الثالثة                    |
| ٢   | — مطالعات في سفر التكوين                     |
| ١٦  | — شعر التصوير - القصر الحزين                 |
| ١٨  | — علي السفود . عباس محمود العقاد             |
| ٢٧  | — الزباء - زونيا . عن غيون                   |
| ٣٣  | — نظرات في تاريخ الاسلام                     |
| ٤١  | — صور تاريخية - البانوقة                     |
| ٤٢  | — الوعظ الكاذب . الباز والقلق                |
| ٤٣  | — مضي الامس — قطعة شعرية                     |
| ٤٤  | — علي فراش الموت . عن الشاعر «هود» الانجليزى |
| ٤٥  | — التعاون طبيعة في الخليفة                   |
| ٤٧  | — التخطيط عند قدماء المصريين                 |
| ٤٩  | — مرمى نظرية النسبية                         |
| ٥٦  | — ابحاث زراعية علمية :                       |
|     | خاصية قوة امتصاص الارض للباء                 |
| ٦٢  | — المرأة الساحرة . تلخيص وتعليق . قصة ك . ك  |
| ٧٩  | — في سبيل الفن                               |
| ٨٢  | — قصص بوكاشو . العجوز وتقويمه السنوى         |
| ٩٣  | — ابو شادى شاعراً                            |
|     | غوكفريد ويلهم لينتر                          |
| ١٠٧ | — بيتنا . قطعة شعرية                         |

. . . . .

اسماعيل مظهر

ابو شادى

. . .

أحمد ابراهيم

كامل كيلانى

السندباد

كامل كيلانى

عبد الله عبد العزيز

سيد ابراهيم

محمود خاطر بك

عبد المجيد سيد احمد

ابراهيم حداد

عبد المجيد سيد احمد

ك . ك

الاستاذ شعبان زكى

. . . . .

أحمد الشايب

ح . ا

أبو شادى

## ما بعد الفهرست

ص

- |                         |                                |
|-------------------------|--------------------------------|
| محمد صادق عرنوس         | ١٠٨ - شهيد الواجب . قطعة شعرية |
| عبد القادر بن عزوز الشط | ١١٠ - الثقافة والساميون        |
| م . ت . ا               | ١١٩ - الازهر - أرجوزة          |
| ابو شادي                | ١٢١ - العجز . قطعة شعرية       |
| سيد ابراهيم             | ١٢٢ - الوعظ القصصى . تلخيص     |
| .....                   | ١٣١ - أبو دهل الجحى            |
| عن مجلة الاخاء          | ١٣٣ - القاب المشهورين          |
| .....                   | ١٣٤ - قصيدة ابن زيدون          |
| أبى مصطفى               | ١٣٦ - تويسديد - المؤرخ العظيم  |
| ابراهيم حداد            | ١٥٢ - انشتين المفهوم           |
| فلان                    | ١٥٤ - الوضع العلى              |
| .....                   | ١٥٧ - شاعر يرثى نفسه           |
| .....                   | ١٥٧ - بغض متبادل               |
| عرنوش                   | ١٥٨ - قصص الاطفال              |

